الثقافة الجديدة

في هذا العدد

دراسات

التفكير العلمي (مقال الافتتاح) . . . . . « الثقافة الجديدة »
الشعر الظرفي . . . . . بول الوار
بعض الاتجاهات الاجتماعية في ثورة الزنج . . . الدكتور فيصل السامر
الظروف الاجتماعية وعلاقتها بالطب النفسي . . الدكتور فكتور لافيت
مصادر الشك في كتاب العين . . . . الشيخ محمد رضا الشبيبي
مفاهيم في الفن القصصي . . . . . نهاد التكرلي
بابلو نيرودا (شخصية الشهر) . . . . . عبدالوهاب البياتي

أدب

البغايا في الشتاء (قصيدة) . . . . . بدر شاكر السياب
الجدار الاصم (قصة عراقية) . . . . . عبدالملك نوري
الحب الأول (قصيدة من الادب البلغاري) . . . كريستو بوتيف
الحرب في اسبانيا (من الادب الاميركي) . . . . ساروبان
حفلة زواج (مسرحية الشهر) . . . . . انطون تشيخوف

نقد الكتب

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البصرة
(للدكتور صالح العلي) . . . . . الدكتور صلاح خالص
الخ . . .

العدد
٢

كانون الاول سنة ١٩٥٣

مجلة شهرية ثقافية عامة

العـدد ٢ الثقافة الجديدة كانون الاول ١٩٥٣
مجلة شهرية ثقافية عامة

التفكير العلمي

مهما تعددت طرق التفكير ، فاننا نستطيع القول أن هنالك ، على وجه العموم ، أسلوبين لادراك مظاهر الحياة وفهم عللها واسبابها ، لا مناص للفرد من استعمال أحدهما عندما تعترضه مشكلة من المشاكل أو أزمة من الازمات ٠

فاما أحدهما فان يلجأ الفرد الى أفكار موضوعة ، أيا كان مصدرها ، يؤمن مبدئيا بصحتها ايمانا تاما ، فيعالج ، مستندا عليها ، مشاكله ويحاول ادراك أسباب أزماته وايجاد الحلول التى تفترضها هذه الافكار ، دون أن يناقش الافكار ذاتها ويختبر صحتها او خطـــأها ٠

وأما الاسلوب الآخر فيكون بدراسة المشكلة نفسها ، كما هى موجودة فى الحياة ، محاولا ادراكها على حقيقتها مع كل ما يحيطها من ملابسات وظروف مؤثرة ، ثم ايجاد الحلول اللازمة لها على ضوء النتائج التى تقوده اليها هذه الدراسة الموضوعية ٠ وعلى ذلك فان هذا الاسلوب فى التفكير يفترض وجود حقائق موضوعية لها كون حقيقى ، بل ويفترض أيضا انها ممكنة الادراك ، فهو يتطلب لذلك البحث والتنقيب المستمرين لفهم هذه الحقائق ومعرفتها ٠

فاما الاول فهو الاسلوب المثالى فى التفكير ، وأما الثانى فهو الاسلوب العلمى الذى اتخذناه مبدأ نسير عليه ونشجع على استعماله لمعالجة مختلف مشاكل الحياة الفكرية والاجتماعيـــة ٠

لقد كان الجهل ولا زال من اهم الاسباب التى دفعت الناس الى تفسير مظاهر الحياة تفسيرا مثاليا ، فهم يفترضون وجود أفكار معينة هى التى تدفعها الى هذا الاتجاه أو ذاك وتعطيها هذا الشكل دون الآخر ؛ وعلى ذلك فجميع ظواهر الوجود انما اتخذت شكلها هذا الذى تظهر فيه خاضعة لقوة الافكار مستجيبة لتوجيهها ٠ ولكن تقـــدم العلم الذى صاحب تقدم الوسائل التى يستعملها الانسان لتهيئة حاجاته ، ولا سيما التقدم الآلى الذى جاءت به الثورة الصناعية ، قد كشف القناع عن خطل كثير من الافكار المثالية ، واثبت ان للحقائق الموضوعية وجودا فعليا وانها تتطور وتتبدل تبعا لظروف موضوعية محيطة بها ؛ بل وأظهر بوضوح أن الافكار المثالية نفسها كانت نتاجا للتفاعل بين هذه الحقائق الموضوعية المختلفة ٠ فكانت كل خطوة يخطوها العلم ضربة جديدة فى صرح المثالية وثلمة لركن من اركانها ، حتى اصبح كيانها منخوبا ومائلا للانهيار ، رغم الترقيع الذى حاول به أنصارها رتق شقوقها وسد ثلمها ٠

ولكن تداعى المثالية ، نتيجة التقدم العلمى المستمر ، لم يكن ليعجب اولئك الذين راوا فى هذا التداعى قضاء مبرما على منافعهم الشخصية ومصالحهم الخاصة ؛ وأدركوا أن فى ثبات الافكار المثالية وعدم تطورها ضمانا قويا يحفظ لهم تلك المنافع ويذود عن هذه المصالح ، فشنوا حربا شعواء على التفكير العلمى ووصموه بكل ما يشين من النعوت٠ وهكذا وجد التفكير العلمى نفسه أمام نوعين من الاعداء : الجهلاء والمغرضين ٠ فاما أولهما فاقلهما شرا ، لان تطور العلم والظروف الموضوعية كفيلة بأن تفتح عينيه ليرى الحقيقة ؛

واما الثاني فأشدهما خطرا ، سيما وانه يتمتع بنفوذ اقتصادي وسياسي كبير في مجتمعنا؛ لذا فلابد ان يزج أنصار التفكير العلمي أنفسهم في صراع فكري عنيد ليعجلوا بانهيار المثالية التام وتداعيها الكامل ؛ وبذلك وحده تستطيع البشرية أن تجد لمشاكلها وأزماتها الحلول التي تكفل اسعادها على ضوء ادراكها ادراكا حقيقيا علميا لهذه المشاكل والازمات .

ان التفكير العلمي ـ كما ذكرنا ـ يفترض وجود حقيقة موضوعية ليمكن ادراكها ؛ فالشيء لا يمكن أن يكون أسود وأبيض في آن واحد ؛ اذ لابد أن يكون أحدهما أو شيئا آخر . فالخلاف اذن في الآراء والافكار لا يعني مطلقا عدم وجود فكرة صحيحة ، كما لا يمكن أن يعني أن جميع الآراء والافكار صحيحة كلها . لذا فيجب أن تكون غاية المفكر العلمي هي الوصول الى الحقيقة الموجودة فعلا ، الى الفكرة الصحيحة خلال الافكار المتضاربة ، وذلك بدراسة هذه الافكار ومعرفة علميتها أي مدى اعتمادها على الدراسة الموضوعية لمظاهر الحياة ، ليصل بعد ذلك الى فكرة قائمة على أساس علمي ؛ ولكي يمكن الوثوق بهذه الفكرة والاعتماد على صحتها فلابد أن يثبت التطبيق العملي لها ذلك .

ان ذلك لا يعني ، بأي حال من الاحوال ، أننا نستطيع ادراك جميع مظاهر الحياة وتفسيرها علميا ، أي كما حدثت ؛ لان ما بين أيدينا من وسائل وما نمتلك من خبرات وتجارب لا تساعدنا على ذلك ؛ فكثير من الميادين الطبيعية ، بل وحتى الاجتماعية لا تزال محوطة بالغموض والابهام ، رغم الخطوات الواسعة التي حققها العلم في هذه الميادين ؛ لذا فان اختلاف الرأي في تعليل هذه المظاهر وادراكها ادراكا تاما ينتج دون شك من هذا الغموض والابهام ، ولا شك ان الخلاف يزول بزوالهما وادراك الحقيقة كما هي . فالاختلاف اذن ليس الغاية من الاسلوب العلمي ، بل على العكس ، انما غايته اثبات وجود الشيء على حقيقته لكي يحصل الاجماع عليه ، كما كان الامر مع كثير من ظواهر الحياة ، كتكوين الماء مثلا من الاوكسجين والهايدروجين ، ونزول المطر نتيجة تكاثف بخار الماء الخ ...

ان كثيرا من مدعي الطريقة العلمية يتجاهلون هذه الحقيقة ، فيحشرون بحوثهم مثلا بقوائم طويلة من مصادر البحث وأسماء الباحثين ، متصورين أن عملهم يقف عند هذا الحد . ان الاسلوب العلمي يتطلب من الباحث أن يبذل جهده للوصول الى الحقيقة لانها ـ كما قلنا ـ موجودة فعلا ، مميزا بين الامور المثالية الاعتباطية وبين الآراء التي أخذت الحقائق الموضوعية بنظر الاعتبار . أما الوقوف من الآراء والنظريات المختلفة موقف المتفرج فليس من العلم في شيء ، اذ لا يمكن أن تكون صحيحة كلها ، فليس للشيء نفسه في الوقت عينه وفي المكان ذاته غير حقيقة واحدة . أما اذا لم يكن في الافكار ادراك هذه الحقيقة لغموض أو ابهام أو جهل ، فما على الباحث الا أن يوضح ذلك بصدق واخلاص .

وليس التفكير العلمي أمرا يخص المثقفين والباحثين فقط ، بل هو ضرورة ماسة ، يحتاجها الفرد في حياته اليومية ، في مشاكله الخاصة والعامة ، في مطالعاته ودراساته وفي كل ما يعرض له في الحياة ؛ فما من مشكلة مهما صغرت الا وهناك أسلوبان للتفكير بها وحلها ـ كما ذكرنا سابقا ـ ، والاسلوب العلمي هو الوحيد الذي يأخذ بنظر الاعتبار التطور والتبدل اللذين تحتمهما الظروف ويفرضهما الزمن، لذا فهو يقدم باستمرار الحلول الجديدة المناسبة للمشاكل الجديدة ، فهو يحارب الجمود ويشجع على الابداع والتقدم . ففي تشجيع التفكير العلمي تشجيع على التقدم وكفاح ضد الرجعية ؛ فلا غنى عنه اذن لجميع اولئك الذين يبحثون عن الحقيقة وعن السعادة البشرية ، لا غنى عنه حتى لاصحاب العقائد المؤمنين بما لديهم من أفكار . فلا خير في عقيدة لا تقبل التفكير العلمي ، بل ولا يسندها العلم . فالدعوة الى التفكير العلمي ليست اذن ضد العقيدة ، بل هي دعوة الى بناء العقيدة على أسس متينة قويمة يدرك بها الانسان ماضيه وحاضره ، ويشق طريقه واعيا نحو مستقبله .

(الثقافة الجديدة)

صورة بول أيلوار بريشة بيكاسو

الشعر الظرفي (١)

La Poésie de circonstance

للشاعر الفرنسي الكبير

بول الوار

(٢)Paul ELUARD

(١٨٩٥ - ١٩٥٢)

تعريب : ابراهيم اليتيم

ان كان هنالك موضوع يشغل بال شعراء عصرنا ، فانه دون شك موضوع « الشعر الظرفي » . أنه في الواقع يفعل أكثر من اشغاله لبالهم ، انه يصدمهم ويثيرهم . فكثير من ناظمي الشعر الرديئين ، كثير من ناظمي الاغاني النثريين ، عالجوا هذا النوع من الشعر ، فأصبح الشعر الخالد الاكثر ثباتا في اعماق الانسان ، نتيجة لذلك ، مهددا بالخطر أحيانا . ونحن لا نريد أن نهمل هذا التهديد ولا أن نقلل خطره فواجبنا تجاه انفسنا يحتم علينا الدفاع عن الشعر الحقيقي ، عن الشعر الظرفي الحقيقي .

كنت أود أن اعنون هذه الافكار : « من الشعر الظرفي الى الشعر الخالد » ولكنني خضعت لهذا العنوان البسيط الذي يسمى الشيء دون أن يكتشف عن رنينه فليس هناك نوعان من الشعر ؛ وكل الصفات التي

---

(١) محاضرة ألقاها الشاعر في العام الماضي في قاعة Les Sociéter Savanter في باريس .

(٢) ان حياة بول الوار التي نأمل أن نتحدث عنها بشيء من الاسهاب على صفحات هذه المجلة في المستقبل القريب لتلقي ضوءا ساطعا على أفكاره هذه التي نترجمها وتكون أحسن مثال لنا عليها ، فهي ترينا كيف سمت بالشاعر ظروفه بدل أن تحطه

يمكن أن تلصق بالشعر لتعريفه : غنائى ، ملحمى ، لا تمنع أن يفهم المرء من ذلك قبل كل شىء كلمة « شعر » أى كلمة « غناء » ،فالشعر هو اللغـة التى تغنى • ولو سئل عشرة اشخاص يؤخذون من شوارع مدننا ، سواء أكانوا من قليلى الثقافة أو العلماء ، عما هو الشـاعر ، لاجابوا « أنه ذلك الذى يؤلف اشعارا » • وانى وان لم أقم بالتجربة بنفسى فانى واثق منها ، فقد قدمت عندما كنت فى اليونان كشاعر الى فلاحين يجهلون القراءة والكتابة ، فأجابوا جميعا : « آه ، نعم ، مغنى ! »، لان الشعر منذ أقدم العصور هو اللغـة التى تغنى ، واعتقـد أن ذلك لن يتغير أبدا • يقول اراغون فى تصوير ديوانه « عيـون الزا » : « يستطيع امرؤ أن ينزع عنى هذه الحياة ، ولكنـه لن يسـتطيع أن يخمد غنائى » •

لغة تغنى ، لغة محملة بالامل وان كانت يائسة ، « لانهـا ناقلـة دائما ذكاء عميقا وادراكا مستندا على الغريزة ، على الاحسـاس ، على الحاجة الى العيش ، على حب الحياة ، على الحقيقة • فعندما يستدعى شاعر الموت ، لنقل انه انما يفعل ذلك غيضا ؛ وعندما يخالف شاعر القياس ويسلك طريقا خاطئا ، لنحاول معرفة شجاعته وذوقه الاول عندما ابتدأ

فينقاد لبؤسها ويخضع لليأس الذى يتخلل أحيانا آفاق الحياة ، ترينا كيف يتحول ذلك الذى كان أحد مؤسسى السريالية وشاعرها الرسمى فيكتب حينذاك ، وكان قد اشترك فى الحرب العالمية الاولى ولا زال شابا صغيرا :

اخرج على ذراع الظلال
انا فى أعمـاق الظلال
وتنتظرنى ظـــلال

ترينا كيف يتحول ذلك الذى ابتدأ ايمانه يتزعزع بالحياة والبشر ، بعد أن خبر تجارب قاسية فى الحرب والمرض الى فقدان زوجته وحبيبته ، فشرد جائلا فى أنحاء العالم جريا وراء بصيص من الامل ، من الثقة ، نقول كيف تحول هذا الانسان الى ذلك الذى دخل المعركة مع اخوانه ، بعد أن احتل الالمان فرنسا وداسوا قلبها النابض ، باريس بأحذيتهم الثقيلة ، ليكون شاعر المقاومة ، الذى لم يستطع الارهاب الوقوف أمام قصيدته « الحرية » ، فكان الفرنسى يغنيها فى السراديب ، فى الظلام ، لتزيل من قلبه الرعب الذى كان يلقيه وقع أحذية جنود هتلر الثقيلة وأصوات طلقات بنادقهم • ان حياة الوار ترينا كيف يتحول شعره اليائس الفردى ، غناؤه المحدود ، صوته الذى كان صوت انسان واحد ، الى شعر مشوق واسع وسع آفاق الحياة ، الى غناء جبار وصوت مدو لا ينتهى كما لو كانت أصوات البشرية جمعاء مجتمعة فيه اجتماعها فى جوقة مغنين جبارة •

التحق الوار بقافلة البشر وسار معها ، عاش مع البشـر وللبشـر ، ليستطيع ـ وهو الذى كان ذلك اليائس ـ أن يقول ليكتب على قبره :

هنا يرقد ذلك الذى عاش دون أن يشك لحظه
أن الفجر صالح فى كل الاعماور
وعندما مات خيل له أنه يولد
فقد كانت الشمس تشرق من جديد

حياته ، لنسأل أنفسنا ما اذا كان قد ناضل قبل أن يغلبه العالم ، والى أى حد كانت قواه قادرة على مقاومة الشر بشكل أفضل مما تستطيع قوى كثير من المضطهدين ؟ الى أى حد كافح هو والى أى حد كافح الناس فى زمانه ؟ هكذا أفكر عندما يخطر فى ذهنى رجال العصر الوسيط ، فرانسوا فيون (١) ، رجال الكومون (٢) ، ارتور رانبو (٣) ، وآخرون كثيرون أضعف منهم ، فرقتهم الحياة اليومية أو نبذهم واقع لا يقهر ، وغالبا ما أتى البؤس المادى فى تاريخ البشر بالبؤس الاخلاقى ؛ ولكن فيون ورانبو وكثير من الآخرين الذين ناضلوا ولكنهم غلبوا — واتيمان (١) ، بوشكين ، نكراسوف (٢) متسكيفج (٣) ، هاينى ، شيلى ، نرفال (٤) ، بودلير ، بتوفى (٥) ، بوتيف (٦) ، ابو للينير (٧) ، سان بول رو (٨) ، ماكس جاكوب (٩) ، مايكوفسكى (١٠) ، لوركا روبير دنو ، جميع هؤلاء ، ابطالا أو ضحايا ، كانوا يحنون الى ضوء أعظم ، انهم يجسدون الانسان وهو فريسة لاعلى واوطأ القوى ، يصورون الانسان مضنى بزرقة السماء ، ملوثا فى الوحل ، خاضعا ومتمردا ، عبدا وحالما بأن يكون حرا ، قانطا وعارضا .

ويقدم لنا شعراء آخرون وجوها أهدأ واقوى ، انهم يبدون كقديسيين وقد وضعوا قناع الحكمة على وجوههم كـ « هومر » ، شكسبير ، دانتى ، غوته ، فقد سيطروا واراد صوتهم لنفسه أن يكون غير شخصى كصوت الشعراء الشعبيين مجهول الاسم الذين كانوا

---

(١) فيون : شاعر فرنسى عاش فى القرن الخامس عشر ، ولد فى باريس ، عاش حياة المتشردين وعرض نفسه لخطر الشنق عدة مرات وقد ترك باريس مرة بعد أن كاد يشنق فاختفى خبره عن مؤرخى الادب ، ويعد أول عظماء الشعراء الفرنسيين الغنائيين .

(٢) الكومون : اسم يطلق على السلطة الشعبية الثورية التى قامت فى باريس بعد ثورة ١٨ آذار ١٨٧١ ، والتى أسقطت بعد أن حاصر جيش تيير العاصمة فى ٢٨ مايس من السنة ذاتها .

(٣) شاعر فرنسى من شعراء أواخر القرن التاسع عشر .

(١) والت وايتمان : شاعر أمريكى (١٨٢٣ — ١٩٠٥) مؤلف أوراق الحشيش حيث يتغنى بالديمقراطية .

(٢) شاعر روسى .

(٣) متسكيفج : من أعظم شعراء بولونيا (١٧٩٨ — ١٨٥٥) .

(٤) جيرار دى نرمال : شاعر فرنسى رقيق الشعر من شعراء القرن التاسع عشر ، أشهر مؤلفاته « سيلفى » .

(٥) بتوفى : شاعر غنائى هنغارى (١٨٢٢ — ١٨٤٩) .

(٦) بوتيف : شاعر بلغارى من شعراء النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

(٧) كيوم ابوللينير : شاعر فرنسى (١٨٨٠ — ١٩١٨) .

(٨) شاعر فرنسى .

(٩) شاعر فرنسى (١٨٧٦ — ١٩٤٤) .

(١٠) مايكوفسكى : شاعر روسى عاش فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع العشرين .

ينشدون دون خوف فى الساحات العامة · ان هومر وشكسبير ودانتى وغوته ولحد كبير فكتور غيغو ، عندما يقولون « أنا » ، انما يقولونها نيابة عن أهل زمانهم ، انهم وعى الزمن الذى عاشوا فيه ، فهم يشهدون بصورة موضوعية للجانى وللمجنى عليه فى قضية التاريخ الكبرى · انهم الاسس التى يرتكز اليها الماضى وضعفه فى آن واحد ·

أصوات لا تحد ، أفلسنا سريعى التحسس بتلك الاصوات التى تعبر بصورة أحسن عن حالنا الآنية والتى تبدو لنا انسانية جدا ؟ اننا لا نبغى نماذج بقدر ما نبغى اقرانا ، اخوانا يعبرون عن آمالنا ورغبتنا فى الكمال ، عن آمالنا ، عن قياسنا الانسانى المشترك ، مثل فيون بين الصعاليك ، مثل وايتمان وهو يعالج الجرحى ، مثل بوشكين وهو يسقط صريعا فى مبارزة من أجل شرف امرأته ، مثل ماكس جاكوب وهو يموت لانه كان يهوديا · ولقد غلبوا الا أن الاجلال الذى نحسه نحو الضحايا لا يمنعنا من أن نفهم أنه ابتدأ من سقوطها يستطيع الامل أن يبعث ويبدأ النضال من جديد · ابتداء من حلول المجاعة لا يعود الانسان يريد أن يجوع ، ابتداء من قيام الحرب تستنكر قتل الانسان · فالظلم يلهب فينا المكلف بالعدل · ولقد بعثرت قوى كثيرة ، وسخر كثير من الذكاء فى خدمة الشر ، وغلبت نظرات جميلة كثيرة ، ولكننا فى اعماق قلوبنا نعرف جيدا أن هؤلاء المغلوبين لم يغلبوا الا فى الظاهر ، وأن هؤلاء الموتى لم يموتوا ، فان عملهم وكلامهم ومثلهم تحيى ، وفينا يسيرون خطوة الى الامام · اننا نعرف ظروف حياتهم ونعرف أن انتاجهم هو عمل هذه الظروف ·

يقول لنا القاموس ان الظرف هو محل مشترك يشمل ما له علاقة بالشخص ، وبالشىء وبالمكان ، وبالوسائل ، وبالبواعث ، وبالطريقة ، وبالزمان · اذن ينبغى قبل كل شىء لنقد البشر واعمالهم أن تعتبر كل ظروف الشخص ، والشىء ، والمكان ، والوسائل ، والبواعث ، والطريقة ، والزمان وهكذا سوف يحكم الى أى قدر حركت الظروف الانسان ، والى قدر سمت به هذه الظروف أو حطته · فان انسانا اعتياديا لا يجد ذاته فى الكائنات القريبة منه فحسب ، بل كذلك فى تلك التى لا يعرفها ، وفى الاحداث المؤثرة فيها وفى الاحداث التى تثيرها هى · ويشتعل الشاعر رغبة فى ابداع حياة ثانية بقدر اثارة هذه الظروف له ·

يقول غوتة : « ان العالم جد كبير ، جد غنى ، وتقدم الحياة منظرا متنوعا جدا بحيث لن تعوزنا مواضيع الشعر أبدا · الا أنه لا بد من

أن تكون هذه اشعارا ظرفية ، أو بكلمة أخرى ، ينبغى أن يقدم الواقع مناسبتها ومادتها · وان حادثة فريدة تصبح عامة وشعرية حقا حين يعالجها شاعر · ان قصائدى كلها قصائد ظرفية ، فانها تستوحى الواقع ، عليه تتأسس واليه تستند · فليس من الممكن كتابة قصائد تستند الى لاشىء » ·

ويستمر غوتة : « ويجب أن (يقال أن الواقع تنقصه المتعة الشعرية ، ان الشاعر يبرهن على شاعريته حقا عندما يستطيع ذكاؤه أن يكتشف فى موضوع مستذل ناحية ممتعة · ينبغى للواقع أن يقدم الباعث ، نقطة الانطلاق ، النواة لا أكثر ، ولكن الشعر هو الذى يجب أن يشكل منها كلا جميلا ، حيا » · ويستمر غوتة : « انكم تعرفون فورشتاين الملقب بشاعر الطبيعة ، فقد نظم فى زراعة حشيشة « الدينار » قصيدة وصلت حدا كبيرا من الابداع لقد قلت له أخيرا أن يكتب لى اغانيا عن اهل الحرف ، لا سيما اغنية عن النساجين وأنا متأكد أنه سينجح فى ذلك ··· »

وكصدى فى الماضى لرغبة غوتة كتب كرستيان دى‌تروا فى القرن الثانى عشر ما سمى منذ ذلك الحين بـ « اغنية القميص » :

دائما سننسج أنسجة من حرير
ولن يكون لباسنا لقاء ذلك أفضل
دائما سنكون فقيرات وعاريات
ودائما سنكون جائعات وعطشات ؛
أبدا لن نستطيع أن نربح أكثر
بحيث يكون ما نأكل أفضل ·
طعامنا خبز لا يتبدل
قليلا فى الصباح وفى المساء أقل ·
لن يكون لكل منا جزاء جهدها
الا أربعة من اثنى عشر جزءا من القرنك
ومن هذا لا نستطيع العيش ·
فمن يربح فى اسبوعه
فرنكا ليس فى منجاة من الوصب
فاعرفوا الآن ، اذن ، انتم جميعا ،
أن ليس بيننا تلك
التى تربح فرنكا فى احسن الاحوال ·
وبهذا قد يثرى دوق !

ونحن فى بؤس عظيم ،
لكن يثرى من اجورنا
ذلك الذى نشتغل لحسابه ؛
نسهر من الليالى أكثر اجزائها
والنهار كله لكى نبلغ هذه الحال ٠
يهددوننا برض اطرافنا
اذا توقفنا :
وهكذا لا نجرأ على الاستراحة ٠

ان كريستيان تروا يجد ذاته فى هذه الابيات التى يعبر فيها عن ألم النساجة المسكينة فى العصر الوسيط ٠ وهكذا فاحساس الشاعر وفهمه يسمحان له أن يكون كالقسطاس للحكم على كل ما يعرض له من حياة البشر الآخرين ومن الحياة الكلية ، ان اكثر الظروف غموضا لتضاء تحت ريشة الشاعر لانها تنعكس فى مرآة توضحها وتجعل رؤيتها ممكنة للجميع ٠

نستطيع أن نقول مع غوتة ان كل قصيدة هى ظرفية ٠ ولكن ، اما أن يفهم المرء هذه الكلمة بمعناها الواسع أو بمعناه ضيق الاستعمال٠ ولن تعيش القصيدة ، ولن تبلغ ، على وجه الخصوص هدفها ، اذا كانت فى مستوى اعتيادى وغير رفيع ٠ فالمرء مستعد لان يغفر لشاعر ذى عبقرية تناقضاته ولعناته للحياة وتجاوز الحدود ، ولكنه لا يبرىء بسهولة شاعرا متوسطا رغم نياته الحسنة ، وذلك لان المرء عموما وزن من جهة الاسباب والظروف التى قادت الشاعر الحقيقى لان يناقض الخير ، ولان يناقض الخير ، ولان لغة الشاعر المتوسط من ناحية أخرى لغة لا طائل من ورائها ٠ فالقارىء المثالى لا يريد أن يكون غرا ، انه حذر لانه يعرف أن الوعى بالبشر أقل خطرا احيانا من عدم الوعى بالخير ٠ انه يحترس من الرياء ، لانه يعرف الى أى درجة من الذل يستطيع التساهل والجبن أن يقودا عاجزا ٠

ينبغى للشعر الحقيقى أن يعبر عن العالم الداخلى الذى ما هو الا تبديل قام به تصور الفنان واحلامه ، ينبغى أن يعبر عن هذه الحقيقة التى فينا ان كانت عيوننا مفتوحة حقا ٠ واذا لم يشرب العالم الحقيقى رأس الشاعر فانه لن يستطيع أن يقدم للعالم الا اشياء مجردة مبهمة واحلاما ناقصة ومعتقدات لا يقرها الصواب ٠ ولن تستطيع قابلياته الشعرية الشخصية التعبير عن حقيقة العالم الشعرية ، ولن يكون فى

العالم لانه لن يكون حاملا لكل ما للانسان من وزن فى العالم وما للعالم من وزن فى نفس الانسان ، ولن يتم فيه عمل التأمل • سيتكلم شبحا وما اسهل أن تكون اشباحا بالنسبة لانفسنا وبالنسبة الى الآخرين ، ما اسهل أن ننقاد لتعبنا ، لحزننا ، لبطالتنا ؛ وما اسهل أن نقطع فى الظاهر كل علاقة مع العالم المادى ؛ ان ذلك اسهل من قطع العلاقة مع ضباب الكسل القديم مع الشقاء والموت • وايسر علينا أن ننتحر من أن نعيش ، لاسيما اذا كنا نعيش وكأننا نؤدى واجبا •

ولاجل أن نتمثل العالم كله ، يجب أن تكون لنا الشجاعة على جمع المواضيع والعواطف ، على جمع الحب والكراهية ، الالوان والاشكال ، العصور والطقوس • هذه الالف شكل هى التى جعلت وليم بليك يقول « ان البشر متساوون بعروقهم » • ان الشاعر يمزج احساسه ، حكمته ، مخيلته ، بهذا العالم الالف شكل هى التى جعلت وليم بليك يقول « ان البشر متساوون بعروقهم » • ان الشاعر يمزج احساسه ، حكمته ، مخيلته ، بهذا العالم الذى ينبغى له أن يتغلب عليه ويبدل صورته ، انه يفعل ذلك برغبة شديدة وسيخرج ، اذا رمى بنفسه كلية فى ذلك ، منتصرا من المعارك التى لا بد منها بين الخير والشر ، بين الشباب والتدهور ، بين الكراهية والحب الذى يتعاظم •

ان المسألة كلها لفى الخروج مع جموع العصور السالفة وجموع المستقبل من الوحل النتن لاضطهاد الانسان للانسان ، اضطهاد البروجوازى ضيق الافق للشاعر ، اضطهاد السفاح للشهيد •

يجب أن يستعيد الفكر صحته ، يستعيد هذا الحجر الفلسفى بالنسبة اليه ، يجب أن يستعيد وحدته وأن يستطيع اعدام ما ليس هو الخير بصورة محضة وبسيطة ، ما ليس هو الحياة وسعادة العيش •

اننا نعرف أن ليس هناك عبقرية شعرية الا عندما لا يكذب الشاعر • وعدم الكذب اليوم هو قيام بعمل • فليكن الشعر وسيلة عمل ، وسيلة للسير الى الامام ، لانه يغنى من كل نوافذه وعلى كل الآفاق ، يغنى الوضوح والمثل ضد الاكاذيب •

ان الاثمار والازهار هى ظروف الربيع مثلما قد تكون ثورة ظرف سعادة شعب بل وكل الشعوب • وينبغى للقصيدة الثورية أن تبحث عن مصدر وحيها فى العواطف الواضحة المبنية على ضرورة العيش وانتاج الحياة من جديد ، على رغبة فى عدل محدد ، ينطبق على المنطق • ومع ذلك ، ولان هذه العواطف الثورية مبنية على أساس التعاضد

الانساني ، فانها تستطيع بل وينبغي لها أن يكون فيها مضمون شعري، كشعرية عاطفة الحب ، التي هي تعبير آخر عن النضال من أجل الحياة .

يجب أن يستولي الشاعر ، الانسان على الطبيعة ، يجب أن يسيطر عليها . فان هذا الواقع أبعد من أن يدعو الى الالتباس لانه واضح كل الوضوح وليس هناك حدود للواقع فهو يمكن أن يكون تعسا ومليئا بالشقاء ، يمكن أن يكون قاسيا أو صلفا أو ممسوخا . يمكن أن يسمى حماقة أو بؤسا أو مرضا أو حربا . فالشاعر لا يعيش في القمم ، ولا تهد هده غالبا سعادة كاملة عذبة ، ولكن عندما يكون قد ناء بثقل البؤس ، فلا ينبغي له أن ينيخ له . لا ينبغي له خاصة أن يخضع لهذه الكآبة التي قد تضمه الى سلالة أولئك الذين يسميهم لوتر يامون : « الرؤوس الكبيرة الرخوة . » كما انه لا ينبغي له كذلك أن يعد مسالك الشعر ضيقة واشغاله غير متبدلة . ان واجب كل شاعر شجاع هو أن يفتح طريقا واسعا بل وأوسع ما يمكن لتمجيد الانسان . ويمكن أن يستعمل جميع الاشكال لبلوغ ذلك ، ففلسفته تتألف من كل الكلمات ، من كل الاشياء . ولا توجد اشكال مقدسة كما لا توجد مواضيع ولا كلمات مقدسة ، أو دنسة ، أو متذللة .

. . . . . (وهنا يلقي الشاعر المحاضر مثلا قطعة طويلة من قصة ، لا مكان لترجمتها في مجلة شهرية .)

لا ينقص الكثيرين منا الا قليل من الوعي ، الوعي بالامكانيات الانسانية . بأمكانيات الشعر . فلم يخترع الشعر لنفسه عقبة ، لم يضع لنفسه نهايات . ولم يعبد آلهة الا بمقياس الخلود . وهذا الخلود اليوم شيء واقع ، انه لا يخاف الموت ولا يخشى دخول المعركة .

ولنستصوب مرة أخرى غوتة حين يقول : « كل قصيدة هي قصيدة ظرفية . » ولا بد أن نكرر لكي نظهر خطأ المتمسكين بشعر مجرد ، أنه لكي تتحول قصيدة من الخاص الى العام فتأخذ بذلك معناها الصحيح ، معناها الخالد ، يجب أن يطابق الظرف اماني الشاعر ، لا بد أن يطابق ما في قلبه وروحه وعقله .

والا ضاع الظرف حالا وفي اللحظة نفسها ، وفقدت هذه القصيدة صفة الدوام ، ولم يبق منها سوى انها نظمت في تاريخ معين ، وانشدت بشكل جيد أو رديء .

وأريد أن آخذ على ذلك مثلا بسيطا : ان القصائد التي تكتب في تمجيد الرجال العظام الذين تحبهم شعوبهم لانهم خدموها ، سواء أكان ذلك في ميدان السياسة أو في الميادين الاخرى ، ما كانت تستطيع في أية

حال أنن تكتب دون الرجاء الذى وضعه التأريخ فى حياتهم : ففى هذه القصائد ينعكس كل الثقل والوزن الانسانى لهذا الوجود العظيم الذى هو حياة هؤلاء العظماء ٠

اذ يجب التمييز بين الظروف ٠ فتوجد ظروف تبقى منطوية على ذاتها الى الابد ، كما فى الحكاية والحادثة ٠ ولكن هناك ظروف تحمل الحدث الى مستوى سمو التأريخ والشعر ٠

فلا يمكن أن يتوخى المرء كتابة قصيدة صالحة ، كما فعل ذلك مثلا بول كلوديل (١) ، عن « هابطى الباراشوت فى الهند الصينية » ، لان هذا ليس موضوعا صالحا فهو يتعلق بحادثة حرب ترفض عقول وقلوب البشر أن تثبت شرعيتها ، وتعتبرها بثورا شنعيـة فى وجـه التاريخ ٠ فلا يمكن الجمع بين البشر وبين ما ينحط ويموت ٠ يقـول لوتريامون : « يجب معرفة انتزاع الجمال حتى من احضان الموت ٠ الا أن هذا الجمال لن يكون ملكا للموت ٠ فالموت هنا ليس الا باعثا اتفاقيا ٠»

ان شعراءنا ، وهم ينظمون قصيدة عن عمال المناجم المضربين أو من أجل اطلاق سراح هنرى مارتان ، واعون بأنهم يغنون ظرفا متصلا بالتطور ، ظرفا يخطو به الانسان خطوة نحو الحياة ٠

وأريد أن آخذ مثلا آخر شخصيا ، هو قصيدتى « الحرية » ٠

لقد كتبت هذه القصيدة خلال صيف عام ١٩٤١ ، وكنت ، أفكر وأنا انظم الابيات الاولى :

على دفاترى المدرسية
على مقلمى والاشجار
على الرمال على الثلوج
أخط اسمك

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

على الصور المذهبة
على اسلحة المحاربين
على تيجان الملوك
أخط اسمك ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

أن اعلن لختام القصيدة اسم المرأة التى كنت أحبها والتى كانت

---

(١) شاعر فرنسى معاصر ، من دعاة الكاثوليكية ، يكون مع فرانسوا موريلك وجورج دى هامل ثالوثا أدبيا فائقا للرجعية الفرنسية ، أكثر شعره دينى ٠ من أشهر مؤلفاته « الرهنية » « حذاء الشيطان » « الاناشيد العظيمة » ولد فى عام ١٨٦٨ ٠ أصبح عضو الاكاديمية الفرنسية فى عام ١٩٤٦ ٠

هذه القصيدة مخصصة لها · ولكنى شعرت سريعا أن الكلمة التى كنت أحملها فى أسى كانت كلمة « الحرية » ·

وبقوة كلمة
أبدأ حياتى ثانية
انى ولدت لأعرفك
لأسميك
أيتها الحرية ·

اذن كانت المرأة التى كنت أحبها تجسد امنية أعظم منها · كنت اخلطها مع اسمى ما تتوق اليه نفسى · ولم تكن كلمة الحرية هذه ذاتها ، فى كل قصيدتى ، الا لكى تخلد رغبة بسيطة جدا ، يومية جدا ، مطبقة جدا ، الا وهى الرغبة فى التحرر من المحتل · ان فكرة الحرية ، هذه الفكرة التى لا يد منها ، لمثل أعلى لا حدود له ، وكل خطوة تخطوها فى طريقها يجب أن تكون تحريرا · وبما أن المرأ لا يتحرر الا من شىء واحد فى المرة الواحدة · ففكرة الحرية تجد ذاتها فى فكرة التقدم ذاتها ، التقدم المستمر ضد الحتمية ، نحو هذا الحلم ، الحرية التامة ·

ولاجل ذلك يفضل الشاعر ابراز الغاية على ابراز الوسائل ، ابراز الهدف على ابراز الطريق · فينبغى للقصيدة أن تبعد الافق ، وتسير نحوه فى آن واحد · فمن مجهود الانسان يولد أفق جديد ، يزداد نقاءا دائما ، كماء خلال مصاف متزايدة الرقة ·

ان الذكرى تتلاشى ، لكن الوعى يدوم ، ولذلك أيضا يجب عدم الخلط بين اشعر الظرفى والشعر الالزامى ·

فالشعر الالزامى لا يمكن أن يطابق الا عرضا رغبة الشاعر وايمانه العميق واحساسه · ان الشعر الظرفى الحقيقى يجب أن ينبثق من الشاعر بدقة انبثاقه من مرآة أمينة للبشر الآخرين · انه ينطبق اذن على ما كان يسميه مایاكوفسكى بـ « الالزام الاجتماعى » للتفريق بينه وبين الزام الصدفة العابرة · الثابتة التى لا يمكن أن تنتقل من الظروف التى أحاطت بنشوئها لتصبح ملكا للمستقبل ·

وينبغى للظرف الخارجى أن يتفق مع الظرف الداخلى ، كما لو كان الشاعر ذاته قد خلقه · فيصبح عندئذ حقيقيا كعاطفة الحب القوية ، كالزهرة التى يلدها الربيع ، كحبور البناء للعيش · ان الشاعر يتبع فكرته ، لكن هذه الفكرة تقوده الى تسجيل اسمه فى طريق التقدم البشرى ، وقليلا قليلا ، يحل العالم محله ، ويغنى خلاله ·

ويحدث أن يكون الشاعر ، ضعيفا ، مثل ذلك الشاعر الذى عكس

مع ذلك أحسن من أى شخص آخر أمل زمانه وكفاح أهل زمانه ، واعنى روجيه دىليل الذى لم يكن يكتب الا اشعارا تافهة واغانى رعاة ، ولم يكن له ايمان عميق ، ولكنه التهب ، فجأة ، بشهاب مارق فأبدع نشيدا ما برح يجوب العالم متجاوزا جميع الحدود هو : نشيد المارسييز ·

من الذى يتكلم عن المارسييز ؟ هل هو الشاعر ؟ هل هو روجيه دىليل ؟ لا ، بكل تأكيد · هل هو زمانه ، أو أحداث زمانه ؟ نعم ولا ، لان هذاالنشيد ، حتى اليوم ، وفى أشد الظروف اختلافا ، يجسم غضب وأمل البشر ، توثبهم ، ونبلهم وايمانهم بالمستقبل ·

ليس المارسيليز نشيد انسان واحد ، بل نشيد الجميع الذين لن يجد فيه أبدا أحد ما بوسعه الى تبديله أو الاضافة اليه · وكذلك الحال مع اغنية « الكارمانيول Carmognole (١) » المجهولة المؤلف :

ماذا يلزم للجمهورى ؟
قلب ، وحديد وقليل من الخبز !
قلب لينتقم
وحديد للأجنبى
وخبز لاخوانه !

هذه الاغنية التى قال عنها بودلير انها سامية لانها مخالفةللصواب ، لانها صرخة العاطفة ·

ومع ذلك فهناك فى الكارمانيول صواب أكثر مما عند كثير من الفلاسفة ، لان شعبا يدافع عن نفسه ليعبر بمعركته ذاتها عن فلسفة تطور · وان الامل الذى يجرى فى غنائه يفوق هذه الاغنية · وسوف تستأنفه أصوات أخرى لانه ، رمز الدوام ، الامل الانسانى الذى لم يتم فيه أبدا ، ما دام رأس الانسان قد صنع للحصول على كل السعادة الممكنة ·

كتب أراغون فى تصدير « عيون ايلزا » : « أنا اغنى الانسان واسلحته ، ولم ابتدع لغتى لشىء آخر ، وقد جهزت منذ أمد طويل آلة الغناء لهذا الشىء دون سواه لا شىء آخر ·· أنا أغنى الانسان واسلحته ، وقد حان أوان ذلك أكثر من أى وقت آخر · »

لقد خرج الشعر الفرنسى ، رغم ما دأب عليه من عادات ، ورغم التحديدات والقمع ، من المحن التى كابدتها فرنسا اثناء سنى الحرب

(١) أغنية كانت تصاحب ضربا من الرقص الثورى فى عام ١٧٩٣ فى فرنسا ·

والاحتلال ، ناميا نموا عظيما · نما لان أفقه اتسع ، ولانـه كف عن الاعتقاد أن موضوعا أيا كان يفرض عليه · لقد وجد ، بلا تردد ، عنف العاطفة الوطنية بعد أن أضاعها ، اقترب من البشر التعساء ، أراد أن يقود الحرب على الحرب · وقد وجد في الحرب الصوت الجامع الذى أضاعه

وينبغى لهذا الصوت أن يسيطر ، لانه ينطبق مع رغبة الشاعر الخالدة التى هى العيش مكافحا ضد الكارثة والخراب · « وقد حان أوان ذلك أكثر من أى وقت آخر ··· نستطيع أن نعيد القول اليوم ، فتهديد الخطر يزداد ثقلا من جديد علينا · الا أن أمل البشر أصبح أكثر حيوية · فكيف لا يستطيع الشعراء أن يترجموا هذا الامـــل القـوى جـدا والبسيط جدا ؟

نظرية القانون الصرفة لهانز كلزن

والنقد العلمى لها

بالنظر لعزم الاستاذ ابراهيم كبة على طبع دراسته التى بدأها فى العدد الاول من هذه المجلة فى كتاب خاص يصدر قريبا ، فقد قرر عدم متابعة نشر المقال ، فنعتذر للقراء عن ذلك ·

بعض الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية

في ثورة الزنج [1]

بقلم : الدكتور فيصل السامر

لا بد للباحث في ثورة الزنج ـ شأنه في أية حركة تاريخية اخرى ـ ان يدرسها على اعتبار أنها نتيجة للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية السائدة في العصر الذي انبثقت فيه ؛ كما أن فهم هذه الحركة لن يتم اذا درست بمعزل عن الحركات الاخرى المعاصرة . ومن ثم يتحتم علينا ان نقدم ـ في هذه الصفحات ـ ثورة الزنج داخل اطار من الافكار العامة التي نعتقد انها لازمة لتصوير الاوضاع القائمة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حيث قامت الحركة موضوع البحث .

ثمة ناحية هامة ميزت هذا العصر هي الدعايات الدينية العلنية والسرية التي كانت بمثابة الثوب الذي تسترت به كافة الحركات الاجتماعية والاقتصادية في العالم الاسلامي آنذاك . واذا قلنا الدعايات الدينية فانما نعني ما تفرع عن الشيعية من عقائد مغالية قليلا أو كثيرا ، مثلت في مجموعها المظهر الديني لحركة المعارضة ضد النظام القائم ، على اعتبار انه نظام جائر لا يقوم على سند من القرآن والسنة . ويمكن القول ان حركات الخوارج والزنج والقرامطة والاسماعيلية وغيرها التقت جميعا في الدافع والهدف : كانت تعبيرا عن السخط العام على الحكم العباسي ، ومحاولة لازالة هذا الحكم واقامة نظام آخر يحقق العدالة الاجتماعية التي بشر بها الاسلام الاول . وقد لقيت هذه الدعوات صدى عميقا في نفوس الناس وتغلغلت في صفوف الفلاحين والصناع بشكل ارعب الحكومة القائمة . وثمة حقيقة ذات صلة بهذا الموضوع هي ان أية حركة تقوم في البيئة الاسلامية الوسيطة ، لا يمكن أن يقدر لها النجاح ما لم تستند الى صبغة دينية تكسب اهدافها الاجتماعية والاقتصادية صفة الشرعية لدى عامة الناس .

---

(١) بدأت ثورة الزنج في ليلة السبت ٢٨ وقيل ٢٦ رمضان سنة ٢٥٥ هجرية الموافق ١٠ أيلول سنة ٨٦٩ م وانتهت بمقتل صاحب الزنج واستسلام جيشه في ٢ صفر سنة ٢٧٠ هـ الموافق ١١ آب ٨٨٣ م .

ولما كان على بن محمد ـ صاحب الزنج ـ ابن بيئته ووليد عصره ، فانه لم يشذ عن هذه القاعدة ، بل كان أشد ما يكون الدعاة براعة فى استغلال الشعور الدينى فى بداية حركته بصورة خاصة . لقد كان على بن محمد رجلا فقيرا من غمار العامة ليس له سند من مال أو سلطان أو عشيرة ، وكان يقف وحده ضد الخلافة ذات القوة والحول ؛ لذلك ادعى النسب العلوى واضفى على آبائه واجداده ثوب المجاهدين العلويين ، ثم ادعى القدرة على التنبؤ بالغيب ومعرفة ما تبطنه قلوب اتباعه ، وانه شخص ملهم يسدد خطاه الوعى ويهيب به صوت خفى ان يفعل ما يفعل . ومن الطريف انه انتفع بالاسرائيليات فقال ان اوصافه ذكرت فى التوراة . هذا ما يقوله بعض المؤرخين ، غير ان آخرين انكروا ادعاءه النبوة وقالوا انه اكتفى بالامامة . ومهما يكن من أمر فان صاحب الزنج كان يعلم حق العلم ان دعوته ما كانت لتصل الى ما وصلت اليه من الرواج والنجاح ، الا اذا اضفى على نفسه هذا الطابع الروحى ، واظهر نفسه بمظهر المهدى الذى جاء ليملأ الارض عدلا بعدما ملئت جورا : انها عقيدة المهدى التى لعبت دورا خطيرا فى تاريخ الفكر الاسلامى !

هكذا بدأ على بن محمد ، غير انه ـ وقد اتخذ الزنج مادة لدعوته ـ ادرك انه من الصعب على هؤلاء العبيد المجردين عن كل ثقافة تقريبا ان يتفهموا المبادىء الشيعية المعقدة التى تستند الى نزعة روحية مجردة ، كما انهم ـ لو تفهموها ـ فلن يتحمسوا لها كثيرا ، لانها تدعو الى حق آل على وحدهم فى الخلافة ، ذلك الحق الموروث الذى لا يمكن أن يكون لغيرهم . واين هذا من عقيدة الخوارج التى تقول بانتخاب الافضل بين المسلمين لامامتهم ولو كان عبدا حبشيا ؟ ادرك على بن محمد ان هذه العقيدة البسيطة الجذابة ستلقى كل قبول لدى اتباعه السود ، لانها ستضعهم على قدم المساواة مع غيرهم من المسلمين البيض ، بل تساويهم حتى بذوى الدم الازرق من اصحاب الحسب والنسب . الم يدعو الاسلام الاول الى المساواة بين السود والبيض والعرب والعجم ؟ ومن ثم كان شعار حركة الزنج الذى نقش على رايتهم وضرب على نقودهم (١) هذه الآية الاثيرة التى طالما رددها الخوارج ، « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » وكانت صرخة الحرب لديهم صرخة الخوارج التى جعلوها دستورا لهم « الا لا حكم الا الله » .

(١) توجد من نقود الزنج قطعة ذهبية فى المتحف البريطانى وأخرى فى باريس ضربتا فى المختارة عاصمة الزنج .

شهد النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى ـ تطورا اقتصاديا خطيرا ، فقد انتقل المجتمع الاسلامى من الزراعة الضيقة الى الزراعة الواسعة الكثيفة التى قامت على اكتاف جماعات كبيرة من العبيد أو الفلاحين نصف الاحرار فى الاقطاعات الكبيرة وبخاصة فى العراق الجنوبى · لقد نشأ الاقطاع فى العالم الاسلامى على غرار يختلف عما نجده فى اوربا الوسيطة ولاسباب اخرى تماما · فكلنا يعلم ان غارات النورمان والسلاف والعرب على أوربا كانت سببا رئيسيا فى قيام الاقطاع فيها · فلما لم تكن هناك سلطة قوية تحفظ النظام وتوفر الأمن ، فقد شكل النبلاء اصحاب الاراضى جيوشا من الفلاحين رقيق الارض بحجة الدفاع عن كيانهم ، فلما زالت تلك الغارات ظل النظام الاقطاعى قائما واخذ يتعقد على مر الايام حتى فقد الفلاحون كل امتياز · فما هى الاسباب التى ادت الى قيام الاقطاع فى العالم الاسلامى ؟ لقد نشطت التجارة فى القرن الثالث نشاطا عجيبا ، وجنى التجار ارباحا طائلة جعلتهم فى مصاف اغنى الاغنياء ، ولما كانت الحكومة عاجزة عن اصلاح الاراضى البور وفى حاجة الى المال ملحة ، فقد أقبل هؤلاء الاثرياء على شراء الاراضى الواسعة أو التعهد باستغلالها واصلاحها وتقديم نصيب من غلتها الى الخزينة المركزية ؛ وقد لجأ هؤلاء الملاك الكبار الى استيراد جماعات ضخمة من عبيد شرقى افريقيا للعمل فى اراضيهم ما داموا يمثلون ارخص انواع الايدى العاملة · ولعل الاراضى المحيطة بالبصرة ـ التى شهدت حركة الزنج ـ كانت خير مثل لهذا النوع من الاقطاعيات ·

وثورة الزنج هى قيام هؤلاء العبيد الافريقيين ـ ومن انضم اليهم من الفلاحين البيض والاعراب ـ فى وجوه مالكيهم فى منطقة المستنقعات الممتدة بين البصرة وواسط ـ وهى البطيحة ـ كرد فعل للمعاملة القاسية التى لقوها من جانب أولئك السادة ، بزعامة على بن محمد الذى اشتهر بلقب « صاحب الزنج » · لقد كان الزنج اعدادا ضخمة هائلة جيىء بهم من افريقية الشرقية ـ زنجبار والصومال ـ ومثلوا تجارة الرقيق الاسود الرائجة فى المجتمع الاسلامى الوسيط ، بل وظلت رائجة حتى عهد قريب على ايدى تجار الرقيق الاوربيين الذين اعتبروا افريقية الشرقية معينا لا ينضب للحصول على ادوات الانتاج الرخيصة· لقد استقدم هؤلاء العبيد فى ظروف سيئة وزرعوا فى الاراضى البور السبخة قرب البصرة حيث تمتد المستنقعات فى الجزء الادنى من دجلة والفرات · وكان واجبهم أن يزيلوا الطبقة الملحية التى تكسو الارض واعداد التربة للزراعة ، ثم نقل السباخ على ظهورهم وظهور الدواب

الى اطراف تلك الاراضى ، وجعله فى اكوام وتلال ضخمة للاستفادة منه فى اغراض أخرى ٠

أما عن العمل الذى قام به هؤلاء العبيد وما رافقه من احوال ، فما أظن عملا آخر يوازيه مشقة وبؤسا ٠ ويبدو من دراسة المراجع المعاصرة انهم كانوا يوزعون على قطع الارض بشكل عصابات كبيرة العدد يتراوح عدد الواحدة منها ما بين المآت والآلاف ، ونستطيع أن نكون فكرة عن اعدادهم اذا علمنا أن جيش الثورة التى قاموا بها بلغ ثلاثمائة ألف محارب على أقل تقدير ٠ ومما هو جدير بالملاحظة أن هؤلاء الرقيق لم يكونوا على هيئة أسر أو عائلات بل كانوا فى الغالب رجالا عزابا ابعدوا عن ذويهم فى وطنهم الاصلى ، وما أظن أحدا ينكر قيمة العامل العاطفى والجنسى فى زيادة سخطهم وتذمرهم ، هذافضلا عن ان العلاقة بينهم وبين اسيادهم كانت أبعد ما تكون عن العطف والمودة والانسجام ٠ ودونك مثلا يمثل غاية ما يصل اليه الحقد وتبلغه الكراهية : حين بدأت حركة الزنج قبض على بن محمد على جماعة من الوكلاء ـ الذين ينوبون عن الاقطاعيين فى الاشراف على اراضيهم وعبيدهم ـ وقال لهم « قد اردت ضرب اعناقكم لما كنتم تأتون الى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم وجعلتم عليهم مالا يطيقون ٠٠ » فقالوا له : « ان هؤلاء أباق وهم يهربون منك فلا يبقون عليك ولا علينا فخذ مالا واطلقهم ٠٠ » فما كان من صاحب الزنج الا أن أمر ببطح هؤلاء الوكلاء العبيد فاشبعوهم ضربا ، وبذلك انتقم العبيد لاول مرة من سادتهم بالامس ، ومن ذلك اليوم بدأ العداء على أشده بين الملاكين والزنج ، واعلنت الحرب دون هوادة ، واتسمت حتى النهاية ـ مدة اربعة عشرة سنة ـ بالعنف والحقد من الجانبين ٠

كان الزنج يعملون دون أجر باعتبارهم رقيقا مملوكين ، وكانت ظروفهم الاقتصادية فى غاية السوء ، ولم يزد طعامهم عن قليل من الطحين والتمر والسويق ـ وهو طعام يصنع من الدقيق والتمر معا ما زال غذاء شعبيا للسود فى البصرة حتى هذا اليوم ! ـ وهذا أمر يخالف الشريعة الاسلامية تماما فقد أثر عن الرسول انه قال « لا تحملوا العبيد ما لا يطيقون واطعموهم مما تأكلون » ٠ وثمة ملاحظة أخرى هى ان الاحوال الصحية التى عاش فيها الزنج كانت جد سيئة ، فقد كانوا يعملون الساعات الطويلة فى مناطق موبوءة تمتد فيها المستنقعات الاسنة ، ويعيشون فى العراء أو فى اكواخ مصنوعة من الطين والنباتات ٠

لقد اختار على التربة الصالحة لبث دعوته ، فقد ادرك ما كان يلاقيه الزنج من العنف فى قرات البصرة ، فاتصل بهم وعاش بينهم وظل فترة يستقصى احوالهم الاجتماعية والاقتصادية • ويروى أنه سأل أحد العمال المكلفين بنقل المؤن للزنج « عن اخبار غلمان الشورجيين (١) ، وما يجرى لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر » • ولعل أكبر دليل على سوء حالة الزنج اقبالهم على الدعوة بشكل منقطع النظير ، وقد امتلأوا بالجذل والحماس حين بذل لهم الوعود البراقة ، واخبرهم أنه لم يخرج لغرض من اغراض الدنيا « وما خرج الا غضبا لله ، ولما رأى عليه الناس من الفساد فى الدين » • ثم افضى اليهم ببرنامجه الضخم بهذه العبارة التى ذكر المؤرخون انه ضمنها خطبته فيهم يوم عيد الفطر سنة ٢٥٥ هـ « انه كان يريد أن يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الاموال » • وحين سرت اشاعة بين جماعة من الزنج الفراتية (٢) ان مالكيهم كانوا لا يفترون عن اغراء زعيمهم على بتسليمهم اليهم باذلين له خمسة دنانير عن كل رأس ! جمعهم وأكد لهم بأنه لن يفعل ذلك مهما بذل له من المال ، واستمر صاحب الزنج يغذى فيهم هذه الروح الثائرة الحانقة ويقنعهم بأنهم أهل لان يعيشوا ويتمتعوا بطيبات الدنيا كما يتمتع بها أسيادهم •

أشرنا الى أن حركة الزنج كانت فى بدايتها ضد ملاك الاراضى والعبيد ، لذلك وقف هؤلاء الملاك فى وجهها وقفة قوية وقاوموها ما وسعهم ذلك ، فلما اخفقوا فى صد تيارها العنيف ، أخذت الدولة على عاتقها ـ استجابة لنداء أهل البصرة ـ قمع هذه الحركة التى وصمها المعاصرون بانها تهدد حرمة الدين والمعتقدات السائدة والنظام القائم • لقد شعر ملاك الاراضى بأن نجاح هذه الحركة يعنى فقدانهم لمورد مالى كبير ، لان قوام ربحهم انما يقوم على تسخير اعداد العبيد الكبيرة فى الزراعة الكثيفة • وقد حصل ذلك فعلا لان غارات الزنج على المناطق الجنوبية ادت الى شلل الزراعة وتعطل التجارة ، كما ان استيلاءهم على الابلة وعبادان والاهواز والبصرة وتهديدهم طريق بغداد الرئيسى ، أثر على مركز الدولة المالى والاقتصادى فضلا عن استقرارها السياسى ؛ ويكفى انهم حرموا الخلافة من واردات الزراعة والتجارة فى هذه المناطق الشاسعة الغنية • ان هذا يعلل الحماس الذى أظهره ابو احمد الموفق فى قمع هذه الثورة الخطرة ، حتى انه كرس لها كل جهوده ، بل

(١) الزنج الذين يعملون فى نقل السباخ •
(٢) نسبة الى قرات البصرة •

وتغاضى عما كان يفعله يعقوب الصفار فى فارس واحمد بن طولون فى مصر وسورية من اقتطاع ولايات الخلافة والاستقلال بها فى هذا الوقت بالذات ٠

لقد كانت حركة الزنج أول حركة جدية تمخض عنها القلق الاجتماعى فى القرن الثالث ، ويبدو انها كانت الشرارة التى اشعلت نار الافكار ، فلم تلبث السنين القادمة أن شهدت حركات مماثلة خطيرة نالت من النجاح أكثر مما نالت حركة الزنج ٠ والحق أنه فى الوقت الذى كانت حركة الزنج تجرى احداثها الدامية الرهيبة فى الساحة الممتدة بين البصرة وواسط ، كان القرامطة ينشرون دعوتهم العنيفة بين الفلاحين فى السواد ، وانه وان لم يوفق حمدان قرمط وصاحب الزنج الى اقامة تعاون بينهما كما حاولا ، فمما لا شك فيه أن حركة الزنج عملت على تهيئة الجو لينشر القرامطة دعوتهم على أساس برنامج فكرى واقتصادى واجتماعى شامل منظم لم يكن يتوافر فى دعوة الزنج التى كانت مجرد محاولة لتحسين حالة طبقة العبيد ٠ هذا فضلا عن وجود اشارات غامضة الى وجود تفاعل ـ غير تام ـ بين الحركتين مما دعا البعض الى الاعتقاد بتأثر صاحب الزنج بمبادىء القرامطة ٠ ومهما يكن من أمر فنحن لا نستطيع فى هذه العجالة أن نناقش هذه الامور الهامة بشىء من التفصيل ٠

ان ثورة طبقة اجتماعية مضطهدة فى سبيل نيل حقوقها ، أمر يعرفه التاريخ القديم والحديث حق المعرفة فى الشرق والغرب على السواء ؛ ونحن اذا جردنا حركة الزنج من صبغتها العقائدية الظاهرة، ودرسناها على أساس انها حركة الرقيق الاسود ضد النظام الاجتماعى السائد ، وجدنا انها تشبه ـ فى الدافع والهدف ـ حركات العبيد فى رومة القديمة ٠ ذلك ان امتلاء الريف الرومانى بالعبيد بسبب رغبة النبلاء فى استغلالهم فى الزراعة ، وسوء وضعهم المعاشى والاجتماعى والرقابة الصارمة التى فرضها عليهم اسيادهم ، كل ذلك ادى الى قيام ثورتين خطيرتين ، قاد الاولى عبد سورى يدعى يونوس سنة ١٣٥ ق ٠ م فاحتل أكثر مدن صقلية ، وقاد الثانية سبارتاكوس سنة ٧٣ ق ٠ م فى كابوا فاحتل القسم الجنوبى من ايطاليا وهدد العاصمة ٠ غير ان الحكومة الرومانية استطاعت أن تقمع الثورتين وتنكل بالعبيد الثائرين أشد التنكيل وتعيدهم الى ما كانوا فيه من الشقاء كرة أخرى ، تماما كما فعل ابو أحمد الموفق بالزنج حين ظفر بهم فأعادهم الى حالتهم

الاولى (١) · واذا شئنا الاستطراد وجدنا امثلة مشابهة من التاريخ الحديث كحركة توسين لوقيرتور ، وكان افريقيا يعمل على رأس العبيد المسخرين فى الزراعة فى هايتى ، ثم قاد اتباعه فى ثورة تدعو الى تحرير العبيد فاعتقله الفرنسيون ومات فى السجن سنة ١٨٠٣ م · وليس العهد ببعيد بثورة الهنود فى النافال التى استمرت بزعامة غاندى حتى سنة ١٩٢٤ م · واخيرا فنحن ما زلنا نشهد الى اليوم حركات مماثلة فى خطوطها العريضة اينما قام استغلال للجنس البشرى على أساس غير انسانى ·

أهم المراجع

١ ـ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ·
٢ ـ ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ·
٣ ـ المسعودى : مروج الذهب ·
٤ ـ ابن الاثير : الكامل فى التأريخ ·
٥ ـ ابن الجوزى : المنتظم فى أخبار الامم ·
٦ ـ سبط الجوزى : مرآة الزمان (مخطوط) ·
٧ ـ الملطى : التنبيه والرد (مخطوط) ·
٨ ـ الاستراباذى : حاوى الاقوال ·
٩ ـ القيروانى : ذيل زهر الآداب ·
١٠ ـ Noldeke :—Sketches from Eastern History.
١١ ـ Massignon :—"The Zanj" Encyclopedia of Islam.
١٢ ـ Walker :—Arare Coin of The Zanj (J.R.A.S. July 1933.
١٣ Hutchinson :—The slave trade of East Africa.
١٤ Chafir :—L'Esclavage au point de vue Musulman.

(١) يختلف المؤرخون فى نهاية صاحب الزنج فمنهم من يقول انه قتل خلال المعركة التى جرت فى ٢ صفر سنة ٢٧٠ ، على حين يقول آخرون انه قبض عليه حيا ثم قتل بعد أن عذب ومثل به أشد التمثيل · وأما الزنج فقد قتل كثير منهم واستسلم آلاف آخرون وتفرق الباقون على شكل عصابات منهم من استسلم فيما بعد ، ومنهم من هاموا على وجوههم فى الصحراء فمات أكثرهم عطشا وتصيد الاعراب من تبقى واسترقوهم ·

الظروف الاجتماعية وعلاقتها

بالطب ، النفسى

مقتبس من مقال للدكتور فيكتور لافيت
بقلم : الدكتورة « هدى »

سادت حينا النظرة الى الوراثة البيولوجية الحتمية ، التى تستند الى قوانين مندل والتى تؤمن استحالة امكان تحوير مجرى التطور المسجل فى اعماق كل حجيرة من الحجيرات الحية ، مهما كانت الظروف العامة للحياة أو لفعالية الفرد الحامل لهذه الصفات · وكان من نتائج هذه النظرة الحتمية ما قام به الهتلريون من عقم للمرضى العقليين وللمناوئين السياسيين ولليهود ، وما تقوم به بعض المقاطعات فى الولايات المتحدة الامريكية من تشريع للعقم ، وتماثلها فى ذلك الدانمرك التى تمسك سجلا للمرضى العقليين الذين يمنعون عن الزواج ·

ويعود الفضل الى منشورين وليسكنوا فى تبيان الدور الخطير الذى تلعبه الظروف الاجتماعية فى الباثولوجى العضوى والعقلى من الناحية الوراثية · فقد أظهرا الصلة المتبادلة الموجودة بين الوراثة والتحول

توصل متشورين الى امكانية نقل الصفات المكتسبة وراثيا · وعمم ليسنكو هذه النظرة التى ينتج عنها ، ليس تحوير الوراثة فقط ، بل توجيه تطورها ، تحت ظروف خاصة ، الى الوجهة المرغوب فيها لمصلحة الفرد · فلم تعد هناك طفرات عمياء غير محتاط لها ، بل اتجاه واع فى التطور · باختيار اللحظة الملائمة والناحية المرغوبة · وبهذا أعطى ليسنكو أهمية علمية للنظرة اللامركبة ، بتأكيده على أثر الظروف الخارجية فى التطور وتغيير الوراثة ·

ان شروط المحيط فى المملكة الحيوانية ، التى يمكن أن تعمل على تغيير الوراثة وتحوير تطورها هى : التغذية ، الحرالة ، الضوء ، الرطوبة ·· الخ · ولكن ليس بامكاننا الانتقال من الحيوان الى الانسان ميكانيكيا ، فالانسان قبل كل شىء كائن اجتماعى ، ينتج وسائط وجوده بنفسه ؛ فبكفاحه ضد الطبيعة وسيطرته على اسرارها ،

وباستعانته بآلات وتكنيك خاص تضمن حياته ، حور طبيعته الخاصة تدريجيا · وقد أدت الحياة الاجتماعية التى يحياها الى نمو اللغة والتفكير والوعى · « فليس وعى الناس هو الذى يعين كيانهم ، بل على العكس من ذلك ، كيانهم الاجتماعى هو الذى يعين وعيهم · » وعلى هذا فعند التكلم عن ظروف البيئة للكائن البشرى ، يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار الحقيقة الاساسية بأن القوانين العضوية لا تطبق على الكائن البشرى الا من خلال ظروفه الاجتماعية ·

ان ذبذبات التطور العضوى للانسان بطيئة للغاية ، فمنذ العصر الحجرى الحديث لم يتغير تشريح وفسلجة الانسان الا قليلا نسبيا · أما تطور الاجتماعى فكان على العكس من هذا تماما ؛ ففى بضعة آلاف من السنوات ، عرف الانسان المجتمع البدائى ، المجتمع العبودى ، النظام الاقطاعى ، الرأسمالية ومنذ ١٩١٧ المجتمع الاشتراكى · · فعند بحث ظروف البيئة ، يجب أن نواجه الشروط الاجتماعية للحياة قبل كل شىء · وفى ثنايا هذه الظروف الاجتماعية ، تستمر القوانين البيولوجية نافذة المفعول ·

أظهر البروفسور هنرى فالون ، علاقة النمو الفيزيولوجى الطبيعى بالتطور النفسى ـ الاجتماعى · وذلك بأظهاره الصلة التى بين نمو الجهاز العصبى المركزى ووضعيات الجلوس ، الوقوف ، المشى ، نطق الكلمات الاولى ثم اتحاد الظروف لتعلم القراءة والعد · · · الخ · وتعيننا قصة الاطفال ـ الذئاب Enfants loups التى روتها جيزيل عن الطفلتين المتوحشتين اللتين عاشتا مع الذئاب ، على تقدير الدور الرئيسى الذى تلعبه الظروف الاجتماعية للحياة فى نمو الشخصية · فقد أظهرت بأنه رغم العناية التى بذلت خلال تسع سنوات ، لم تتوصل كبرى الطفلتين الى اكتساب العمليات التى تعتبر ابتدائية بالنسبة الينا ، كالوقوف والكلام ، الا بعدم اتقان · ولو انتقلنا من الفرد الى الجماعة ، لرأينا ان الجماعات المسماة بالمتأخرة ، لا يعود تأخرها الى ظروف بيولوجية أو بسيكولوجية ، ولكن الى ظروف التطور الاجتماعى ·

فاستنادا الى تعريف متشورين نتوصل الى أن ظروف البيئة وظروف الحياة تكون الظروف الاجتماعية للكائن البشرى ، وخلال هذه الاخيرة تعمل المؤثرات العضوية عملها ·

وعلى هذا الاساس ، علينا أن نبحث عن كيفية تأثير ظروف البيئة فى حالات الطب ـ النفسى Psychopathologie بتشجيعها اظهار

بعض الحالات الباثوجينية أو على العكس من ذلك بالعمل على منع ظهور وابطال الاستعدادات الوراثية ، أى بتغلبها على الحتمية البيولوجية

ولنأخذ مثالا لذلك حالات النفروس Nevroses التى تكثر حيث لا تتوفر الظروف الاجتماعية الملائمة لنمو الفرد الحر • فى مثل هذه المجتمعات يراجع عيادات الاطباء ، الكثيرمن المرضى المصابين باضطرابات تختلف بأشكالها ، صفاتها ، شدتها ، مدتها ومكانها ، دون أن يصحبها تلف عضوى Lesion organique يبررها ، وهى ما تسمى بالاضطرابات الوظائفية Trobles Fonctionnels التى قد تكون الاعراض الاولى لمرض عصبى ، فلا تلبث أن تتطور نفروس

ولو درسنا بأمعان تاريخ حياة بعض المصابين بالاضطرابات النفسية ـ الجسمية هذه Psycho-Somatiques وظروف معيشتهم ، لتبين لنا دائما وجود صدمات عاطفية Choes Emotif اى رد فعل الفرد تجاه بعض اختبارات الحياة الاجتماعية أو العائلية • فقد ينتج عن الفشل ، عدم العدالة ، مشاغل المستقبل ، الصعوبات المادية ، الانتباه العاطفى للواقع ، عن الحداد ••• الخ • اضطرابات وظائفية أو عصبية • وقد ثبت بالملاحظة ان هذه العوامل تكون أكثر فعالية اذا صادفتها تربة مستفزة بجروح سابقة Trountismes Antérieurs ـ وهنا تظهر فائدة دراسة التطور التاريخى للمريض ويبحث فيما اذا كان فيه استعداد بايولوجى ، وهنا ستصبح دراسة مجموعة الاجهزة المنظمة للجسم المريض ذات فائدة عظمى •

على هذه الفكرة النفسية ـ الجسمية ، استند التحليل النفسى الذى يأخذ بالنظرة الغريزية ـ العاطفية Instinctivo-affective للميول والنزوات البيولوجية المسجلة فى العقل الباطن على انها المحرك الاساسى لسلوكنا • فقد كتب فرانز الكساندر : « لا يعرض العقل الباطن الا تعبيرا عن الافكار البيولوجية المعاصرة التى تقبل كمبدأ أولى حقيقتين اساسيتين أو قوتين محركتين للحياة هما : الجوع أو حفظ النفس ، الجنس أو حفظ النوع • » •

ولكن على النقيض من هذه النظرة البيولوجية ، تبرهن المراقبة العيادية على أن لمشاكل الحياة اليومية ، وبضمنها نتائج التغيرات العميقة للقيم الايديولوجية Valeurs Idiologiques أى الخلقية والفكرية فى عصر عميق الاضطراب كهذا الذى نعيش فيه ، حيث يكافح العالم الرأسمالى الآخذ بالانهيار ، بيأس وعلى غير هدى • ليمد فى عمره بضع سنوات أخر •

هذ الظروف الاجتماعية ، تكون أخصب تربة لنمو النفروس Névroses بكافة استعراضاته الجسمية ـ النفسية · فالنظام الرأسمالى الآخذ بالتفسخ هو المسؤول عن الازدياد الكبير للاضطرابات العصبية التى يشكو منها العدد الغفير من مواطنينا المهضومى الحقوق · فهو المسؤول عن نقص التغذية وانتشار البطالة وتضييق التعليم فى كافة مراحله ، وعن التجويع الذى يفرضه على العدد الغفير من ابناء الشعب ، كما انه مسؤول عن نظام الاستغلال الاستعمارى الذى نقاسى ويلاته · فتحوير الظروف الباثوجينية للبيئة ، حسب مفهوم متشورين ، هو التوصل الى مجتمع يقضى على استغلال الانسان للانسان ، بحيث يعطى مجال الازدهار الحر لكل عضو من اعضائه ، فنتوصل بذلك الى نوع جديد من الانسان ·

وبانتظار التوصل الى هذا المجتمع ، لا بد لنا من الاهتمام بالظروف الحقيقية لمشاكل عصرنا · فانتباه المريض الى الظروف الحقيقية لاضطرابه الباثولوجى ، يلعب دورا علاجيا لا ينكر · فهو بأدخاله مصاعبه الشخصية ضمن مصاعب الهيئة البشرية ، ومعرفة اسبابها الحقيقية واحتمالات التغلب عليها ، ثم مشاركته فى النضال لاجل ابادتها ، كل هذا يؤدى بنجاح الى اختفاء اضطراباته الخاصة ، مع كل مظاهرها العصبية ·

فالفرد الواعى هو الذى يقرر سلوكه بالنسبة الى مشاكل بيئته الاجتماعية ، فيناضل ضد استغلال الايادى الاجنبية لموارد بلاده الطبيعية ، والدفاع عن حقوق شعبه ضد المطامع الاستعمارية ، يكافح لاجل تعميم التعليم ، للقضاء على البطالة ولاجل احلال سلم دائم · وبهذا يتحمل بسهولة كبيرة صدمات الحياة اليومية ، ويصبح أقل تعرضا للنفروس أو الاضطرابات النفسية ـ الجسمية · فلنا الحق أن نؤكد على ضرورة التوجيه الاجتماعى للاضطرابات العصبية وان نجعل من التبديل الاجتماعى علاجا لها ·

مجلة « لاريزون » (ص ٩١ ـ ١٠٤)
العدد الاول · السنة الاولى

مصادر الشك في كتاب العين (١)

بقلم : الشيخ محمد رضا الشبيبى

شك كثير من أئمة اللغة فى نسبة الاصل الذى وقع اليهم من كتاب العين الى الخليل بن أحمد الفراهيدى · واصبحوا من روايته على حذر · أى رواية الاقوال الواردة فى العين على انها اقوال الخليل نفسه ، ومن حق أولئك اللغويين أن يتسرب اليهم الشك فى صحة هذه النسبة ·

أما كيف حامت الظنون حول نسبة كتاب العين ومن هم اللغويين الذين صوبوا سهام النقد الى الاصل اللغوى المذكور حتى تضاءلت الثقة به ، وقل التعويل عليه · يبدوا لنا أن الازهرى صاحب التهذيب فى طليعة اللغويين الذين كشفوا ما فى هذا الاصل اللغوى من عوار · ويلاحظ أن الازهرى فى تهذيبه لا يتردد عن التحامل على كثير من أئمة اللغة ولكنه خص الليث تلميذ الخليل بأوفر نصيب من تجهيله والتحامل عليه · ولنا أن نقول أنه لم ينصفه فى كثير من الاحيان · والازهرى أول من لاحظ ان هذا الاصل المتداول من كتاب العين ليس للخليل وانما هو لتلميذه الليث ناقل كلام الخليل ·

والخلاصة : يرد الازهرى فى تهذيبه كثيرا على الليث وزعموا أنه نحل الخليل كتاب العين لينفق كتابه باسم استاذه المذكور وقد سمى الازهرى معجمه اللغوى التهذيب وهو يقصد تهذيب العين ولهذا وضعه على نسق كتاب العين وترتيبه ويبدوا من التأمل فى معجم الازهرى أن مؤلفه درس كتاب العين دراسة دقيقة أوقفته على كنه هذا الكتاب وحقيقته وهى أن هذا الاصل المتداول ليس للخليل وكيف لا يكون ذلك كذلك وفى غير مادة من مواد كتاب العين نجد هذه العبارة قال الخليل ، أو ، يقول الخليل أو قال غير الخليل ، والمرجح أن الازهرى اقتنى نسخا عدة من كتاب العين تختلف نصا ورواية وعنى بمقابلة بعضها على بعض زيادة فى الدقة والتمحيص والدليل على ذلك ما قاله الزبيدى فى مادة (علهص) وهذا نصه « قال الازهرى » هذا كله بالصاد المهملة ، قال ورأيت نسخا كثيرة من العين مقيدا بالضاد المعجمة ·

---

(١) نص محاضرة الشيخ محمد رضا الشبيبى فى حفلة افتتاح المؤتمر اللغوى فى القاهرة فى يوم الاثنين ١٤-٢-١٩٥٣ ·

اشتهرت بعض نسخ العين عند اللغويين والادباء ومن نسخه المعتمدة نسخة (الزوزنى) شارح المعلقات ونسخة (الحاتمى) اللغوى المشهور ٠

امتاز الازهرى كما قلنا بتحامله على كثير من اللغويين واليك ما قاله فى ابن دريد وهذا نصه (وممن ألف الكتب فى زماننا فرمى بافتعال العربية وتوليد الالفاظ أبو بكر بن دريد وقد سألت عنه ابراهيم بن عرفة فلم يعبأ به ولم يوثقه فى روايته والفيته على كبر سنه سكران لا يكاد يفترى عن ذلك) هذا مثال من تحامل الازهرى على اللغويين وابن دريد هو صاحب المقصورة التى عنى بشرحها ابن خالويه الامام اللغوى المشهور ومن مؤلفات ابن دريد كتاب الجمهرة فى اللغة ، ومن اللغويين الذين حذوا حذو الازهرى فعنوا بنقل بعض النصوص عن العين ولم ينسبوها الى الخليل اللحيانى والصاغانى وغيرهما ومعنى ذلك أنهم يشكون فى نسبة ذلك الكتاب اليه أما ابن منظور صاحب لسان العرب فقد نسب الى الازهرى اقوالا هى فى الواقع لصاحب العين والغالب أن صاحب اللسان لم يملك نسخة من كتاب العين أو لم تكن فى حوزة يده نسخة منه وانما عرفه عن طريق النقل ورواية الرواة ويعول صاحب اللسان فى هذا الشأن على كتاب التهذيب للازهرى غالبا ولذلك نجده يقول فى كثير من المواضع (حكاه الازهرى عن الليث) ٠

الى هذا ونحوه مرد كثير من الشك فى نسبة كتاب العين الى الخليل وربما كان الازهرى فى نقده وغمزه لليث سببا من أهم أسباب التشكيك فى الكتاب المذكور وضعف عناية اللغويين به واعتمادهم عليه، وقد لاحظ النظار من اللغويين أن آخر كتاب العين لا يناسب أوله أو مقدمته التى تدل على أن واضعها باقعة فى الذكاء وجودة الذهن والتفكير ٠ واذا رأينا الشك يساور أئمة اللغة فى نسبة هذا الكتاب الى الخليل ابن احمد اجمالا فان اكثرهم لا يشك بأن مقدمة العين وما اشتملت عليه من فلسفة لغوية واسلوب مبتكر فى البحث عن مخارج الحروف واحصاء ابنية الكلم وما الى ذلك انما هو للخليل ما فى ذلك من ريب ولا يستكثر هذا على صاحب العربية ومخترع فن العروض وغيره من الفنون ومن رأى بعضهم ان الخليل عنى اولا بالفلسفة ثم بالنجوم الا انه عدل عن ذلك الى اللغة ٠ ويقال كان جميع النحاة من أهل الاهواء الا أربعة أولهم الخليل ٠ وكان للخليل رأى فى أصول اللغة ومبادىء المنطق وهو مؤسس فلسفة اللغة العربية وقال آخرون ان الهمزة لم

ترسم الا فى عصر الخليل وقدر الخليل انها نوع من الضبط يوضع على الحروف ٠

لا يزال كتاب العين فى جملته مخطوطا ولكن نسخه المخطوطة غير نادرة وتوجد فى العراق غير نسخة من الكتاب وكان الاستاذ اللغوى العراقى انستاس الكرملى شرع بطبعه سنة ١٩١٤ واقتنى لهذا الغرض ثلاث نسخ مخطوطة عورض عليها ما طبعه منه وهو لا يزيد على ثلاثة كراريس أو نحو ذلك ثم عاقته الحرب العامة الاولى عن انجاز طبع الكتاب ٠

ـ أحسن تأليفى هو ما لم يكن عليه أدنى اقبال مثل « التاريخ الهزلى » و « جان دارك » ، وأفقر تأليفى هى التى يطريها جميع الناس مثل « تاييس » و « الزنبقة الحمراء »

ـ لماذا أتجه نحو الاشتراكية ؟ أولى بالمرء أن يذهب من نفسه من أن يسحب بالقوة ٠

ـ أجمل المواضيع أبسطها وأعراها للناظرين ٠

ـ اصقل دائما عبارتك فينتهى الامر بأن تنجلى ٠

أناتول فرانس

مفاهيم في الفهم القصصي (١)

بقلم : **نهاد التكرلى**

كنت قد علقت فى معرض حديثى عن العدد العاشر من مجلة « الآداب » على مقال للدكتور بهى‌الدين زيان بعنوان « الى الدعاة » وعلى أقصوصة « الطريق » للدكتور سهيل ادريس فبينت رأيى فيهما عرضا وحسبما يسمح به المجال المخصص لموضوع « قرأت العدد الماضى من الآداب » • وقد رد الدكتوران المحترمان على تعليقى فى العدد التالى ، فذكر الدكتور زيان بعض الايضاحات حول مقاله مما جعلنى اعتقد بانى يمكن أن ألتقى معه عند آراء كثيرة وان بقيت هنالك نقاط اختلف معه فيها • وانى اشكر الكاتب المحترم على كلمته التى كانت مثالا للنقد الموضوعى البعيد عن الانفعالات الشخصية وارجو أن تكون روحه الرياضية نموذجا يحتذيه كثير من الكتاب العرب الذين لا يطيقون النقد ، أما الدكتور سهيل ادريس فيبدو ان تعليقى على اقصوصته لم ينل رضاه • ومع ان الكاتب المحترم يعلم حق العلم بانى لم اكتب تعليقى هذا الا بناء على طلبه ومع علمه بان المجال فى باب مثل « قرأت العدد الماضى » لا يسمح بأكثر من سرد بعض الآراء الموجزة العابرة ، الا ان هذا لم يمنعه من المغالطة فى تفسير هذه الآراء ووصفها بانها لا تستند الى أى حجة أو استشهاد ، ومهما يكن من أمر فقد رأيت من

هذا المقال فى أصله رد على مناقشة اثارها تعليقى على أحد اعداد مجلة (الآداب) البيروتية • وكان فى العدد المذكور اقصوصة بعنوان « الطريق » للدكتور سهيل ادريس فنقدتها مع جملة المواضيع التى كان يحتوى عليها العدد • وقد رد الدكتور ادريس على نقدى فى العدد التالى من المجلة ، وكان رده كما لا حظت محتويا على كثير من الآراء المغلوطة والتفسيرات التى لم أقصدها فى تعليقى السابق ، فرأيت من الضرورى أن اكتب هذا المقال موضحا فيه بعض آرائى السابقة التى كنت قد بينتها بصورة موجزة وحسبما يسمح به المجال المخصص للتعليق على العدد • فكان بودى أن ينشر هذا المقال فى المجلة نفسها ليطلع عليها القراء الذين تابعوا المناقشة من أولها وقد ارسلته الى مجلة « الآداب » ، غير ان الدكتور سهيل ادريس اعتذر عن نشره بالنظر لانه طويل جدا كما يقول ، وقد اعاده الى راجيا اختصاره ليمكن نشره فى احد الاعداد القادمة من المجلة •

ولما كان نشر مثل هذا الرد بعد شهرين أو أكثر عديم الفائدة بالنسبة للقراء ، فضلا عن عدم وجود ضرورة لاختصاره ، فقد وجدت من الاحسن تقديمه الى قراء « الثقافة الجديدة » كما كتب ومن دون أى حذف أو تغيير ، عسى أن يجدوا فيه بعض الفائدة التى توخيتها من كتابته •

واجبى ان اوضح بعض المفاهيم القصصية التى عرضتها فى تعليقى لاثبت ان « التهافت والاضطراب » قد يكون موجودا فى الفهم نفسه أحيانا لا فى الآراء التى تكون موضوعا لهذا الفهم ٠

قلت فى تعليقى السابق بان الفن القصصى فى نظرى ليس سوى خلق عالم خاص تتحرك فيه شخصيات « حية » ترتبط بهذا العالم أوثق ارتباط ، وان الهدف الرئيسى الذى يجب ان يستهدفه القصصى هو احداث حركة سحرية فى ذهن القارء بحيث تستحوذ على خياله ويرتسم بواسطتها هذا العالم السحرى أمام عينيه ، والدكتور سهيل ادريس يقرنى على هذا الرأى وهذا أمر حسن ! ولكن هل معنى كلامى هذا بانى لا ارى أية كيفية لخلق هذا العالم ، أو ان من الممكن أن يكون هنالك عالم خاص بدون موضوع ؟ انى على العكس من ذلك قد حاولت التأكيد الى أصى حد ممكن بان التقنية(١) لا يمكن فصلها عن الموضوع فى الفن القصصى وبان الدكتور سهيل ادريس نفسه كان مخطئا عندما درس القصة العراقية باعتبار التقنية منفصلة عن الموضوع فكيف يفهم من كلامى بان العالم القصصى يمكن ان يوجد بدون موضوعه ؟ هل انى اسأت التعبير أم ان الدكتور سهيل ادريس اساء الفهم ؟ ذلك ما ساحاول توضيحه الآن :

لقد قلت فى تعليقى السابق بان التقنية والقيمة الفنية فى فن كالفن القصصى هى التى تخلق الموضوع ٠ ومعنى ذلك ببساطة ان القصصى عندما يستطيع ن يخلق عالم قصته السحرى أمامنا فانه يخلق ضمنا موضوع هذا العالم اى الاشخاص الحية التى تتحرك فيه بجميع انفعالاتها وافكارها والحوادث التى تقع لها ، فالكيفية هنا « موجدة » للموضوع والموضوع هنا مرتبط ارتباطا وثيقا بالكيفية بحيث لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ، اما عندما يفشل القصصى فى خلق هذا العالم فلن يبقى هنالك موضوع ، ومعنى ذلك انه لن يبقى (موضوع قصصى) أى لن تبقى اشخاص حية ولن يرتسم عالم خاص فى ذهن القارىء بل ستكون هنالك آراء وكلمات فقط وهذا ليس بالموضوع القصصى ٠ وهذا هو النقد الذى وجهته للدكتور سهيل ادريس الذى قلت عنه بانه درس القصة العراقية باعتبار التقنية فيها منفصلة عن الموضوع لا باعتبارها موجدة له ٠ غير ان الكاتب المحترم لا يزال مصرا على رأيه وهو يقول بانه قد « اثبت فى تلك الدراسة ان

---

(١) التقنية : يعنى بها الكاتب التكنيك أو الصياغة كما يسميها البعض ٠
(الثقافة الجديدة)

الموضوع موجود فى القصة العراقية ، وانه قوى جدا فى عدد من القصص والروايات ، ولكن التقنية والفنية معدومتان أو ضعيفتان فى هذه الآثار · وضعف الحمالية فى اى أثر أو حتى انعدامها لا يعنى اطلاقا ان الأثر ليس ذا موضوع » · وهنا اود ان اناقش هذا الرأى بطريقة اوضح فيها مفهومى فى الفن القصصى بقدر ما اثبت فيها بطلان هذا الرأى الذى لم يعد يصح الأخذ به بعد التقدم الهائل الذى حققته القصة الحديثة(٢) ·

هنالك كثيرون يعتقدون – ومن جملتهم الدكتور سهيل ادريس ، ولعله يؤلف اقاصيصه أيضا وفق هذا الاعتقاد – بأن القصصى عندما يكتب قصة معينة يمر فى مرحلتين مختلفتين ، احداهما مرحلة الفكرة أو الموضوع « « Sujet » » والاخرى مرحلة التعبير عن هذا الموضوع بشكل فنى وهو ما يسمى بالتقنية « Technique » أو الطريقة الفنية التى يكتب بها الموضوع · فالقصصى وفق هذا التصور يفكر فى موضوعه أولا ، وليكن هذا الموضوع فلسفيا كفكرة الحرية أو مشكلة الموت أو ما أشبه أو اجتماعيا كفكرة اضطهاد الزنوج مثلا ، أو اذا كان قصصيا ملتزما كالدكتور سهيل ادريس فسيكون موضوعه مأساة فلسطين أو الوطنية أو « البرودة القومية ·· الخ · وبعد ان يستكمل القصصى افكاره وينتهى من تنظيمها يبدأ بالباسها ثوبا فنيا فيصبها على هيئة شخصيات وحوادث معينة تسرد بكيفية معينة ، ومن الجائز وفق هذا التصور ان يعبر القصصى عن فكرته أو موضوعه بطرق فنية مختلفة ولكنه يختار واحدة منها لانه يراها ملائمة أكثر من غيرها للتعبير عن هذا الموضوع ، كما ان التقنية وفق هذا التصور ستكون قابلة للفصل دائما عن الموضوع ، وهى اذا كانت ضعيفة أو معدومة فلا يعنى هذا ابدا بان الموضوع ليس موجودا كما يقول الدكتور سهيل ادريس بل على العكس سمكننا الاعجاب بالموضوع والاحتفاظ بقيمته الفلسفية والاجتماعية بغض النظر عن تقنيته ، وبهذه الطريقة البارعة يمكننا انقاذ أكبر عدد ممكن من القصص والقصصيين ، اذ سنستطيع القول ببساطة عن قصة لا قيمة فنية لها بان موضوعها عظيم أو على العكس سنقول عن القصة ذات الموضوع التافه بان تقنيتها رائعة ، وهكذا نرضى القصصيين أو اتباعهم ونرضى نفسنا كنقاد لان النقد عندئذ لن يحتاج الى عناء كبير بل كل ما على الناقد فعل هو أن (يكتشف) الموضوع

(٢) راجع المقال الذى نشرته فى مجلة « الاديب » عدد أبريل لسنة ١٩٥٣ بعنوان « التطور الفنى للقصة الحديثة » ·

أولا ثم يرى باية كيفية عبر عنه القصصى ٠

ولكن المؤسف أن مثل هذا التصـور للفـن القصصى خاطىء من اساسه لانه مبنى على وهم فكرى وهو ان جاز قبوله فى الازمنة السابقة وامكن تطبيقه على القصص الكلاسـيكية فلا يمكن قبوله وتطبيقه فى العصر الحاضر ٠ ذلك ان مشاكل التقنية فى الفن القصصى مشـاكل « موضوعية » ولا يمكننا مهما فعلنا ان نتصور تقنية صرفة لان « بناء » القصة يستقر دائما على نوع من التصور الاخلاقى أو النفسى ٠ فالقصصى الحق لا يتصور افكارا مجردة بل اشخاصا احيـاء ويوجههم كمـا يريد وهو لا يتخيل مواضيع صرفة كالوطنية أو الحرية بل يتخيل عالما زاخرا بالحياة تكون الوطنية أو الحرية معنى من معانيه ، ولذلك فلا يمكن أن أن يوجد « تصور » من جهة و « تقنية » من جهة أخرى بحيث يمكـن فصلهما واقامة علاقة بينهما « من الخارج » بل الصحيح هـو ان كل تقنية لا بد ان تمتلك معنى أى ان تكون ذات دلالة « Significative » وان المعنى القصصى لا يمكن ان يوجد الا متحققا بواسطة تقنية معينـة وهذه هى الخاصة الفريدة التى يتميز بها الفن القصصى وهو ما قصدته من قولى بانه خلق عالم مخصوص تتحرك فيه شخصيات حية ترتبط بهذا العالم أوثق ارتباط ، فالشخصية القصصية « الحيـة » ليست (فكرة) ترتدى ثوبا فنيا بحيث يمكن ان نجردها من ثيابها فتبدو عارية على هيئة فكرة ، بل عكس هذا هو الصحيـح أى ان كيفية تركيبهـا وخلقها كيفية ذات معنى واذا انعدم هذا التركيب أو انهار انعـدمت معه حياة الشخصية القصصية نفسها وعندئذ لن نستطيع مهما بحثنا ان نعثر على روحها بصورة منعزلة ٠ صحيح ان التقنية تثيردائما فكرة الآله أو الاداة غير ان هذه الفـكرة يجب الا تحملنا على التصور بان القصصى انسان يملك افكارا من ناحية وادوات من ناحيـة اخـرى (لايصال) هذه الافكار الى القارىء ، ومن ثم فانه يستطيع ان يختـار هذ الاداة أو تلك لايصال نفس الفكرة الى القراء ، لقد شـبه الناقد الفرنسى المعاصر جان بويون التقنية فى القصة « باليد الانسانية التى تمسك بالاداة لا بالاداة نفسها » وهذا تشبيه صحيح ، فكما ان معنى الحركة كامن فى اليد التى تقوم بها لانها يد حية وان المعنى هنا لا يمكن فصله عن اليد مهما شرحنا هذه الاخيرة ومزقناها فكذلك التقنية فى القصة لا بد ان تدل على معنى معـين هو موضوع القصة ، ولا يمكن فصل الواحد عن الآخر أو الحـكم عليه بصـورة مفصلة ، وهكذا فان القصصى الحديث لا يكون لنفسه موضوعا فكريا مجردا ثم يخلقه على

هيئة شخصيات وعالم قصصى بل هو يخلق عالم قصته باعتبار الكيفية التى يوجد بها العالم والشخصيات التى تعيش فيه تدل على موضوع معين · وبمقدار توسع هذا العالم وتطور شخصياته يتوسع الموضوع ويتطور حتى يستكمل بناءه فى النهاية ·

واعتقد ان من الواضح بعد هذا بان اقرار الدكتور سهيل ادريس لى بأن الفن القصصى عالم خاص تتحرك فيه شخصيات حية لا يمكن ان يتلائم مع اخذه بفكرة امكان فصل التقنية عن الموضوع لان التناقض واضح بين الفكرتين · أما قوله بان رأيى يؤدى بالنتيجة الى « انه بحسب الرسام مثلا ان يرسم خطوطا جميلة متقنة حتى يخلق موضوع لوحته! » فقول مردود من اساسه لانى حددت آرائى فى نطاق الفن القصصى ولا يفيد الدكتور ادريس ان يهرب من هذا النطاق الى نطاق آخر يختلف فى جوهره كل الاختلاف عن الفن القصصى ·

ولا ننتقل بعد هذا للحديث عن الصدق والخيال فى الفن القصصى لقد ذكر الدكتور سهيل ادريس فى أحد مقالاته بأن الصدق هو الشرط الاول للادب الحى وهو الذى يجعله فنيا ويوفر له جماليته وقد خالفته أنا فى هذه الحقيقة حيث قلت بأنها لا تنطبق على الفن القصصى لأن الصدق غير كاف لخلق العالم القصصى وان الفن القصصى يقوم فى أساسه على الخيال ، والخيال يبعد بالقارىء عن الصدق · ومن الواضح انى قصدت بالصدق معناه الاصيل أى الصحة Authenticité وهى رواية الحادثة كما وقعت فعلا فى العالم · أما زعم الكاتب بأن الصدق فى تصوير الواقع هو تصوير الاشخاص على حقيقتهم وان احتمال الوقوع هو صورة من صور الصدق فهو نوع من التلاعب بالكلمات اذ ما هى حقيقة الاشخاص القصصية وهل هنالك حقيقة معينة لهم وكيف يكون احتمال الوقوع صورة من صور الصدق ؟ أما الصدق بالمعنى الذى بينته فهو بعيد عن الفن القصصى وليس بشرط أساسى فى جعل القصة فنية لان القصة كما ذكرت تعتمد بالدرجة الاولى على الخيال المبدع · وأعتقد أن من الضرورى هنا أن أستشهد بنص للناقد الفرنسى جان بويون أورده فى كتابه « الزمان والقصة » لكى أوضح ما قصدت اليه · فهو يقول « ليست القصة شهادة الشخص الذى رأى الحادثة التى يرويها · فالمشاهد فى الواقع يؤكد لمستمعيه حقيقة حكايته بواسطة بعض الشواهد الصادقة (لقد كنت فى مكان الحادثة ـ بوسكم التحقق من ذلك) · قد تكون الايماءآت والاقوال التى يقلدها ويرويها مجردة من مظهر الحقيقة ولكن هذا

لا يهم · ان ما يحسب له حسابا هو صدقها الموطد من الخارج · وعلى العكس من ذلك القصة فان الصدق فيها لا يستلزم أن تؤكده التجربة أو المستند · وان ما يطلب هو الاحتمال الباطنى أو النفسى(٢) » · فستندال عندما كتب قصة « الاحمر والاسود » لم يرو لنا الحادثة كما وقعت فى الحقيقة وقرأ عنها فى اضبارات المحكمة ، ولو رواها كما هى موجودة فى المستندات لكان (صادقا) فى روايته ، ولكنه لن يقدم لنا عندئذ الا تقريرا صحفيا · أما ما صنعه ستندال فلم يتوصل اليه الا بواسطة (الخيال) ، هذا هذا الخيال الرائع الذى ابتدع قصة «الاحمر والاسود» · ومن البديهى أن نذكر بأنه لم يصف ماهو حقيقى Le orai بل قدم لنا ما نه مظهر الحقيقة Le oraisemblable وهذا المظهر هو الذى يحتاج الى الخيال لايجاده · فأنا اذن لم أفهم الخيال والصدق الا بهذين المعينين ولم أقل بأن الخيال يبعد بنا كثيرا عن الصدق الا توضيحا لهذه الحقيقة · كما أنى استنادا الى هذه الحقيقة أيضا ادحض قول الدكتور سهيل ادريس الذى يقول بأن التصوير الصادق فى الفن القصصى هو الذى يكسب الاشخاص عنصر الحياة وهو الذى يخلق العالم القصصى ·

أما النقطة الثالثة التى أود توضيحها فانها تتعلق بضرورة كون العالم القصصى عالما واقعيا نابضا بالحياة بحيث يستطيع القارىء مشاركة شخصياته عواطفها وجزعها وحبها ومخاطراتها وهو قول أساء الدكتور سهيل ادريس فهمه أيضا فتصورنى من « هوات الحوادث الضخمة والاخطار الجسيمة التى تبهر » ومن الداعين الى العودة بالقصة الى روايات القرن الثامن عشر وروايات جرجى زيدان التاريخية ! غير انى عندما وصفت اقصوصة « الطريق » بالمثالية ودعوت الى ضرورة العمل على جعل الشخصيات القصصية متصلة بالعالم الواقعى اوثق اتصال لم اقصد بأن تؤلف القصة على غرار « الفرسان الثلاثة » بل اردت القول بضرورة التحرر من النزعة المثالية القصصية التى كانت تتميز بها القصص الكلاسيكية ، تلك القصص التى كانت تعكف فى أغلب الاحيان على وصف « العالم الباطنى » للشخصيات من دون اكتراث للعالم الخارجى الذى تعيش فيه هذه الشخصيات · وهنا لا بد أن اتطرق الى نقد الفيلسوف والقصصى الفرنسى جان بول سارتر لاقاصيص موبسان وهو النقد الذى اورده فى كتابه « ما هو الادب ؟ » لنرى ما هى

(٢) راجع كتاب :
« Temps et Roman » Par Jean Pouillon p. « 46 »

المثالية القصصية التى يستغرب منا الدكتور ادريس ومن وجودها فى اقصوصته بصورة خاصة · لقد لام سارتر مويسان ووصفه بالمثالية لان تركيب أقاصيصه كما يقول يقذف بالحادثة الى هاوية الماضى بينما يقتصر الحاضر على حوار بين بعض المترفين البورجوازيين · فاقاصيص موبسان فى الغالب تبدأ بأن تقدم جماعة من المستمعين الذين اجتمعوا بعد العشاء للهو والسمر بعد أن اطمئنوا الى الهدوء والسلام يلف كل شىء · وفى الواقع ان كل شىء هادىء يبعث على الاطمئنان ، فالنظام سائد فى كل مكان والطبقة البورجوازية مطمئنة الى قيمها التى لا يمكن أن تتغير · وهنا يبرز (الراوى) الذى يروى الحادثة لهؤلاء المستمعين المترفين ، ولكن الحادثة التى يقصها عليهم قد تخلص منها الآن · من الجائز انه قد تألم أو احب أو خاطر بحياته ولكن الحادثة (قد انتهت الآن) والراوى قد بلغ سن النضج والحكمة وهو لا يريد أن يثير جزع مستمعيه الاعزاء ولا يقصد أن يشاركوا ابطال قصته عالمهم المليء بالخطر والانفعال وانما يريد أن يسليهم فقط ويدخل السرور الى قلوبهم · وهكذا كان موبسان يسلى قراءه باصطناعه هذه الطريقة المثالية وهكذا كان يتملق الطبقة البورجوازية التى تخشى التغير بأن يقدم لها فى اقاصيصه الاختلال من ناحية النظام والتغير من ناحية الثبات أو اذا استعرنا عبارة (هيجل) يقدم لها « صورة ثابتة للتغير » · وهذا ما يحاول الدكتور سهيل ادريس أن يصنعه الآن فى القرن العشرين · فهو ـ كما يقول عن نفسه ـ (لا يقصد أن يشارك القارىء أبطال قصته عالمهم المليء بالخطر وخوفهم ووطنيتهم وعواطفهم) لا نه لا يريد أن يعتبر من « هواة الحوادث الضخمة والاخطار الجسيمة التى تبهر » ولان نطاق الاقصوصة كما يعتقد يضيق عن هذا الوصف · ولكنه لما كان (قصصيا ملتزما) فلا بأس أن يختار موضوعا وطنيا لاقصوصته كمأساة فلسطين أو « البرودة » القومية التى تتميز بها البطلة ولا بأس أن يكون فى الاقصوصة شىء من المظاهرات وضرب الهراوات ولكنه سيخفف وطأة كل هذا بأن يحول الحوادث الى ذكريات تدور فى ذهن البطل وبذلك يوفر على القارىء عناء المشاركة فى حوادث القصة كما أنه يوفر على نفسه عناء خلق عالم حى متين البنيان · غير ان هذه الطريقة فى الواقع لا تختلف فى جوهرها بشىء عن طريقة موبسان · فكون الحوادث تسرد بعد وقوعها ومن خلال ذاكرة البطل فقط لا يختلف بشىء عن كون الحوادث تقدم على لسان راوية يسردها بعد أن انتهى كل شىء · وهذا هو ما وصفته بالمثالية القصصية وقصدى من ذلك أن من الضرورى أن يجعل القصصى (حاضر) قصته

غنيا مليئا بالواقع بحيث يستطيع القارىء أن يساهم فيه ويشارك ابطاله ، فضلا عن أن هذا الحاضر سيحفظ لنا مستقبلا بكرا بحيث لا نستطيع الا أن نتابع حوادث الاقصوصة بشغف واهتمام · فاذا كان بطل الاقصوصة سائرا فى مظاهرة وكانت القصة تروى فى الحاضر فاننا سنندمج فيها لان المستقبل سيكون مجهولا آنذاك · ماذا ستكون نتيجة المظاهرة ؟ هل ستفتك الشرطة بالمتظاهرين ؟ أم سينجو بنفسه ؟ اننا لا نعرف شيئا عن ذلك واننا نساهم فى الاقصوصة من بدايتها وهى تستحوذ علينا كأنها عالم سحرى غريب يجذبنا اليه · أما عندما يكون البطل مطروحا فى المستشفى وهو لا يصنع شيئا غير أن يدخل فى غيبوبة بين حين وآخر ليتذكر الحوادث التى وقعت له والتى تأتى فى ذهنه على هيئة ذكريات فان القارىء لا يسعه الا أن يرتد الى نفسه وان تعاف نفسه عالم الاقصوصة ولا يعود يرى سوى اشباح باهتة لا أثر فيها للحياة · وهذه هى المثالية القصصية التى اشرت اليها · وهى نزعة لم تعد تلائم عصرنا الحاضر الحافل بالمخاطر والازمات كما انه لم يعد بالامكان الاخذ بها بعد الانقلابات الخطيرة التى حققتها الفلسفة الحديثة وعلم النفس المعاصر ·

أما قول الكاتب بان الاقصوصة لا تستطيع أن تحقق هذه المشاركة لضيق نطاقها فمردود بما يحققه كتاب الاقصوصة العالميون فى هذه الايام ويكفى أن نقرأ أقاصيص لوليم فولكز لمجموعة « الدكتور مارتينو » أو مجموعة اقاصيص سارتر بعنوان « الجدار » أو كثيرين غيرهم لندرك أن بعض القصصيين العالميين حققوا الاعاجيب بواسطة فن الاقصوصة · وما بالى لا استشهد باقصوصة عظيمة ترجمها الدكتور سهيل ادريس نفسه منذ زمن قصير وهى اقصوصة « لكى يموت وحيدا » ؟ ان هذه الاقصوصة نموذج رائع للفن القصصى الذى ادعو اليه · وان أكبر ميزة لهذه الاقصوصة هى الاتصال الوثيق بواقع هائل لا يستطيع القارىء أن يفلت من قبضته الجبارة · هذه الشمس المحرقة وهذه الرمال التى لا تنتهى وهذا العطش الفظيع والخطر المحدق ، ثم هذه الارادة الجبارة التى تناضل هذا الواقع حتى الاعياء وحتى الموت · ان القارىء لا يسعه الا أن يساهم فى كل هذا وان يحيا مع البطل هذه الازمة العظيمة التى يعانيها ازاء هذا المستقبل المجهول الذى يهدد بالموت فى كل لحظة · وهذا هو فى نظرى سر تفوقها على كثير من الاقاصيص العالمية · أما عن رأى الكاتب (بان الفعل والحركة هما خاصة الراوية الا الاقصوصة لانهما يتطلبان وصفا دقيقا وتصويرا واسعا) فرأى مغلوط لسبب

بسيط هو أن الحركة والفعل لا يتطلبان وصفا دقيقا وتصويرا واسعا بل على العكس قد تكفي جمل قصيرة للاشارة اليهما · وقد يكون الفعل في بعض الاحيان من السرعة بحيث يجد الكاتب ان الكلمات القليلة نفسها لا تعبر عنه لان وقوعه اسرع منها ولذلك يضطر الى الاستعانة ببعض التعابير كقوله « حدث الشيء بسرعة خاطفة » أو « وقبل أن ينتبه الى نفسه اصيب بكذا » الخ · واني أكرر القول بأن الرواية تختص بوصف التطورات النفسية والديمومة La durée ، وليس الهدف من قولي هذا هو تقييد القصة بقيود تسيىء الى تطورها بل توضيح لبعض الخواص التي تنبثق من طبيعة تركيبها نفسه · وان كتاب جان بويون الذي أشرنا اليه يفصل هذه الناحية أوفى تفصيل ·

وأخيرا فان الدكتور ادريس يبدي رأيا غريبا في القصة المعاصرة كان يمكن أن نقبله لو صدر عن شخص آخر غيره لم يتصل بالثقافة الغربية · فهو يقول « بأن الرواية المعاصرة تحرص حرصا شديدا على الابتعاد عن هذا الاتجاه » أي الحوادث الضخمة والاخطار الجسيمة التي تبهر · ولكن ما رأي الدكتور سهيل ادريس في القصة أو الرواية الامريكية بين الحربين وفي القصة الايطالية المعاصرة ؟ ما رأيه في الادب الفرنسي خلال الاحتلال والفترة التي اعقبته ؟ ما رأيه في قصص عباقرة القصة في العالم اليوم امثال اندريه مالرو وسانت اكسوبري وسارتر والبير كامو ودافيد روسيه وارثر كوستلر ودوس باسوس وكثيرين غيرهم ؟ هل يتصور بأن هؤلاء الكتاب لا يزالون يترنمون بالمشاعر المثالية التافهة أم أنه يجهل بأنهم يعبرون عن عصرهم وواقعهم اقوى واروع تعبير ، وان قصصهم مليئة بالانقلابات والثورات والمذابح والطاعون ·· الخ · لقد وصف سارتر الادب الحديث بانه أدب « مواقف نهائية » Situations extrêmes وهو قول صائب الى اقصى حد ·

اننا في مجتمعنا العربي الحاضر بحاجة الى مثل هذا الادب لانه أقدر على التعبير عن ظروفنا الحالية · ولذلك فاننا لا يسعنا الا أن نهمل كل أدب يحاول تسليتنا وأن ندين كل نزعة مثالية اينما ظهرت وسواء أكانت على هيئة افكار رجعية أم على هيئة طريقة فنية قصصية ·

بغداد — نهاد التكرلي

شخصية الشهر

بابلو نيرودا

بقلم : عبدالوهاب البياتى

« فى وطنى يسجنون عمال المناجم
والجنود يملون أوامرهم على الحكام
ولكنى أحب حتى الجذور
فى وطنى البارد الصغير »

*

كتب « والت وتمان » مرة بأن الشاعر الكبير الذى يكرس حياته لخدمة شعبه يستطيع أن يلهب العواطف فى كل كلمة يقولها » .

هذه هى حقيقة بابلو نيرودا المناضل الذى خلق فنا حيا جديدا فى صراعه ضد طبقة محتضرة ، وازاء شعبه الكادح الفقير الذى كان يئن تحت نير الدكتاتورية المقنعة والحكم الارهابى الفظيع ، شعبه الذى تتألف ملايينه من عمال بائسين ، مرضى ، يتقيئون دما فى مناجم نترات البوتاس ويموتون فى حانات المدينة الليلية وبيوتها الوسخة ، المتداعية ، الشبيهة بجحور الفيران ، وفلاحين يغرزون محاريثهم الصدئة عبثا فى ارض صلبة ، كالحة ، سوداء ليصنعوا الخبز والربيع والثروة والفرح للطفيليين من بورجوازى « شيلى » . وأمهات منخوبات ، جائعات ، يروين للاطفال قصصا مثيرة عن حروب صليبية ستقع فى المستقبل ، بلا صلبان ، بين السادة والعبيد :

ليأت « ايب »
ليرفع فأسه فى مدينته
ضد اسياد العبيد
ضد اسياطهم

ضد الصحف والمطابع المسممة
ضد تجار البضاعة الدموية
التى يريدون أن يبيعوها
دعهم يزحفون ، مغنين ، مبتسمين
الصغار البيض والصغار السود
نحو جدران الذهب
نحو صانعى الكراهية
نحو تجار دمهم
دعهم يغنون ويضحكون ويزحفون

من قصيدة « ليستيقظ محطم الاغلال »

✠

ولد نيرودا عام ١٩٠٤ من أب بائس فقير ، كان عاملا فى سكة حديد ومعلما ، وقد نظم ديوان شعره الاول « الشفق » . عندما كان فى السابعة عشرة من عمره . وبعد نشره لعدة كتب أخرى بما فيها « عشرون قصيدة حب واغنية يائس » التى جلبت له الشهرة ، كان قد عين قنصلا لشيلى فى رانكون ، وبقى فى الشرق الاقصى من ١٩٢٧ ـ ١٩٣٢ فزار فى اثنائها : الصين واليابان والهند وجاوا . وفى خلال عام ١٩٣٤ نقل الى منصب سياسى فى اسبانيا .

وعندما هاجم الفاشست ، الحكومة الجمهورية تطوع جنديا اعتياديا ، ليحارب جنبا الى جنب مع كتاب اسبانيا الوطنيين .

وقد نشرت مجموعة اشعاره فى الحرب الاهلية الاسبانية « اسبانيا فى القلب » فى شيلى عام ١٩٣٨ وهى تعبر تعبيرا قويا عن النضال البطولى الذى قام به الشرفاء ضد فرانكو ، وتبين لنا التغيير الكبير الذى احدثته هذه الفترة فى نفسه ، حتى انه عندما عاد الى وطنه عزم على خدمته كمواطن وفنان :

« ميكويل » اسبانيا ، كوكب
الارض المخربة ، انا لا انساك ، يا بنى
أنا لا انساك
لكن تعلمت الحياة
من موتك : عيناى اسبلتا
عندما اكتشفت أن ليس لدى
دموع

لكن السلاح لا يرحم !
انتظرهم ! انتظرنى !

من قصيدة « الى ميكويل هرناندز القتيل فى سجون اسبانيا »

وفى مطلع عام ١٩٤٠ عين قنصلا لشيلى فى المكسيك فأخذ على عاتقه مهمة مكافحة الفاشيستية وفى خلال هذه الفترة زار الولايات المتحدة · وبعدها عاد الى شيلى ، فرمى بنفسه الى معترك الحياة السياسية ، فانتخب عضوا فى مجلس الشيوخ بمساعدة عمال المناجم ، وبعد هذا بقليل قاد حركة المقاومة من أجل حرية شيلى بعد أن خان « زاليز فديلا » الحركة الشعبية وأنشق عليها وذلك فى بداية ١٩٤٨ ·

كما وانه ساهم مساهمة فعالة فى خدمة حركة السلم العالمية ، فحضر مؤتمر السلام الذى عقد فى باريس ربيع ١٩٤٩ · وبعد عدة أشهر من هذا التاريخ ترأس مؤتمر السلام القارى فى مدينة (مكسيكو) حيث ألقى خطابه الشهير « واجباتنا تجاه الحياة » ·

ولقد تطور نيرودا عبر هذه السنوات المليئة بالاحداث ، فدفعته تجربته الحقيقية ـ باعتباره مواطنا من شيلى ومناضلا شعبيا فى الكفاح العالمى ضد الفاشستية ـ الى نبذ القيم الفنية البورجوازية التى أثرت فى اعماله الادبية الاولى · حتى ان النقاد البورجوازيين الذين اعجبوا به تنكروا له عندما أصبح شاعرا لا يخضع لموازين نقدهم ·

ولكن الشىء الاعظم من هذا : هو أن نيرودا استطاع أن ينفذ الى قلوب الملايين من كادحى العالم :

من قصيدة « الى هاورد فاست » (١)

أحدثك هارود فاست ، انت الذى سجنت
اعانقك يا صديقى ، وأقول صباح الخير
يا أخى
رأيت ابواب اسبانيا مغلقة ، ورأيت رأس شاعر
متأرجحا فى الظلال
هو الذى كان ضياء اسبانيا
الوحوش الدموية تجهز عليه
ومنذ ذلك الوقت اسبانيا معروفة

---

(١) وهو الروائى الاميركى الكبير الذى قضى عاما فى السجن بسبب آرائه الحرة ·

بالظلمات والليل والدم والدموع
انا لست من هذه البلاد . انا من شيلى
اصدقائى هم هناك وكتبى وبيتى الذى
يطل على امواج المحيط البارد الجبار
يتمنون لو كنت انا أيضا فى قعر سجن
أو ميتا وساكتا الى الابد

من قصيدة « الميت فى الساحة العامة »

لم أات الى هنا لابكى ، حيث سقطوا
أتيت لاتحدث اليك انت الذى لا تزال حيا
اوجه كلماتى اليك والى نفسى
آخرون كان لهم ميت من قبل ، أتذكر ؟
نعم ! أنت تذكر
آخرون يشبهونهم
يشبهونك
مع نفس الالقاب

من قصيدة « اغنية لبوليفار »

لكن ظلك لا يزال يقودنا نحو الامل :
ضباء جيشك الاحمر وغصن غاره
يحدقان عبر ليل اميركا .
عيناك اللتان تسهران فوق البحر
فوق الشعوب المظلومة ، الجريحة
فوق المدن المحترقة السوداء .
صوتك ينبعث من جديد ، يداك تولدان ثانية
جيشك يحمى الرايات المقدسة
وصوت حزن رهيب
يسبق الفجر المخضب بدم انسان

من هذه الامثلة القليلة يتضح لك أن شعر نيرودا يمتاز بعمق العاطفة والعفوية والبساطة والصدق ، ذلك الشعر الذى تستشف عبر كلماته المرتعشة انسانا ، انسانا وسعت نفسه لكل المشاعر الانسانية ، رمزا بطوليا يضيء فى اعماق ملايين المناضلين ، شاعرا اقوى من الموت والهزيمة يتحدى احكام العالم الرأسمالى ـ المنهار ـ عليه ، مناضلا احتضن فلاحى حقول وطنه المنهوبة وعمال المدن المرضى الشاحبين ،

المتحفزين ، احتضن ثوار العالم وبؤساءه ليعلن : « شعبى سينتصر ، شعوب العالم ستنتصر » :

الليل قاتم ، لكن الانسان يقدم
شاراته الاخوية
بعمى قادتنى الطرق والظلال
حتى الباب المضاء
الى طرف النجم الصغير
الذى كان نجمى ، الى
كسرة خبز فى غابة
لم تلتهما الذئاب – بعد –

من قصيدة « الطريد »

هنا ، أقول الوداع ، انا اعود
الى بيتى ، فى احلامى
أعود الى « باتاكونيا » حيث
الريح تصر فى مخازن الغلال
والبحر ينشر الجليد
ما أنا الا شاعر : أحبكم جميعا
وأهيم فى العالم الذى أحب :
فى وطنى يسجنون عمال المناجم
والجنود يملون أوامرهم على الحكام
ولكنى أحب حتى الجذور
فى وطنى البارد الصغير
ان كنت سأموت آلاف المرات
فهناك سوف أموت
وان كنت سأولد آلاف المرات
فهناك سوف أولد

من قصيدة « ليستيقظ محطم الاغلال »
التى نال بها جائزة السلام لعام ١٩٥٠

البغايا في الشتاء

للشاعر : **بدر شاكر السياب**

لا تثقلن خطاك ، فالمبغى « معرى »(١) الاديم ،
أبناؤك الصرعى تراب تحت نعلك مستباح ،
يتضاحكون ويعولون ،
أو يهمسون بما جناه أب ، يبرؤه الصباح
مما جناه ·· ويتبعون صدى خطاك ، الى السكون ·

✠

الحارس المكدود يعبر ، والبغايا متعبات ؛
النوم فى أحداقهن يرف كالطير السجين ،
وعلى الشفاه أو الجبين
تترنح البسمات والاصباغ تكلى ، باكيات ،
متعثرات بالعيون وبالخطى والقهقهات ·
وكأن عارية الصدور
أوصال جندى قتيل كللوها بالزهور ؛
وكأنها درج الى الشهوات تصعده الثغور ·
(ذات الطلاء هنا وثمة ، حينما حفر اللعاب
أثرا ، كما انطبع السقيط من النقود على التراب) ·

✠

وكأن الحاظ البغايا
ابر تسل بها خيوط من وشائع فى الحنايا ،
وتظل تنسج بينهن وبين حشد العابرين
شيئا كبيت العنكبوت ، يخضه الحقد المهين :
حقد سيعصف بالرجال
والاخريات ·· النائمات هناك ، فى كنف الرجال
والساهرات على المهود ، وفى بيوت الاقربين
حول الصلاء ·· بلا اطراح للثياب ، ولا اغتسال !

بدر شاكر السياب

(١) يقول أبو العلاء المعرى : « ما أظن أديم الارض الا من هذه الاجساد » ·

قصة عراقية

الجدار الاصم

بقلم : عبدالملك نورى

حاحاحاحاه · يراد له حظ كبير · من قال هناك شيء ؟ ستار أفندى هاه ؟ من قال هناك شيء على الارض ؟ أبدا والله ··· ما أدرى ما أدرى · هل وشوش أحد فى اذنيك ستار أفندى هاه ؟ حا حا حا حاه · وخرج من فمه فحيح مخمور · ذلك نصيب المسعدين · أهل الحظوظ · أما هو فمن يكون ؟ ستار ابن صالح جربزة من يكون فى هذه الدنيا هاه ؟ من يكون « طايح » الحظ هذا ؟

هز رأسه ببطء · وحاول ان يغرز فى الارض نظرة ثابتة خلال ضباب عينيه · كانت الارض تموج تحت قدميه · وفى رقعة النور — يفرشها المصباح برأس العمود الطويل على الطريق — تألق شيء وخبا فجأة ·· شيء مدور فضى يذكر بالنقود · ذلك ليس له · لاهل الحظوظ · أهل الحظوظ المسعدين الذين لا يفتقرون الى شيء ·· هل رأيت فقيرا يعثر يوما على ثروة ؟ وجوائز اليانصيب من يربحها عادة ؟ « آخ ·· خليني بدردى ستار · مو من أكول باع اخاف اشك الكاع » ليته استطاع أن ينحنى قليلا وينظر بامعان أشد · قد يتاح له أن يمد يده أيضا ويتلمس الارض كالعميان · ولكن من هذا الذى يشده من سترته ؟ أيريد أن يمزق البقية الباقية ويتركه عاريا ؟ « ولك منو هذا ؟ » وتلفت فى رقعة النور · لم يكن هناك أحد · حاحاحاحاه · « ولك تخسه ابن صالح جربزة · ولك انت ابن ذاك السبع وتخاف من هذا المخنث ؟ » مثل يد خفية كانت تخرج من الظلام — وراءه — وتشده كلما حاول ان يطوى نفسه وترميه على الارض تحت المصباح · وكان يشق عليه النهوض · « لا ·· لا ·· هذا مو بيت الفرس » بيت من اذن ؟ والفرس هاه أى فرس ؟ هاه ستار أفندى ؟ « شنو هاللواص من جناب حضرتكم ؟ » كان صالح جربزة يركب كل يوم على ظهر

الفرس · انه يذكره جيدا ، ويدور في انحاء الولاية · وكانت الناس كلها تخشاه ـ باش جاووش بالجندرمة « مو شقه ·· » · وعندما قتله قاطع الطريق سليمان ابن حسون ·· سحبته الفرس الى القلعة · ولم يترحم عليه أحد · كل الناس لعنته جهارا · كان قاسيا جدا · وكان جربزة · كل حقا جزيرة ·· حاحاحاحاه ·· جربزة ·

ربما لم يكن هناك شيء · من يدري ؟ لعلها بصقة فضية طبعها على الارض سكير مر قبله · اختفت الان نهائيا · كل الناس سكارى هذه الايام ·· حاحاحاحاه ·· كل الناس · تحامل على ساقيه القصيرتين وجاز رقعة النور الى الظلام · كانت تنتظره السدرة العجوز ليلة بعد ليلة ·· في منتهى الطريق الخالي · « تفو عليك صالح جربزة · تفو عليك ·· » كان يتفرع على يمينها درب المقبرة الضيق سادرا في ليل الاموات الطويل « تفو عليك كل يوم هالوكت · » لعله صار الآن حفنة من تراب في تلك القرية النائية · حفنة من تراب قذر في أعماق الارض · « تفو عليك ·· لو ما جايبني للدنيا يعني شجان صار ؟ » وانبسطت امامه الفضوة المربعة الفسيحة والسماء السوداء ·· سباخ وبيوت من طين لاصقة بالارض واشباح بضعة نخيل هزيلة · وخفق تحت حذائه التراب الاملح · وعصفت في احشاء الليل نوبات زحار صغيرة هنا وهناك · كأن الاموات يثرون ـ وراءه بعيدا ـ في الاعماق الباردة المظلمة ·· يثوون هناك الى الابد ·· الى ابد الآبدين · قبل بضعة أشهر حمل نعشها ـ هي أيضا ـ كانت خفيفة مثل الريشة فتاته الصغرى · جلد وعظم · سميرة الحلوة المسكينة · لقد قتلها السعال ولم يبق منها شيئا · « تفو ·· تفو ·· على عالدنيا الوصخة ·· تفو » لم يعد في فمه لعاب · جفاف شديد مثل جفاف الصحراء · وقف وترنح في موضعه تحت السماء السوداء · السماء تنظر اليه بمئات العيون البراقة المراعشة · الى أين يذهب ؟ انه ضائع · انه تائه في الصحراء القاحلة التي لا حدود لها حاحاحاحاه ··· « ستار أفندي ·· ولك مصخم وين راح تروح ؟ » ليس هناك أحد · انه لا يعرف احدا · لم يلد ولم يولد · حاحاحاحاه · رب الكون تعالى أم ماذا ؟ لا عائلة ولا بطيخ ولا حفنة من « مزة » الياس · بل بل جيوبه كلها ملىء بالزاد ·· بالثوم والزيتون وطور سنين ·· وهو وحده في الصحراء · حر طليق · نقطة صغيرة ضائعة في الرمال ·· حاحاحاحاه · اتوجد أعظم من هذه السعادة ؟ « وين رايح وين ـ ولك وين الوعد وين ؟ » الوعد هناك ·· طبعا هناك · الكل يجتمعون هناك ـ تحت الارض ـ الم تعلم بعد ؟ وا اسفاه لم يعد صوته يصلح للغناء ·

انه يقرقع مثل تخت مقهى ملا حمادى ·· حاحاحاه مثل تخت ملا حمادى ···

توقف مرة اخرى تحت السماء · كان يريد ان يطلق ضحكة طويلة تمتد كالصاروخ فوق الفضاء جميعه هو حر حر يستطيع أن يضحك لنفسه متى شاء · وليس هناك احد · وحده تائه فى الصحراء · ولكن لماذا لماذا ؟ « ستار أفندى شبيك عيونى ؟ » وتنحنح بقوة · « لا لا هذى موشقه » كانت أشباح النخيل تتطاول نحو السماء · انها تنظر اليه من بعيد وتتهامس فيما بينها · وكان شىء يرتفع فى الفضاء مثل « الجدار » الذى يراه كل يوم · ولم يستطع أن يضحك · لقد تجهم وجهه وتاهت نظراته الطويلة فى الظلام · « ولك ليش عيونى ليش ؟ » وتقبضت على قلبه كف من حديد · انه فى أحد السراديب الرهيبة حيث تقلع الاظفار وتشوى الاقدام وتجلد الظهور بالسياط · انه فارغ فارغ وليس فى داخله شىء · يترنح مثل ظل قاتم عبر السباخ · والنخيل التى عرفها اربعين عاما هى ايضا تنظر اليه مثل سائر الناس ـ باحتقار ـ وتتهامس فيما بينها من بعيد · « ولك ليش هيجى سويت بنفسك قدورى ؟ » ودهاليز الكابوس مظلمة طويلة · تدفعه الموجة احيانا الى الداخل · وينظر فى الوجوه دون أن ينبس بشىء · ثم تدفعه الموجة الى الخارج ·· ويضيع بين الاقدام · والباب المصفح بالحديد يغلق الجدار السميك المرتفع · ترى هل سيقتلونه يوما كما قتلوا الآخرين ؟ « قدورى ليش عينى ؟ » فى الشمس تلتمع الحوذ الصفراء · والحراب المشرعة تلقى شيئا من الشعاع فى عينيه · لا يكاد يبصر · وهناك أوجار الرشاشات وأكياس الرمل فى الابراج العالية · والجدار الرهيب يدور مع عطفة الطريق · « آنى وميه من مثلى ·· آنى وميه من مثلى ·· قدورى كلنا فدوه نصير لاظفرك » فلذه منه ·· ابنه · لم يكن شيئا قليلا · عندما اخذوه سلبوه كل شىء · سحبوه من الفراش فى الفجر البارد والقوه هناك وراء الجدار · كيف يعيش الان ؟ ماذا يأكل ؟ أين ينام ؟ « اويلى عليك قدورى ·· ليش يتمتنى ·· ابنى ليش ؟ » مسح الدمع ومضى يتمايل على السباخ المظلمة · وراء الفضوة يتلوى الزقاق الضيق · وعند الساقية المعشوشبة انطرح جذع متاكل ـ كشىء ميت تماما · هو مثله ـ ستار أفندى · لم يعد به نفع بعد الآن · لقد هزوه الهزة الاخيرة ·· هزة الموت · مثل شجرة عجوز اسقطت كل ثمارها على الارض وانتهت حياتها · كان طفلا يتسلق السدرة الهرمة فى تلك القرية النائية حيث دفن ابوه · حاحاحاه كان طفلا هو ستار « اضحوكة »

من يصدق هذا ؟ كان طفلا فى يوم من الايام · ما أعجب الدنيا حاحاحاحاه ·· ما أعجب هذه العاهر العابثة · لقد ارتفع وراءه صدى قهقهات ·· ووجه الياس النادل · أرباع العرق ·· صحون المزة وصحبه الصاخبون ·· وكان هناك رجل آخر ـ فى المقهى المليء بالدخان ـ ستار آخر يطلق صواريخ من ضحك ·· هاهاهاها ·· تمتد وتهوى فجأة الى القرار العميق هوء هوء هوء ثم تزدهر كالجدول الرقراق هيء هيء هيء لنرتفع مرة أخرى ومرارا ومرارا أخرى · ذلك كان « اضحوكة » ستار اضحوكة · واخذت هبة من الهواء البارد رشاش بصاقه · واختفى شبحه الضئيل فى عتمة الزقاق · « ستار اضحوكة » · اى نعم افندم ·· حاحاحاحاه حاحاحاحاه ·

هل من نهية لهذا الليل ؟ والدخان والزحام الشديد فى المقهى · ساعة ساعتان ثلاث · والبندول البطيء · الزمن « السلحفاتى » هاهاهاه ·· وهو شاعر ـ ستار شاعر كبير · واليوم غير الامس · والليل فى أوله ·· تماما اليوم غير الامس · انه يستطيع أن يضحك كعادته · وزكى فتى كريم الخلق · صديقه من زمان ·· ابن وجيه كبير · زكى يدفع الحساب كل ليلة · والجميع الجميع اناس طيبون · موظفون ابناء بيكوات · والياس والمزة تختفى وتظهر فى الصحون الصغيرة · والسائل الحليبى ـ ما أروعه ـ يتألق فى الاقداح · حليب السباع · آه ياولد حليب السباع · دنيا شهية رائعة · الحياة تتلون باجمعها امامه ـ امامه هو ستار بن صالح جربزة · خضرة حقول الخيار ودم « الطماطة » وشفق « اللبلبى » · هو شاعر الليلة ·· هو شاعر كبير لم تلد مثله الامهات · وسمرة الباقلاء مثل سمرة الحجازيات الفاتنات · الوان قوس قزح فى الليل · من شاهد ياناس ·· من شاهد منكم قبل الآن اقواس القزح فى الليل ؟ وتحت مصباح المقهى · والموز والزيتون والتوابل والليمون الحامض · كيف اذن تكون الحياة سائغة لذيذة محتملة أيها الناس كيف اذن تكون الحياة ذات قيمة باهظة ثقيلة يفطس تحتها اصلب الحمير ؟ هاهاهاهاه ··· وهو هو ستار يستطيع أن يضحك الليلة بملء قواه · ليس من غد واليوم قد مات · يستطيع أن يطلق صواريخ من ضحك ·· وان يضحك الآخرين · كلهم اوادم طيبون · كلهم كرام · لقد نخسه حميد بشدة فى خاصرته · لم يعن شيئا · ولد شهم معروف · عبدالله وضع نواة زيتونة فى فمه · اتريدنى أن ابصقها أم أبلعها ؟ اننى استطيع لاجل خاطرك ان ابلع كل

شيء هاهاهاه كل شيء · وسلمان يعتصر ليمونه فوق رأسه · ذلك من أجل تقوية جذور الشعر تحت قحف الرأس · لا بأس لا بأس ·· كلهم طيبون«بزر دلال»·· اوادم أبناء أوادم أبناء أوادم الى سابع ظهر هاهاهاه·· ساعة ·· ساعتان ··· والبندول البطيء « شمطولك خايب ياهالليل » ربما لم يحن الوقت · أي وقت ·· ماذا ؟ يجب أن يصنع شيئا ·· أي نعم هو « عم بلا تشابيه تيمورلنك » · هاهاهاه · هاهاهاه « أفوت عليك بعد نص الليل ـ لما تنامي » والزمن واقف · يا ناس الزمن واقف · أين نحن من « نص الليل » الزمن جامد في وجه الساعة المدور · وتابوت ذنبها الخشبي يومىء الى صلعة البار هاهاهاه · ماذا لو سقط الزمن بأجمعه على هذه الصلعة الوقور؟ الياس · الياس · صحون المزة تنتعش مرارا أخرى · حيوات جديدة تنبعث فيها فجأة وتختفي سريعا · « لا الجماعة ما يأكلون مزة أبدا » كم قوس قزح ارتسم في هذا الليل الطويل ؟ وهو هو ستار شاعر مجيد شاعر كبير لم تلد مثله الامهات · واليوم غير الامس · وبالطبع لم يكن الامس مثل اليوم · فلنشرب ولنغن ولنطرب · وغدا ايضا · من يعرف الغد ؟ من منكم يعرف الغد ؟ انا شاعر أيها الناس أنا شاعر عظيم أفلا تفقهون ؟ انا طير نادر ·· انا اغني في امسيات الخريف فقط · اذن اصمتوا ·· اذن ارهفوا اسماعكم البليدة ·· اذن لا تنقنقوا ·· اذن لا تغمطوا هاهاهاه فلنبدأ أيها الاخوان فلنبدأ الآن الآن ·· هذه اللحظة بالذات ·· الشاعرية الملتاعة في أوج مجدها الآن ·

« اضحوكة البين تغريدا على القنن » ·

هاءهاءهاء ـ اشتعلت صفحة ابوك ستار ـ آخ يمه آخ يمه « والقرد يغترب الانسان مثواه » ·

ـ ولك انهجم بيتك اضحوكة · ـ هاءهاءهاء ـ قاه قاه قاه ··

« وهذه الدنيا بما فيها من القمل »

ـ هاء هاء هاء هاء · ـ ولك آخ افادي كام يوجعني من الضحك · ـ غرد غرد اضحوكة أفندي اجدت ·

« ويستوى المرء عا عرش من السل » ·

قاه قاه قاه · ـ ولك شلون عاعرش ؟ ـ لضرورة القافية سيد · ـ انت ما تفتهم شعر سيد · ـ حضرة السيد المبجل ياكل شعير ··· ـ ها ءهاء هاء هاء ····

والوقت لا يمضي · تن تن تن · الساعة تدق فوق الصلعة الوقور · متى ينتهي الليل ؟ دخان كثيف · والياس يروح ويجي ·· والبندول

يتحرك ببطء .. وزكى ينظر اليه . صديق قديم . وان كان ابن وجيه كبير . سيارة ابيه طولها ستة امتار . وكلهم طيبون كلهم اوادم . مثل الاطفال .. مثل الاطفال الابرياء .

اشراف الى آخر ظهر ـ الى « ابونا آدم » عليه السلام هاهاهاهاه .

ـ كول اضحوكة أفندى انطق .

ـ ها ؟

ـ انطق شعر وينك ؟

ـ ما ادرى . مو هنا .

هاءهاءهاءهاء . ـ لك لك شبيك بومت ؟

ـ ما ادرى .

كان الجدار يرتفع فى دخان المقهى . ووراءه الدهاليز المظلمة الطويلة . لم يتعرف عليه بين الوجوه . قدورى مكبل بالحديد فى الزنزانة الضيقة . هل سيقتلونه مثلما قتلوا الآخرين ؟ « اويلى عليك ياب .. أويلى عليك » لم تكن فى جيوبه شطيطة منديل . وعيناه تدمعان . الدخان كثيف فى المقهى وبطانة جيوبه الى الخارج . وكف الحديد تتقبض بشدة على قلبه . انه يختنق .. يختنق .

ـ ولك اضحوكة اتحفنا بشعرك العظيم .

ـ ما بقى عندى شىء . نضبت .

ـ نضبت ؟ قاه قاه قاه قاه ....

ـ لا بالله ستار .

ـ ماكو وحى .

ـ وين راح الوحى ؟

ـ طار للسما .

والملائكة تهيم فى السماء كالارواح . وسميرة الطفلة البريئة المسكينة .. قبل أربعة أشهر فقط ...

ـ اضحوكة . منين نجيب لك بعد وحى ؟ منين نشترى لك وحى ؟

ـ أوكف دا أسأل بطنى

ـ هاء هاء هاء هاء . ـ شتكول بطنك ؟

ـ تكول من أبو الفشافيش .

ـ قاه قاه قاه قاه . ـ ولك راح أموت من الضحك .. اضحوكة . ـ انعل مذهبك ستار . ـ الياس الياس . وابو الفشافيش . الياس يروح ويجىء ... ابو الفشافيش و « البشطمال » الاحمر . والصحون الفاقون . وسفافيد الشواء .. خمسة .. ستة .. بل عشرة . والياس

من « المعلاك » الاسود الياس · والبصل الفاغم وخضرة الكراث · والصحون تمتلىء وتفرغ · والسفافيد العارية السوداء على الارض · وحميد يضربه على رأسه · خلينى ·· خلينى · والخبز والشواء فى فمه ·· فى جوفه ·· فى جيوبه · وعبدالله يعتصر أنفه باصبعيه · خلينى اتنفس خلينى · وعيناه تدمعان · لا بأس لا بأس · والزيتون فى جيوبه والزيت يسيل · ودم « الطماطة » ينز من جيوب السترة · والخيار والباقلاء وكل شىء ـ زاد الصحراء · ـ الياس الياس · وزكى يدس فى فمه حزمة الكراث آه خلونى خلونى · ويشمر عن ساعديه · كلهم طيبون كلهم اوادم ابناء اوادم · والصحون تمتلىء وتفرغ وتفرغ وتفرغ · والسفافيد العارية على الارض يلتمع فوقها السمن · « الشاعر اليوم جوعان الى القدم »

ـ هبط الوحى من جديد ـ· من ابو الفشافيش · ـ قاه قاه قاه ·· ـ ولك راح أموت من الضحك · ـ ولك اشتعلت صفحة ابوك ستار ···

اضحوكة اضحوكة اضحوكة · ها ها ها ها ـ هوء هوء هوء هوء ـ هيء هيء هيء هيء · واليوم غير الامس · والامس غير اليوم بالطبع · ومن يعرف الغد ؟ وما سيأتى به الغد ؟ انا شاعر كبير · انا انا ستار ابن صالح جربزة · ومن غيرى انا شاعر مجيد ؟ « اضحوكة البين تغريدا على القنن » هاءهاءهاءهاء · وبندول الساعة البطىء · ذنبها الطويل المسلط فوق الصلعة الوقور ـ تابوت الزمن · ها ها ها · ماذا لو سقط الزمن جمعيه على أم هذه الصلعة وتبعثر على الارض ؟ قاه قاه قاه قاه · وانعل أبو الدنيا · والياس يروح ويجىء · الياس الياس « تعال أخذ الحساب » · ويدس سلمان فى جيوبه الممتلئة بالمزة قشور الخيار · انتهينا انتهينا والحمد لله · وعبدالله يريق ثمالة الكأس فوق رأسه ـ لتقوية جذور الشعر لا بأس لا بأس · قاه قاه قاه قاه · ـ اضحوكة اضحوكة ولك راح أموت من الضحك · ـ آخ يمه ·· آخ يمه · « الشاعر السكران قد ملاء البطنا » ـ أوف يمه ·· بطنى كام توجعنى · « هيا يا أخوان هيا الى الحربا » · قاه قاه قاه قاه · والبندول الهرم يلتهم الليل ببطء ·· يلتهم الزمن ثانية ـ تك تك تك تك ·· والزحام والدخان الكثيف · وتتسلل تلك الكف ثانية من الظلام ·· من لا مكان ·· وتنقبض على قلبه وتعتصره بشدة بشدة · آه الى الصحراء الى الصحراء الى الصحراء ···

وتدوى فى الظلام الهامد قهقهات الآخرين على امتداد الطريق ٠

« بيعار » ٠٠ هذا هو حقا ٠ ايستطيعون أن يقولوا أيضا أنه سكران ؟ وفى وضح النهار هكذا ؟ الشمس تسطع على كل الدنيا ٠ ولم يكن التفاهم ممكنا ٠ عساكر فرعون بلا تشبيه ٠٠ أم ماذا ؟ حاحاحاه ٠ دروب المدينة دفعته من مقهى الى مقهى ٠ من مكان الى مكان ٠ رجلاه من المشى حبال راخية ٠ وقد انتصف النهار ٠ قد يظنه البعض متسولا ٠٠ هاه ؟ من يدرى ؟ هو ستار ابن صالح جربزة ؟ حاحاحاه وعند الباب المصفح بالحديد دفعه ابو شوارب دفعة القته على الارض ٠ « ولك ليش ولك ليش ؟ آنى اب ٠٠ آنى هم بشر مثلكم » والجدار العالى يشمخ فوق الجميع ٠ لا بد أن يصنع شيئا ٠ حا حا حا حاه « لازم ٠٠ لازم » هذه مضحكة ٠ ماذا يستطيع أن يصنع هو بمفرده ؟ من قال انه شمشون الجبار ؟ هل ينطح الجدار برأسه ؟ هل ينطحه الناس جميعا برؤوسهم ؟ آه ليته ينهار ويخرج قدورى من « الزنزانة » المظلمة ٠ عبدالجبار حدثه قبل اسبوع ٠ قال انهم أخذوه ووضعوه هناك ٠ صديق قدورى الحميم ٠ ومثلة فى أول فورة الشباب ٠ قال يرشونها بالماء كل يوم كى تظل رطبة ٠ والمرء يلقى فيها مكبلا بالحديد ٠ لا يستطيع أن يتحرك ٠ لا يستطيع حتى أن يمدد جسده ٠ أوف يا رب السموات ٠ ماذا صنع عبدك الحقير هذا ستار كيما يستحق كل هذا العذاب ؟ من الخطاة ؟ حقا هو من الخطاة الذين ارتكبوا شر المعاصى ٠ « هتلى ٠٠ سرسرى ٠٠ عارصز ٠٠ بيعار ٠٠ » لم يصل لك ركعة واحدة ولم يصم يوما واحدا فى حياته ٠ وكل ما يقال عنه صحيح ٠ ولكن الا توجد هناك رحمة ؟ ذرة صغيرة صغيرة جدا من الرحمة ؟ اذن اين ذهبت عدالة السماء ؟ اين اختفى سبحانه وتعالى وترك البشر لجحيم الارض قبل تسفيرهم الى جحيم الآخرة الابدى ؟ « أوف استغفر الله ٠٠ استغفر الله ربى » انه يعرف كل شىء ٠٠ يعرف قلوب الناس جيدا ٠ لو لم يكن ملتاعا على ابنه البكر لما خرجت من فمه كلمة كفر واحدة ٠٠ ولكن ٠٠ ما هذا ؟ ماذا دهى الناس فجأة ؟ من أين جاء كل هذا الجمهور ؟ « أوكف سيد لا تدفع » ٠٠ كاد أن يسقط على الارض مرة أخرى ٠ والموجة تدفعه الى الرصيف الآخر ٠ لقد ركض مع الراكضين ٠٠ دون أن يدرى لماذا ٠ الجدار ما يزال أمامه منيعا صلدا شامخا فى الشمس ٠٠ لم يمسسه أحد بسوء ٠ والباب المصفح بالحديد يبسط جناحيه العريضين على جانبى الجدار ٠ لم كل

هذا الزحام ؟ وهناك آخرون يلبسون خوذ الحديد · أهو يوم الحشر ·· أم ماذا ؟ سبحان الله · كل شيء جائز فى هذه الدنيا ·· كل شيء جائز ·· حاحاحاحاه ·

« ولك ما تستحى تسكر بالنهار ؟ مو عيب على شيبتك ؟ » من هذا الرجل الغريب الذى يرمقه من وراء النظارة ؟ من قال انه سكران فى النهار ؟ « أف ريحة العرك دتعط منه » وتلك امرأة أيضا · لفت عبايتها على بطنها وجاءت تتفرج · لا يدرى على م يتفرج هنا الناس · « امهات كراع » على م تركن بيوتهن الى الطرقات ؟ تفو تفو ·· رفع يده المرتعشة الى فمه وانزوى وراء الحشود ··· ولصق ظهره بسياج أحد البيوت مبتعدا عن الناس · لا أحد يريده « بيعار ·· بيعار » لا أحد يريد الاقتراب منه · مثل الكلب الاجرب تبتعد عنه بقية الكلاب · و « الهرجة » تشتد فى الشارع · السيارات تخطف بسرعة كأنها خائفة · حا حا حاه · الكلاب مالئة الدنيا · لم يبق آدمى واحد هذه الايام « الاوادم » كلهم هناك وراء الجدار · اولئك « السباع » الذين لا يخشون أحدا · والموجة تضغط عليه من كل جانب وتتكسر على اسيجة البيوت · « قدورى ·· ليش بابا ليش خليتهم يلزموك ؟ آنى جنت معتاز قهر ؟ جنت معتاز عذاب ؟ قدورى بابا ليش ؟ » لقد اضحى نصف رجل خلال هذه الاشهر القليلة · وقدورى كان يستطيع أن يهرب لو اراد · قدورى ليس مثله « بيعار » أنه يستطيع أن يفعل كل شيء عندما يريد · لم يكن يرهب أحدا قط · قوى مثل العفريت · مثل جده صالح جربزة · ولا احد يجرؤ أن يقف فى وجهه · آخر ليلة فتح له الباب هو قدورى بنفسه واقتاده الى الحجرة وتحدث اليه طويلا قبل أن ينام · « هم جيت سكران ؟ » كان فى عينيه حنان عظيم · « ليش هيجى باب ؟ ليش مسوى نفسك قشمر للناس ؟ » لقد بكى مرارا بعد تلك الليلة · كان وحده فى الحجرة الصغيرة يتساقط عليه التراب من سقفها المبطن بالحصير · وحده « لا آن ولا اودان » كلهم تركوه ـ ابنته الكبرى رحلت مع زوجها · وسميرة الحلوة الصغيرة ذهبت الى المقبرة · واخوها ذهب الى هناك وراء الجدار · وامهم كانت قد هربت من زمان · الى من يتحدث ؟ الى من يشكو بعد الآن ؟ وهل يلومه قدورى اذ يسكر ويضحك الناس ؟ كلهم ابناء وجهاء ··· اوادم طيبون وهو ليس غريبا عنهم · انه واحد منهم ·· صديقهم · لا يستطيعون أن يتخلوا عنه ليلة واحدة · آه · عندئذ تقوم القيامة · فليغب عنهم ليلة واحدة حا حا حا حاه · قدورى لا يعرف شيئا ·

لا يعرف هؤلاء الشباب الاخيار ولم يكن يريد أن يعرفهم · عنود رأسه قوى جدا مثل صالح جربزة · ولكن ما هذا ؟ هاه ؟ لماذا يضغط عليه الناس من كل جانب ؟ لم يستطع أن يدفع رأسه فوق الاكتاف والاعناق · والهرجة تشتد فى الشارع أكثر واكثر · ماذا حدث ؟ هاه ـ ماذا حدث هناك ؟يريد أن يرى قليلا · « آخ لا تدفع ·· لا تدفع » يريد أن يرى ان يرى كل شىء · فلينهروه كيفماشاؤوا · كل هذه الغاية الكثيبة من البشر ·· كيف تألفت بهذه السرعة الجنونية فوق شطيطة الرصيف ؟ والآن ماذا يراد منه فى صباح الشر هـذا ؟ « يواش ·· يواش سـيد ·· لا تدفع » ما بال هذا الرجل يدفعه فى صدره بكل هذه الشدة المؤذية ؟ كان قد هبط الى الشارع وتخلص من الزحام ·

« يواش ·· يواش ·· » لماذا يشتمه وينظر اليه بتلك العينين الظالمتين ـ تحت الخوذة الحديد ؟ عساكر فرعون أم ماذا ؟ فليأخذوه هو أيضا · عسى أن يرى قدورى هناك · فليأخذوه أنه لن يبالى أبدا · وجد نفسه مدسوسا مرة أخرى بين جذوع الغابة المتكاثفة · ولم تعد فيه ادنى مقاومة · كان يلهث بشدة · « ها ها هاه ·· أكطفوا روسكم ولكم ·· » وصاح آخر بالقرب منه « جت رحمة الله » ·· ما الذى يحدث هناك ؟ كانت فى الفضاء وحوله وفوق رأسه دوامة من طنين ـ مثل طنين النحل الهائج وكان شىء يلسعه ويحكه فى كل جسده الضئيل · ماذا ؟ ·· ماذا ؟ ·· ما الذى حدث هناك ·· ؟ « ولكم مظاهرة ·· مظاهرة ·· » ولم يستطع أن يرى شيئا · تحامل على رجليه القصيرتين وتطاول بعنقه · أين هى المظاهرة ؟ أهى نكتة ؟ لقد انقطعت السيارات عن المرور · ولم يبق أحد · اصحاب الخوذ الحديد واقفون مثل الاصنام · بعضهم يضطرب بسرعة هنا وهنالك كالمحركات الآلية ·

« ولك جتكم رحمة الله » بعض الناس اطلق ضحكة هادرة · والموجة دفعته بقوة الى الامام · كانت الحجارة تتطاير من وراء الجدار ·· وتهبط الى الشارع ـ مثل المطر · « حيل ·· حيل مستاهلين » وتفرقت الخوذ فى كل الجهات · اذن المظاهرة هناك فى الداخل ـ وراء الجدار · أحدهم يفتح باب الزنزانة ويفك الاغلال عن يديه ورجليه · قدورى يعانقه بحنان عظيم وقلبه الحار يخفق مثل الطير على صدره هو · « ليش باباتى ·· ليش ؟ » ومسح الدموع ولذعة الشمس من عينيه السقيمتين · وتطاول بعنقه بين الاكتاف · هل يستطيع قدورى ؟ آه ·· ليته يستطيع أن يهرب الآن ·

والحجارة تتطاير مثل العصافير الصغيرة وتهبط على ارض الشارع . والخوذ تتراكض هنا وهناك . وفى صدره تصفر فرحة عظيمة . ويل لهم .. ويل للقوم الظالمين . سبحانه تعالى . لقد بانت حكمته وعدالته أخيرا .. « هذا يومكم .. هذا يومكم يا ظلام .. » . لقد جاء دورهم الآن . ماذا ؟ هل يفكرون أن الناس ستبقى ساكتة الى الابد ؟ كم الف .. كم ألف نفر حبسوا وعذبوا هناك ؟ كم عائلة تركت بلا معيل . كم أم ثكلت ابناءها . « هذا يومكم .. هذا يومكم يا ظلام » يجب أن يصنع شيئا . لا يستطيع أن يقف فى مكانه هكذا ـ جامدا بلا حراك . والناس متراصون أمامه ووراءه . وحواليه . يكاد ينبض فيهم شعور واحد .. يحسه فى داخله أيضا . ولكنه أب .. أب محزون جريح النفس . وابنه قدورى هناك ـ مع المتظاهرين ـ وراء الجدار . آه ما الذى يحدث الآن هناك ؟ والنتيجة ماذا ستكون النتيجة ؟ ايستطيع أن يخرج قدورى هكذا وبسهولة من الباب المصفح بالحديد ؟ أم سيتسلقون الجدار ؟ ان ذلك مستحيل . لا احد يستطيع أن يتسلق هذا الجدار . آه لو كانت فى يديه قذيفة . سيأخذ قدورى الى بيت عمه . لا لا انهم قوم مفضوحون . لن يحتفظوا بسر . سيأخذه الى عبدالجبار . ولكنه صديقه وقد يكون مشبوها مثله . لا .. لا .. اذن الى اين ؟ الى اين سيأخذه ؟ حيرة والله . وقدورى يكره زكى وجماعته الطيبين . على كل فلينتظر الآن لم يخرج قدورى حتى هذه اللحظة . لا يدرى ماذا يحدث هناك . لعل الهاربين عندهم مخابئ . وقدورى سيذهب معهم . هاه .. ما هذا .. ما هذا ؟ رفع يديه ليقى رأسه وابتلعته الغابة فى تضاعيفها . ان شيئا ينفجر من بعيد . والموجة تدفعه بعيدا الى الساحة المدورة . مئات السيارات تزدحم . لا يكاد يرى طريقه بين الاقدام . والسيارات المصفحة وقعقعة السلاح . وآلاف الخوذ الحديد أمام الجدار . من أين انبثق كل هؤلاء ؟ وبهذه السرعة الهائلة ؟ هل انشقت عنهم الارض ؟ سبحان الله أهو يوم الحشر فى الدنيا قبل الآخرة ؟ كان صوت فى داخله يصيح بشدة ـ قدورى .. اريد قدورى أريد ولدى قدورى . انه هناك .. قدورى هناك مع الآخرين وراء الجدار .. قدورى ياب قدورى . ولم يخرج صوت من فمه . « أوف يابه .. أوف يابه راح راح . كل شى راح .. » كانت تأز فى الفضاء طلقات البنادق . ومن الابراج العالية ـ من الاوجار المحاطة باكياس الرمل كانت الرشاشات تطلق قهقهتها الرتيبة التى تحمل الموت . ويلتمع حديدها الاسود فى الشمس الساطعة . لقد

انتهى كل شيء · انتهى كل شيء · آه قدورى ياب قدورى ·· كان غشاء مظلم ينسدل على عينيه · الشمس والابراج العالية والجدار المنيع الاصم · ولم يعد فى عالمه شيء محسوس ·

أى يوم هذا بين الايام ؟ جمعة ·· خميس ·· اربعاء ·· هاه ؟ ستار ابن صالح جربزة الى اين تذهب ؟ ماذا بقى لك فى هذه الدنيا ·· هاه ؟ ·· تفو ·· تفو ·· على الجميع · هاه بحر من التفال لا يغرقهم ·· لا يغرق هذه المدينةالخابية · انهم نيام · الكل نيام · يرتاحون فى فرشهم الدافئة · وهو هو فقط ·· وحده فى الليل فى الطريق البارد · وحده دائما هاه · الى اين تذهب ستار ـ اضحوكة أفندى ·· الى اين ؟ « وين رايح وين ؟ ياب ·· ياب ·· وين الوعد وين ؟ » الوعد ·· هاه ·· أى وعد ؟ صوته أبح لم يعد يصلح للغناء ·· ابو شوارب طارده كل تلك الايام · والباب المصفح بالحديد · مربع صغير كان يطل منه وجهه ـ عيناه المدورتان كعينى الغراب · شارباه الغليظان المفتولان · أنه لا يريد شيئا ·· هو ستار ينتظر مع المنتظرين فى الشمس · لم يكن يطاب الدخول · فقط لو يعلم ·· آه فقط لو يعلم · رصاص البنادق يأز فى الفضاء ·· وقهقهة الرشاشات · حديدها الاسود يلمع وراء أكياس الرمل · فقط ·· لو يعلم · قدورى حى ·· أم ذهب مع الآخرين ؟ اوه اين ·· اين ·· ؟ لم يبق له فى هذه الدنيا أحد · ستار أفندى ·· ستار أضحوكة افندى اين تذهب الآن ؟ « آنى وحدى اسميك أفندى » رغم انف الجميع · انك أيضا بشر ستار أفندى · انت أيضا بشر مثلهم ·· حا حا حا حاه مثلهم ؟ من قال هذا ؟ من قال هذا ؟ هاه انت مثلهم ؟ انت ستار اضحوكة من قال انك مثلهم انت ملهاة فقط ـ للافندية ·· للوجهاء ·· لابناء البيكوات · حاحاحاحاه ·· اوادم ·· لا طيط ·· اوادم ولد اوادم ولد اوادم الى سابع ظهر ·· الى « أبونا » آدم عليه السلام · ربما كان اجدادهم ربابنة سفينة نوح عليه السلام · حا حا حا حاه سفينة نوح· « وهذه الدنيا بما فيها من الظلم » ها ها هاه ·· هو شاعر شاعر كبير ستار أفندى « مو قليل ·· مو قليل » انت لا تستطيع · لا أحد يستطيع أبدا « ستار افندى ما تكدر تسويه جيس تتن وتخليه بعبك » ابدا ابدا ·· ابدا · هو يعرف قدر نفسه · أى نعم أفندم حا حا حا حاه ·

كانت الريح باردة تعصف فى طرقات المدينة · و « الجدار »

يربض شامخا فى الظلام · بعض المصابيح مشنوقة عاليا فى رؤوس العواميد الطويلة · والشارع خال من الناس · ابو شوارب نائم الآن · لا بد أن يكون قد نام الآن · انهم كثيرون · لا واحد ولا اثنان · وابو شوارب رئيسهم · اى نعم « جبير العساجر ·· أفندم » حا حا حا حاه · « نص دينار » لا اكثر · لم يطلب شيئا كثيرا · « هو شنو قيمته ؟ » نصف دينار فقط · وكل ليلة يصرفون عشرات الدنانير · هاه جعل نفسه « قشمر » لهم · يضحكهم الى منتصف الليل · اضحوكة اضحوكة أفندى ·· ستار اضحوكة · لا طيط ·· لا طيط كان يمكن أن يتكلم ابو شوارب · أن يزيح شاربيه وينطق · « هو نص دينار بس » · والياس ؟ يسلطون الياس عليه ؟ « ليش ·· ليش ؟ » ألم يدفعوا كل ليلة « فلوس العرك ؟ » هو صديقهم ستار · صديقهم الحميم تقوم القيامة اذا لم يروه ليلة واحدة · حا حا حا حاه ·· من قال ذلك ؟ اضحوكة أفندى من قال ذلك ؟ والياس الياس يمسكه من تلابيبه ويقذف به خارج المقهى ؟ هكذا يعاملون الصديق ؟ ما اعجب الدنيا · أى والله ما اعجب هذه الدنيا العاهر · يوم كذا ويوم كذا · أفلا يفهمون ؟ كيف يستطيع أن يكون أضحوكة بعد الآن · قلبه مات · قلبه مات مات مات · وانتهى كل شىء ·· أولئك هم « الاوادم » هاهاهاه · كيف يطردونه هكذا ؟ مت مت يا ستار أضحوكة ·· انك قشمر · انك جبان · انك حمار · مت مت · موتك أحسن من حياتك الزفرة · تفو تفو تفو · فلتغرق الدنيا جميعها بالتفال ·

« هص · هص ·· لا تسوى حس » تعال هنا تعال هنا · لا أحد هناك · ظله القاتم الضئيل فقط على صفحة الجدار · والجدار وحده حى فى هذا الظلام · وقع اقدام من بعيد · شبح الحارس وبندقيته براسها حربة أمام الباب المصفح بالحديد · والليل الساكن العميق · « هص ·· هص ستار » هنا مثواك · هنا مرقدك الى جانب هذا الجدار · لم يبق لك أحد فى هذه الدنيا هاه ·· « اكعد هنا » تفو على الجميع · على كلهم قاطبة · لا بيت ولا مأوى ولا أحد · كان يجب أن تصنع شيئا ·· هاه ؟ وابو شوارب ربما فتح فمه · « نص دينار » فقط لا اكثر · لم يطلب شيئا كثيرا · غدا ربما يستجدى المارة فى الطرقات · نصف دينار · لم يبق شىء · لم يبق له شىء فى هذه الدنيا · ولا فى أى دنيا أخرى · وقدورى أيضا · آه فقط ·· لو يعلم · من يدرى تحت أى نجم يرقد قدورى الآن فى هذا الليل البارد ؟ كانت قهقهة الرشاشات تصب الموت وراء الجدار · « لا تدفع ·· سيد لا تدفع » والغابة المتكاثفة

فوق الرصيف · ويضيع بين الاقدام · مئات السيارات المصفحة تزدحم فى الساحة الكبيرة · انه تعب تعب جدا · رجلاه حبال راخية · وجسده متلاش مقرور · انه تعب من كل شيء ·· من كل هذه الحياة ·

والقى رأسه على « الجدار » · كانت الريح الباردة تصفر فى الظلام · ومن بعيد شبح الحارس يروح ويجيء أمام الباب المصفح بالحديد · ووراءه الجدار الاصم يحتضن اسراره الرهيبة المظلمة طوال الليل ·

بغداد — **عبدالملك نورى**

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

صاحبها : **مهدى الرحيم**

مديرها المسؤول : **خالد طه النجم المحامى**

الاشتراك داخل العراق : **دينار واحد**

الاشتراك خارج العراق : **دينار وربع**

المراسلات بعنوان :

خان كبه ـ شارع الرشيد ـ بغداد

الى حبي الاول ...[1]

للشاعر البلغارى : كريستو بوتيف
(١٨٤٨ - ١٨٧٦)

شاعر مبدع واسع الثقافة ، قضى حياته مناضلا لتحرير وطنه من المحتلين الاتراك ، وتحمل فى سبيل ذلك أشد البؤس واشق الصعاب ، وانتهت حياته الحافلة بسقوطه صريعا وهويكافح لاجل استقلال بلاده ، ضد المحتلين وكان لايزال آنذاك فى ريعان الشباب .

دعى اغنية الحب هذه ،
ولا تسكبى فى فؤادى السم .
انا فى ريعان الصبا ، ولكنى نسيت صباى
وحتى ان عادت بى الذاكرة اليه
فاننى ارفض ازاحة التراب
عما احقد عليه اليوم
وما وطئته امامك بقدمى .

أنسى ذلك الزمن الذى كنت أبكى فيه
من اجل نظرة ، من اجل حسرة .
لقد كنت آنذاك عبدا أجر القيود
ولاجل ابتسامة واحدة من بسماتك ،
كنت احتقر العالم بأسره
لقد تخبطت بمشاعرى فى الاوحال .

أتركى الى الماضى هذا الجنون .

---

(١) مترجمة عن الفرنسية من مجموعة شعرية لبوتيف ترجمتهـا الزا تريوليه وصاغها بالاسلوب الفرنسى الشاعر الكبير بول الوار .

فقد انطفأ فى قلبى الحب ٠
فلن تستطيع بعث الحياة فيه ٠
اذ لا تتملكه الآن غير الآلام
والقروح تغطيه من كل صوب ٠
ان الحقد يكسو قلبى ٠

صوتك جميل وانت فى ريعان الصبا ،
ولكن أما سمعت غناء الغابات ؟
أما سمعت نحيب الفقراء البائسين ؟
ان روحى تهفو الى سماع ذلك
ان قلبى يدعونى نحو تلك البقاع
حيث تنتشر سائلة دماء البشر ٠

دعى هذه الاناشيد المسمومة ٠
واستمعى الى انين الغابة ٠
فالعاصفة القديمة تزمجر
ملقيه على العالم كلمة كلمة ،
أحاديث الازمان السحيقة ،
ومنشدة الآلام الجديدة ٠

أنشدى انت أيضا مثل هذا النشيد ،
انشدى انشودة الآلام ايتها الفتاة :
كيف يبيع الاخ أخاه ،
وكيف يذبل الشباب ،
انشدى دموع الارملة ،
والاطفال الصغار دون مأوى !

انشدى والا فاسكتى ، وانطلقى فى سبيلك !
ان قلبى يخفق بعنف ، انه يكاد يطير ،
حبيبتى ،ان قلبى يطير ٠٠ ، أدركى ما أقول :
فهناك تردد الارض
صدى صراخ مريع حقود ،

صدى أغانى النزع الاخير ، اغانى الحداد ٠٠٠٠

هنالك تقتلع العاصفة الغصون ،
فيعقد منها السيف تيجانا ،
هنالك الوديان هوى عميقة الغور ،
والرصاص يأز مع الرياح ،
والموت ابتسامة رقيقة ،
والقبر البارد فراش لين ٠

آه : أى صوت سينشدنى
هذه الاغنيات الكئيبة وهذه الابتسامة الرقيقة
كم أود لو استطيع أن ارفع كأسى
وانطق بكلمات دامية
تسكت الحب نفسه !
وحينذاك فقط
استطيع أن انشد من أحب ٠

خذ قطعة من الشمع وأخرى من اللحم وشيئا من الرمل وشيئا من الطين وبعض شفرات الحلاقة وضعها على النار ٠ وكل هذه الاشياء تتأثر بمؤثر واحد ، ومع ذلك فالشمع يذوب ، واللحم ينشوى والطين يتصلب ، والشفرات تشع ٠ وهكذا فتحت ظروف متشابهة وبيئة واحدة يصبح أحد الاشخاص أقوى ، ويضعف الآخر ، بينما يموت الثالث ٠

« أساطير هوفمان »

من الادب الامريكي

الحـرب في اسـبانيا

للكاتب الاميركى وليم سارويان

كنت لا تكاد تستطيع التنفس ، كان الجو خانقا جدا ٠

كان شـقيقى دريك يتمشى فى غرفته عاريا بعـد حمام بارد ، متحدثا بصوت مرتفع ومغنيا ٠ كان يقول :

خـذ كل شىء ٠

خـذ مالى ٠

خـذ قلبى ٠

خـذ حياتى ٠

وقبعت فى الكرسى الهزاز فى الطارمة ورحت أراقبه ، وقلت فى نفسى : هذه سنة كئيبة للعالم ، بوسعى أن أحس العالم يضحك منا نحن الاحياء جميعا ٠

ووقف دريك فى غرفته يدخن سيجارة ٠ وانطلق يغنى :

أنت تعلم أنك ملك شخص آخر

فلماذا لا تدعنى وشأنى ؟!

ثم انفجر ضاحكا ٠ وهتف : انوشى ، أوه ، انوشى ٠

وترك الكرسى الهزاز ودخلت المنزل كان ابى راقدا على الاريكة فى البهو ، كان يبدو كأنه يحاول أن يمضى بعيدا ، الى مكان يستطيع أن يتنفس فيه هواء نقيا ، دخلت غرفة دريك وقلت : ماذا ؟

فقال : أنوش ٠

ـ ماذا ؟

ـ بم تحلم الآن ؟

فقلت : لا أحلم بشىء ، ماذا تريد ؟

فقال : سأتركك قريبا جدا يا ولدى ، أود أن أتحدث معك حديثا قصيرا ٠

وفكرت فى نفسى : هذا أشد الاعوام كآبة للعالم ، وقلت : الى أين تذهب ؟

فقال : انوش ، ياولدى ، اننى فى طريقى الى الحرب ٠

فقلت : الحرب ؟ أنت تمزح ٠

وكنت قد فزعت ، شأنى فى الاوقات التى أتخيل فيها ان العالم سينتهى فى دقيقة أو دقيقتين ، وكل شىء سيتحطم الى قطع ، وكل شخص سيموت ، غارقا أو مختنقا ، أو متحطما تحت ثقل عظيم غير مرئى ، وقلت : أنت تمزح ٠

فقال : يا ولدى اننى جندى الآن ٠

وشرعت أبكى ، لاننى كنت أستطيع أن أدرك أنه غير مازح ، ورفعنى من الارض وألقانى على السرير ٠ وقال : انوش يا ولدى ، ان الحرب بهجة الرجل ، والخطر سلواه ، والموت عشيق كل حى ٠

وتحدث وقتا طويلا ٠ وجلست معتدلا ، ومضيت أرقبه ٠

وفكرت : ان المرء يقتل فى الحرب ، سيقتل دريك ٠

قلت : سيقتلونك فى الحرب يادريك ، لا تذهب ٠

فقال : ربما سيقتلوننى ، وربما لا يقتلوننى ٠ هذا ما سأحاول ايجاده ٠

فقلت : سيقتلونك ٠

ورأيته ميتا فى وسط أرض قفراء مظلمة ، وبدأت أبكى ، سيكون هناك وحيدا منخذلا ، محطم الجسم ، وسمعت أمى بكائى فقدمت الى الغرفة ٠ قالت : لماذا تدفع الطفل للبكاء ؟

فصرخت : سيقتلونه ٠ سيذهب دريك الى الحرب فى اسبانيا وسيقتلونه ٠

فزعقت أمى ٠ وصرخت : دريك ٠

ونفخ دريك دخان سيجارته ٠

واستدارت وهرولت الى ابى ٠

قال دريك : انوش ، يا ولدى ، أود أن أترك لك ما تحب من أشيائى ، بندقيتى ، فونوغرافى ، كتبى ٠ سأتحدث الى بولا فيما بعد ٠ أنت تأتى أولا ٠

فصرخت : أنا لا اريد أى شىء سيقتلونك ، انتظر وسترى ٠

فقال : أنت فى التاسعة من عمرك ، ذلك سن مناسب للموسيقى ،

سأترك لك الاسطوانات والحاكى ، ما رأيك فى هذا ؟

فقلت : كلا ، أنا لا اريد أى شىء ٠

فقال : بامكان بولا أن تأخذ الكتب ، اذهب وادعها ٠

كنت مسرورا بالذهاب ، جريت وتسلقت السلالم نحو غرفة بولا ٠ وقلت : ان دريك ذاهب الى الحرب ٠

ولم انتظر أى رد من بولا ٠ وغادرت الغرفة راكضا ، فأقبلت بعد لحظة ٠ كانت بولا توأم دريك ، ولم يكن يبدو عليها الاسف أبدا ٠ أعتقد انها كانت تفهم دريك فهما عميقا ، فلم يخطر لها أن دريك مقدم على ارتكاب خطأ ٠ تبعتها الى الغرفة ٠ كانت امى ما تزال تبكى ، لكن أبى كان يبدو متعبا فقط ٠ قال : انك لم تبلغ من العمر القدر الذى يؤهلك للاشتراك فى الحرب ٠

فقال دريك : لقد احتطت لهذا ٠

ونظر الى بولا وقال : بامكانك أن تأخذى كتبى ٠

وقالت امى : أنت فى الثامنة عشر فقط ٠

وبدأت تبكى ثانية ٠

فقال دريك : فقط ؟

وقال أبى : أنت لست شيوعى ٠

فقال دريك : اننى تلميذ ٠

وقالت بولا : لا تبكى يا أمى ٠ لن يحدث شىء لدريك ٠

فقلت : سيقتل ٠

وقال ابى : لماذا تريد أن تصبح جنديا ؟

وارتدى دريك سترته وقبعته وهو يبتسم فى وجه كل منا ، وشرعت أمى تبكى بصوت أشد ارتفاعا ٠

وقال أبى : فليلعنها الله ٠

ووضع ذراعيه حول أمى وقال : ماذا تبغين من وراء البكاء ؟

وقاد امى الى البهو ٠

وذلك كان كل شىء ٠ ومضى دريك الى الحرب ، ولم نره مرة أخرى ٠ ولم يستطع أى شخص فى البيت ، عدا بولا ، أن يكف عن البكاء ٠ وظلت بولا تقول : انهم لا يستطيعون أن يقتلوا دريك حتى وان كان ميتا !

حفلة الزواج

« كوميديا فى فصل واحد »

بقلم : الكاتب الروسى انطون شيخوف
تعريب : شاكر خصباك

أشخاص المسرحية :
يفدوكيم زاهرو فيتش زهيجالوف : كاتب فى مكتب التسجيل للكلية ٠
ناستاسيا تيموفيفنا : زوجته ٠
داشنكا : ابنتهما
ابامينوند ماكسيمو فيتش أبلومبوف : عريسها ٠
فيدور ياكوفلو فيتش رفينوف ـ كاردولف : كابتن فى البحرية من الصنف الثانى ، متقاعد ٠
أندريه أندر فيتش نيونين : وكيل تأمين ٠
أنا مارتينوفنا زميوكين : مربية فى حوالى الثلاثين من عمرها ، ترتدى بدلة زاهية الالوان ٠
ايفان ميهيلوفتش يات : موظف فى مكتب البرق
هارلامب سبيريدو نيفتش ديمبا : يونانى الاصل يدير حانوت حلويات ٠
ديمترى ستيبا نوفيتش موزغوفرى : بحار فى فرقة المتطوعين ٠
وكلاء العروسين ، راقصون ، خدم ، الخ ٠٠

تجرى الحوادث فى احدى غرف مطعم من مطاعم الدرجة الثانية ٠
(غرفة ذات أنوار ساطعة ٠ منضدة كبيرة مهيأة لتناول الطعام ٠ الخدم منهمكون حول المناضد بثيابهم المنتفخة الاطراف ٠ جوقة ، خلف المنظر ، تعزف آخر جزء من « الكواردليل » مدام زميوكين ويات ووكيل العريس يسيرون على المسرح) ٠

مدام زيميوكين : لا ٠ لا ٠ لا ٠
يات : (يتبعها) كونى رحيمة بى ٠
مدام زيميوكين : لا ٠ لا ٠ لا ٠

وكيل العريس (يسرع وراءهما) اسمعا · ليس فى امكانكما أن تستمرا على هذا الحال · الى أين تقصدان ؟ وماذا عن (الجراندروند) من فضلكما ؟ (يخرجون)

(تدخل ناستاسيا وأبلومبوف)

ناستاسيا : الافضل لك أن تمضى عنى وتشترك فى الرقص بدلا من أن تتعبنى بقول أشياء كثيرة عن شتى الامور يا أبلومبوف ·

أبلومبوف : اننى لست سبينوزا لاذهب وألوى ساقى كالدوامة · اننى رجل عملى ، رجل ذو شخصية ، ولست أتذوق أية تسلية فارغة · ولكننى لا أبغى التحدث عن الرقص الآن · عفوا يا أماه ، ولكن هناك جانبا غريبا فى سلوكك لا استطيع فهمه ، فقد وعدتنى قبلا أن تهبينى أثنتين من تذاكر اليانصيب ـ بالاشتراك مع ابنتك ـ ما خلا أشياء البيت · فأين هما ؟

ناستاسيا : لقد أصابنى صداع حاد ·· لا بد أنه بتأثير الجو ·· سيحدث ذوبان فى الثلج ··

أبلومبوف : لا تحاولى أن تغيرى الموضوع · لقد اكتشفت اليوم أن تذاكرك قد رهنت · عفوا يا أماه · ان هذا سلوك تاجر · لست أقول هذا بدافع الانانية ، فانا لا اريد تذاكر اليانصيب هذه ، ولكن المسألة مسألة مبدأ ، ولست أسمح لاى انسان أن يعاملنى هكذا · لقد خلقت سعادة ابنتك ، فاذا لم تعطينى التذاكر اليوم فسأجعلها تدفع ثمن ذلك · اننى رجل صاحب كلمة ·

ناستاسيا : (تنظر حوالى المنضدة وتعد الاماكن المهيأة) واحد، أثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ·

خادم : لقد طلب الى الطباخ أن أسألك كيف تحب أن تصنع الدوندرمة ، بشراب « الروم » أو « المداريا » أو بدون شىء ·

أبلومبوف : بشراب « الروم » · وأخبر المدير أنه لا يوجد شراب كاف ، وقل له أن يرسل شيئا من « الهوت سوترون » أيضا · (الى ناستاسيا) لقد وعدت أيضا ، وهو أمر اتفق عليه ، أن يحضر العشاء جنرال هذه الليلة · وأود لو علمت أين هذا الجنرال ؟

ناستاسيا : اننى لست مسؤولة عن هذا الخطأ يا عزيزى ·

أبلومبوف : من المسؤول اذن ؟

ناستاسيا : أندريا أندروفيتش · لقد كان البارحة هنا ووعد أن يحضر معه جنرالا حقيقيا · (تتأوه) أحسب أنه لم يوفق الى العثور على جنرال فى أى مكان والا لاصطحبه معه · كأنما قد قصدنا بهذا ! اننا لا

نبخل بشيء فيسبيل سعادة ابنتنا • اذا شئت جنرالا بحق وحقيق ••

أبلومبوف : وثمة شيء آخر • كل انسان يعلم ، وكذلك أنت يا أماه ان موظف التلغراف يات كان يعلن غرامه بداشنكا قبل أن أخطبها• فلماذا دعوته ؟ ! لا بد أنك قدرت أن ذلك سيسوءني •

ناستاسيا : أوه ، ما اسمك ؟ ابامينوند ماكسيمو فيتش ؟! ها أنت ذا أنهكتنى بلغوك ولما يمض بعد يوم واحد على زواجك ، فماذا سيحدث خلال عام ؟ ! أنت رجل صاحب تجارب ! حقا انك لكذلك •

أبلومبوف : انك لا تحبين سماع الحقيقة • أ ــ ها ! الامر على هذه الصورة اذن • ينبغى أن تكونى شريفة فى تصرفك • كل بغيتى أن تتصرفى بشرف •

(يقدم زوجان يرقصان « الجراند روند » ويعبران المسرح ، ثم يتخلف أحد الزوجين فى الغرفة ويتألف من مدام زيميوكين ويات • بينما يمضى الزوج الآخر ويتألف من داشنكا ووكيل العريس خارجا من باب يدخل زهيجالوف وديمبا ويتجهان الى المنضدة) •

وكيل العريس (يصيح) نزهة أيها السادة ، نزهة • (خلف المسرح) نزهة •

(يرقص كل زوجين خارج المسرح)

يات : (الى مدام زيميوكين) كونى رحيمة • كونى رحيمة يا أنا مارتينوفنا الساحرة •

مدام زيميوكين : أوه ، ياله من رجل ! لقد قلت لك من قبل اننى لست فى صوت ملائم اليوم •

يات : أتوسل اليك • أرجوك • غنى • لحنا واحدا فقط • كونى رحيمة • ولو نغما واحدا •

مدام زيميوكين : أنت تزعجنى • (تجلس وتروح بمروحتها) •

يات : حقا انك لعديمة الرحمة • من المؤسف أن يفكر الانسان بمخلوقة قاسية مثلك ، اذا صفحت عن هذا التعبير ، لها مثل هذا الصوت المحبوب • كان ينبغى عليك وأنت تتمتعين بهذا الصوت ألا تكونى مربية، اذا صفحت عن هذا التعبير، بل تغنى فى حفلات عامة• ما أسمى ترجيعك لهذا المقطع مثلا •• « لقد احببتك حبا تلاشى عبثا •• » ، لطيف •• !

مدام زيميوكين: (تتنحنح) «لقد أحببتك، وربما بقى هذا الحب•••» أهذا هو ؟

يات : نعم هذا هو • لطيف !

مدام زيميوكين : كلا • اننى لست فى مزاج ملائم اليوم • خذ •

روح لى · الجو حار جدا · (الى أبلومبوف) ابامينوند ماكسيموفيتش ، لماذا تبدو كئيبا الى هذا الحد ؟ لا يليق هذا فى يوم زواجك · يجب أن تخجل من نفسك يا أيها الرجل الفظيع · لماذا ، فيم تفكر ؟

أبلومبوف : الزواج خطوة خطيرة · انها ذات اعتبارات خطيرة من جميع الوجوه ·

مدام زيميوكين : ما أبغضكم من مرتابين ! لا أستطيع أن أتنفس فى مجمعكم · أعطنى هواء ·· أعطنى هواء · ألا تسمع ؟ أعطنى هواء · (تتنحنح) ·

يات : لطيف ·· لطيف ·

مدام زيميوكين : روح لى ·· أحس كأن قلبى سينفجر ·· اخبرنى من فضلك ، لماذا أشعر كأننى مختنقة ؟

يات : لانك غارقة فى العرق ·

مدام زيميوكين : أوه ، يا لها من لغة سوقية · حاذر أن تجرأ على استخدام هذا التعبير مرة أخرى ·

يات : عفوا ، أنت معتادة بالطبع على المجتمع الارستقراطى ، اذا صفحت عن التعبير ··

مدام زيميوكين : دعنى لوحدى أعطنى شعرا ، مسرات ! روح لى ، روح لى ··

زهيجالوف : (الى ديمبا) هل نكرر ؟ (يملأ الاقداح) بامكان الانسان أن يشرب فى أية لحظة يشاء · ان الامر المهم يا هار لامبى سبيريدونيش هو الا يهمل المرء عمله · اشرب، ولكن يجب أن تحافظ على وعيك · أما عن احتساء الخمر ، فلم لا ؟ ليس فيه ضرر ·· فى صحتك (يشربان) وهل توجد نمور فى اليونان ؟

ديمبا : هازا أكيد ·

زهيجالوف : وأسود ؟

ديمبا : هازا أكيد ، أسود أيضا · فى روسيا لا يوجد شىء ، ولكن فى اليونان يوجد كل شىء · يوجد لى هناك أب وعم واخوان ، وهنا لا يوجد لى أحد ·

زهيجالوف : احم ·· وهل يوجد حوت فى اليونان ؟

ديمبا : هازا أكيد · يوجد كل شىء ·

ناستاسيا : (الى زوجها) لماذا تنهمك فى الاكل والشرب كيفما اتفق ؟ لقد حان الوقت ليجلس الى المائدة كل شخص · لا تقيد شوكتك الى الجمبرى المعلب فهو للجنرال · ربما قدم بعد ·

زهيجالوف : وهل يوجد جمبرى أيضا فى اليونان ؟
ديمبا : هازا أكيد ، يوجد كل شىء هناك ٠
زهيجالوف : احم ، وكتاب فى مكتب التسجيل للكلية ؟
مدام زيميوكين : بوسعى أن أتصور الآن الجو فى اليونان ٠
زهيجالوف : أعتقد أن هناك كثيرا من المحتالين ٠ فاليونانيون أقرب شبها بالامريكيين والغجر ٠ انهم يبيعونك ملعقة أو سمكة ذهبية فى جلبة ليسرقوك بواسطتها ٠ هل نكرر ؟
ناستاسيا : ما جدوى التكرار ؟ انه الوقت الذى ينبغى أن نجتمع فيه جميعا ٠ لقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة ٠
زهيجالوف : حسنا ٠ فلنجلس اذن ٠ أيها السيدات والسادة ، تفضلوا للعشاء ٠ (يهتف) العشاء ٠ العشاء أيها الشباب ٠
ناستاسيا : أيها الاصدقاء ، من فضلكم ، هلموا للعشاء ٠ اجلسوا٠
مدام زيميوكين : (تجلس عند المنضدة) أعطنى شعرا ٠ « روحه القلقة تفتش عن العاصفة كما لو أن فيها السلام والهدوء » ٠ اعطنى عاصفة ٠
يات : (على حدة) امرأة فائقة ٠ اننى صب مغرم ، غارق حتى أذنى فى الغرام ٠
(تدخل داشنكا وموزغوفوى ووكيل العريس وعدد من السيدات والسادة ٠ يجلس الجميع فى ضوضاء ٠ لحظة صمت ٠ تعزف الجوقة مارشا) ٠
موزغوفوى : (ينهض) سيداتى وسادتى ٠ أحب أن أقول شيئا ٠ لدينا عدد عظيم من الانخاب والخطب فلا تدعونا نؤجلها ، ولنبدأ حالا ٠ سيداتى وسادتى ، أقترح شرب نخب العريس والعروس ٠
(تعزف الجوقة ألحانا بهيجة ٠ صيحات [هوراه] ورنين أقداح)
موزغوفوى : انه فى حاجة الى تحلية ٠
الجميع : انه فى حاجة الى تحلية ٠
(أبلومبوف ودانشكا يتبادلان قبلة)
يات : لطيف ٠٠ لطيف ٠٠ ينبغى أن أعلن سيداتى وسادتى ـ من باب ايفاء الدين حيث يجب أن يوفى الدين ـ ان هذه الغرفة والبناية على العموم رائعة ، فائقة ساحرة ٠ ولكن شيئا آخر يكملها كما تعلمون ، هو النور الكهربائى ، اذا صفحتم عن التعبير ٠ لقد دخل النور الكهربائى جميع الاقطار ، ولكن روسيا تخلفت عن استعماله وبقيت فى المؤخرة ٠

زهيجالوف : (فى هيئة تفكير عميق) النـور الكهـربائى ·· احم ·· ولكن النور الكهربائى فى رأيى ليس سوى احتيال · انهـم يدسون قطعة من الفحم المتقد ويحسبون انهم سيسخرون منك بهذا · لا يا رجلى الطيب ، اذا كنت تبغى أن تهبنا نورا فلا تهبنا قطعة صغيرة من الفحم ، بل أعطنا شيئا ماديا ، شيئا جامدا يمكن أن يلمس · أعطنا نورا ـ أنت تفهم ـ نورا طبيعيا وليس ذهنيا ·

يات : لو أنك رأيت بطارية كهربائية ، وشهدت مم صنعت لفكرت بشكل آخر ·

زهيجالوف : لست اريد رؤيتها · انها احتيال · انهم يخدعون النـاس البسطاء · يعصـرون آخر قطرة منهم · نحن نعرف كل شىء عنهم · وبدلا من دفاعك عن الاحتيال فالافضل لك أيها الشـاب أن أن تشرب وتملأ أقداح الآخرين · نعم ، حقا ·

أبلومبوف : اننى أتفق معك كليا يا أبتاه · ما الفائدة من الجرى وراء هذه المواضيع العويصة ؟ اننى مستعد تماما أن أخوض فى ميدان حديث الاكتشافات العلمية جميعها ، ولكن لكل مقام مقال · (الى داشنكا) ما رأيك فى ذلك يا عزيزتى ؟

داشنكا : انه يبغى التباهى علينا بمعلوماته ، فيتحدث دائمـا بأشياء لا يفهمها أحد ·

ناستاسيا : شكرا لله ، لقد قضينا كل حياتنـا بدون درس · وهذه هى البنت الثالثة التى نزوجها لزوج طيب · واذا كنت تعتقد أننا غير متعلمين أبدا ،فلماذا تأتى لزيارتنا ؟ ينبغى أن تقصد أصدقاءك المتعلمين ·

يات : اننى أكن احتراما عميقا لعائلتكم على الدوام يا ناستاسيا تيموفيفنا · واذا كنت قد قلت كلمة عن النور الكهربائى فلا يعنى هذا اننى قلتها بدافع من الازدراء لكم · اننى مستعد تمام الاستعـداد أن أتناول شرابا الآن · لقد كنت أتمنى لداريا يغدوتيموفنا دائما زوجا طيبا من كل قلبى · انه لامر متعذر الحصول على زوج طيب هذه الايام يا ناسـتاسيا تيموفيفنا · كل شخص فى هذه الايام يهـدف من وراء الزواج الى المال ·

أبلومبوف : هذا غمز موجه الى ·

يات : (فى فزع) لم اقصد بقولى أى نوع من الغمز ·· اننى لم أكن أتكلم عن الحاضرين · لقد قلت ذلك كملاحظة عامـة ·· أقسـم بشرفى · كل شخص يعلم أنك تتزوج بدافـع الحب ، ان المهـر لا يسترعى الاهتمام ·

ناستاسيا : لا يسترعى الاهتمام ·· أهو كذلك ؟ فكر بما تقوله يا سيدى · نحن ندفع بالاضافة الى ألف روبل سرير وأثاث وثلاثة « برنسات » ·· جرب أن تعثر على مهر يضارع هذا ·

يات : اننى لم أقصد شيئا من هذا القبيل · من المؤكد أن الاثاث بديع جدا · و ·· و ·· و « البرنسات » بالطبع ·· لقد عنيت أن الموضوع يثير الغضب بحيث لا يسمح بالغمز ··

ناستاسيا : حسنا · كان ينبغى عليك ألا تسوق الغمزات · لقد دعوناك لهذه الحفلة بدافع احترامنا لابويك ، وانت تواصل قول أشياء لا معنى لها ، واذا كنت تعلم أن ابامينوند ماكسيموفيتش يبغى نقودها ، فلماذا لم تصرح بذلك من قبل ؟ (بصوت باك) لقد ربيتها ونشأتها ·· لقد راقبتها باحتراس كأنها ماسة أو زمردة ، يا طفلتى الحبيبة ··

أبلومبوف : وأنت تصدقينه ؟! أنا شاكر لك هذا كثيرا · شاكر لك كثيرا جدا · (الى يات) أما أنت يا يات ، فانا لا أسمح لك أن تتصرف بدون لياقة فى بيوت الآخرين ، وان كنت صديقا لى · ارجوك أن تنصرف ·

يات : ماذا تعنى ؟

أبلومبوف : كنت أحب أن تكون رجلا شريفا بقدر ما أنا كذلك · فى الحقيقة ·· أرجوك أن تنصرف ·

(تعزف الجوقة أنغاما بهيجة)

رجال : (أبلومبوف) أوه ، كف · اذهب · لا يهم · اجلس · دعه وشأنه ·

يات : لم أكن أقول أى شىء مسىء · لماذا ، أنا ·· فى الحقيقة ·· أنا لا أفهم المسألة · سأذهب بالتأكيد ·· ولكن أعدلى الروبلات الخمسة التى اقترضتها منى منذ عام مضى لتشترى صدرية قطنية ، اصفح عن التعبير · سأتناول جرعة أخرى من الشراب وسأ ·· وسأذهب ، ولكن ادفع لى دينى اولا ·

رجال : هيا · كف · هذا يكفى · تثيرون هذا الضجيج حول لا شىء ·

وكيل العريس : (يصيح) فى صحة أبوى العريس يفدوكيم زهاريتش وناستاسيا تيموفيفنا ·

(تعزف الجوقة ألحانا بهيجة · صيحات [هوراه]) ·

زهيجالوف: (متأثرا، ينحنى فى جميع الجهات) شكرا يا أصدقائى الطيبين · اننى شاكر لكم عظيم الشكر اهتمامكم بالمجىء وتعطفكم بقبول الدعوة ·· لا تظنوا أننى شخص ساذج ، أو أن ما أقوله نوع من

الاحتيـال • اننى أتكلم كما أشعر بالضبط ، فأنا لا أتذمر من شيء يا اصدقائى • اننى أشكركم من أعماق قلبى • (يقبل الذين بقربه) •

داشنكا : (الى امها) ماما ، لماذا تبكين ؟! اننى سعيدة جدا •

أبلومبوف : ان ماما منزعجة من الفراق القريب • ولكننى أنصحها أن تفكر بحديثنا •

يات : لا تبكى يا ناستاسيا تيموفيفنا • فكرى بماهية الدموع البشرية • ضعف عصبى ، ذلك كل ما فى الامر •

زهيجالوف : وهل هناك « فطر » فى اليونان ؟

ديمبا : هازا أكيد ،يوجد كل شيء هناك •

زهيجالوف : ولكننى أراهن أنه لا يوجد نوع أسمر كالذى عندنا •

ديمبا : هازا أكيد ، يوجد •

موزغوفوى : هارلامبى سبيرو دونيتش ، لقد حان دورك لالقـاء خطبة • سيداتى وسادتى ، اسمحوا له بالقاء خطبته •

ديمبا لماذا ؟ لاجل أى شيء ؟ أنا لا أفهم الامر •

مدام زيميوكين : لا • لا • لا ترفض • انه دورك • انهض •

ديمبا : « ينهض فى ارتباك » يمكننى أن أقول هازا • توجد روسيا وتوجد اليونان • يوجد بشر فى روسيا ، ويوجـد بشـر فى اليونان • وتوجد سفن وقوارب ، هذا فى روسيا فى البحر • أما على الارض فتوجد سكك حديدية مختلفة • أنا أعلم جيدا • نحن يونانيون وانتم روس • ولسنا نريد شيئا • يمكننى أن أخبركم ، توجد روسيا وتوجد اليونان •

(يدخل نيونين)

نيونين : كفوا سيداتى وسادتى • لا تتناولوا الطعـام بعـد • انتظروا قليلا • ناستاسيا تيموفيفنا ، دقيقة واحدة • هلمى من هذا الطريق • (يسحب ناستاسيا تيموفيفنا على حدة وهو مبهور الانفاس) اسمعى •• ان الجنرال قادم الآن • لقد وفقت الى الامساك به أخيرا • اننى بعبارة مختصرة ، قد أنهكت ، جنرال حقيقى ، وقور جدا ، مسن ، أعتقد أنه فى الثمانين ، وربما فى التسعين •

ناستاسيا : متى سيقدم ؟

نيونين : هذه الدقيقة • ستكونين ممتنة لى الى آخر حياتك • انه ليس جنرالا فحسب ، انه خوخ ، بولانجر ، انه ليس جنرالا اعتياديا ، ليس رجلاعسكريا من المشاة ، بل هومن رجال البحرية العظام • انه فى مرتبة كابتن من الدرجة الثانية ، ولكنه يساوى فى حساب الاسطول ميجر جنرال ، ويساوى فى الخدمة المـدنية قنصلا فعليا • نعم ، نفس هـذه

المرتبة ان لم تكن أعلى ٠
ناستاسيا : الست تخدعنى يا أندروشنكا ؟
نيونين : وماذا بعد ؟! أأنا خنزير ؟! اطمئنى ٠
ناسياسيا : (تتنهد) لست أود أن أنفق نقودى مقابل لا شيء ٠ أندروشنكا ٠ ٠
نيونين : اطمئنى ٠ انه صورة كاملة للجنرال ، (يرفع صوته) قلت له ؛ لقد نسيتنا كليا يا صاحب السعادة ٠ انه لامر مؤلم جدا يا صاحب السعادة أن تنسى أصدقاءك القدماء ٠ ان ناستاسيا تيموفيفنا متكدرة جدا ٠ (يتجه الى المنضدة ويجلس) ٠ وقال لى ؛ قسما بروحى يا ولدى، كيف أذهب إلى الدعوة وانا لاأعرف العريس؟! فقلت له: وماذا بعد يا صاحب السعادة ؟! لماذا تقيم وزنا للرسميات ؟! ان العريس شخص رائع ، شاب طيب القلب ٠ انه مخمن فى حانوت مرابى ٠ ولكن لا يمثل فى ذهنك انه شحاذ حقير أو نذل يا صاحب السعادة ٠ ففى هذه الايام يعمل فى حوانيت الرهون حتى السيدات ذوات التربية الحسنة ٠ فربت على كتفى ، ودخن كل منا سيجار هافانا ، وها هو الآن قادم ٠ انتظروا دقيقة سيداتى وسادتى ٠ لا تأكلوا ٠
أبلومبوف : ومتى سيصل ؟
نيونين : هذه الدقيقة ٠ كان يرتدى غطاء حذائه حينما قدمت
أبلومبوف : ينبغى أن نخبر الجوقة لتعزف مارشا اذن ٠
نيونين : (يهتف) هاى ، يا مدير الجوقة ، اعزفوا مارشا ٠
(تعزف الجوقة مارشا خلال بضعة دقائق)
خادم : (يعلن) مسيو ريفينو كارولوف ٠
(يخف زهيجالوف وناستاسيا ونيونين للقائه ٠٠ يدخل ريفينو كارولوف)
ناستاسيا : (تنحنى) أهلا وسهلا ياصاحب السعادة ٠ تشرفنا برؤيتك ٠
ريفنيوف :تشرفنا ٠
نيونين : اسمح لى يا صاحب السعادة أن أقدم لسعادتك العريس ٠ ابامينوند ماكسيموفيتش أبلومبوف ، مع ولادته الجديدة ، أعنى عروسه المتزوجة حديثا ٠ ايفان ميهاليتش يات ، موظف بدائرة التلغراف ٠ هارلامبى سبيرادونيش ديمبا ، أجنبى ذو نسب يونانى من صنف الحلوانية ٠ أوسيب لوكيتش بالماندتيكى ٠٠ وهكذا ٠٠ وهكذا ٠ أما البقية فليس لهم قيمة تذكر ٠ تفضل بالجلوس يا صاحب السعادة ٠
ريفنوف : تشرفنا ٠ عفوا أيها السيدات والسادة ٠ أود أن أقول

كلمتين لاندرويوشا · (يقود نيونين جانبا) أحس بشيء من الاحراج يا ولدى · لماذا تلقبنى بصاحب السعادة ؟ لماذا ؟؟ اننى لست جنرالا · اننى كابتن من المرتبة الثانية · وهى لا تساوى مرتبة كولونيل !

نيونين : (يتكلم فى أذنه كأنه يخاطب شخصا أصم) أنا أعلم ، ولكن يا فيدور باكوفلفتيش ، كن طيبا جدا ودعنا ندعوك بصاحب السعادة · انها أسرة موقرة كما تعلم ، وأفرادها يجلون من هو أرفع مرتبة منهم · انهم يحبون أن يظهروا احترامهم حيث يجب أن يقدم الاحترام ·

ريفنوف : حسنا ، اذا كان الامر كذلك ·· بالطبع · (متجها الى المنضدة) تشرفنا ·

ناستاسيا : تفضل بالجلوس يا صاحب السعادة · شرفنا · ماذا ستتناول يا صاحب السعادة ؟! ولكننا نرجو المعذرة ، فانت معتاد على نظام غذائى جيد فى البيت ، وما نحن سوى أناس بسطاء ·

ريفنوف : (غير سامع) ماذا ؟ احم ·· نعم · (فترة صمت) فى الايام الغابرة كان الناس جميعا يعيشون ببساطة · وكانوا قنوعين · اننى رجل ذو رتبة فى الدولة ولكننى أعيش ببساطة · لقد جاء أندرويوشا الى اليوم ودعانى الى حفلة الزواج · وقلت له كيف يمكننى تلبية الدعوة وأنا لا اعرف اصحابها ؟ ان فى هذا بعض الاحراج · ولكنه قال : انهم قوم بسطاء ، اسرة محترمة · يسرهم دائما استقبال الضيوف · فقلت : بالطبع ·· اذا كان الامر كذلك ·· لم لا ؟! يشرفنى هذا · ان الجو كئيب فى البيت ، وأنا أعيش وحيدا · واذا كان فى حضورى هذا الحفل سرور لاى انسان ، حسنا ، بكل سرور ·

زهيجالوف : وهكذا فقد جئت بوحى من قلبك الطيب يا صاحب السعادة · اننى رجل بسيط ، لا أحسن أى نوع من الاحتيال ، واننى لأحترم من هم على شاكلتى ·· تناول شيئا يا صاحب السعادة ·

أبلومبوف : هل تركت الخدمة من زمن طويل يا صاحب السعادة ؟

ريفنوف : اه ؟ نعم ، نعم ·· بالتأكيد · ذلك حقيقى · نعم ·· ولكن كيف اتفق هذا ؟! ان سمك الرنجة مر ، وكذلك الخبز مر ، ليس فى امكانى تناوله ·

الجميع : انه فى حاجة الى تحلية ·

(أبلومبوف وداشنكا يتبادلان القبل)

ريفينوف : هيء ـ هيء ·· فى صحتكم (فترة صمت) ·· نعم فى الايام الغابرة كل شيء كان بسيطا · وكل شخص كان راضيا ·· اننى أحب الوسائل البسيطة · اننى رجل عجوز · بالطبع · لقد

تقاعدت من الخدمة فى سنة ١٨٦٥ اننى فى الثانية والسبعين • نعم •• فى الايام الغابرة ، بالتأكيد ، كانوا يحبون أيضا أن يقيموا فى المناسبات عرضا •• ولكن •• (يرى موزغوفوى) أنت •• ت •• بحار •• ألست كذلك ؟

موزغوفوى • نعم يا سيدى •

رفينوف : أها •• بالتأكيد •• نعم •• ان الخدمة البحرية كانت دائما عملا شاقا • هناك شىء تفكر به دائما وتنهك به عقلك كل كلمة بسيطة تحمل معنى خاصا • مثال ذلك : يا بحارة الصارى : الى مرافع الشراع الاعلى ومرابط الشراع الرئيسى • ماذا تعنى هذه العبارة ؟ بوسع البحار أن يفهمها ولا خوف عليه • ها •• ها ! انها صعبة كعملية رياضية •

نيونين : فى صحة صاحب السعادة فيدور ياكفلوفيتش ريفينوف ـ كارولوف •

(تعزف الجوقة الموسيقية أنغاما بهيجة)

الجميع : هوراه •

يات : حسنا يا صاحب السعادة • لقد تفضلت وحدثتنا عن بعض الصعوبات فى الخدمة البحرية • ولكن هل عمل التلغراف أسهل منها ؟ فى هذه الايام يا صاحب السعادة ، لا يستطيع المرء أن يشغل هذه الوظيفة ما لم يحسن قراءة وكتابة اللغتين الفرنسية والانكليزية • ولكن أصعب اعمالنا هو نقل البرقيات ، انه عمل صعب جدا • اصغ فقط • (ينقر شوكته على المنضدة ، مقلدا اشارات التلغراف) •

ريفنوف : وماذا يعنى ذلك ؟

يات : ذلك يعنى ؛ اننى احترمك يا صاحب السعادة لصفاتك النبيلة • أتعتقد أن ذلك أمر يسير ؟ والآن اصغ ، (ينقر) •

ريفينوف : بصوت أعلى •• لا أكاد أسمع ••

يات : ذلك يعنى ؛ سيدتى ، ما أسعدنى حينما أطوقك بذراعى •

ريفنوف : أية سيدة تتحدث عنها ؟! نعم •• (الى موزغوفوى) والآن ، اذا كنت مبحرا فى ريح قوية ، وأردت أن تنشر الشراع الاعلى والشراع الملكى فيجب أن تصيح : ايها البحارة ؛ الى الشراع الاعلى والشراع الملكى •• وبينما يخرجون الاشرعة الى الساحات فى الاسفل اذا بك تراهم على حبال الشراع الاعلى والشراع الملكى ، منهمكين على المرابط والمشدات •

وكيل العريس : (ينهض) سيداتى وسادتى ••

ريفنوف : نعم •• ان هناك عددا لا حصر له من الاوامر التى

ينبغى أن تلقى ·· نعم ·· حبال الشراع الاعلى وحبال الشراع الملكى مشدودة ، أطلقوا المرافع ·· يبدو هذا طريفا ·· أليس كذلك ؟! ·· ولكن ماذا تعنى هذه العبارة ؟ أوه ، ان معناها بسيط جدا · انهم يسحبون حبال الشراع الاعلى والشراع الرئيسى ويرفعون المرافع ·· جميعها حالا ! وفى الوقت نفسه ، بينما يرفعونها يوازون حبال الشراع الملكى ومرافعه واذا كان ضروريا ، تفك مشدات تلك الاشرعة ، وعندما تكون الحبال مشدودة ، والمرافع جميعها قد رفعت الى أماكنها ، تشد مشدات الشراع الرئيسى والشراع الملكى ، وتدار الدفات نحو وجهة الريح ··

نيونين : (الى ريفنوف) فيدور ياكوفلوفيتش ·· ان ضيوفنا يرجونك أن تتحدث فى موضوع آخر ·· انهم لا يستطيعون أن يفهموا هذا ·· لقد سئموا ··

ريفنوف : ماذا ؟! من الذى سئم ؟ (الى موزغوفوى) أيها الشاب ، اذا كانت الريح على يمين السفينة ، وقد نشرت جميع اقلاعها ، وانت تريد أن تحولها فى اتجاه الريح ، فأية نوع من الاوامر ينبغى أن تصدر ؟ لماذا ، صفر : البحارة جميعا على ظهر السفينة · حولوها الى جهة الريح ·

نيونين : فيدور ياكوفلوفيش ، ان فى هذا كفاية ، كل عشاءك ·

ريفنوف : وحالما يجرى الجميع الى ظهر السفينة ، تلقى اليهم الامر · قفوا فى أماكنكم · حولوها الى وجهة الريح · يالها من حياة ! انك تلقى الامر ، ثم تراقب البحارة وهم يجرون الى مواضعهم كالبرق ، ويسحبون الحبال والمشدات ، فلا تمسك نفسك من أن تهتف : برافو أيها الاولاد ! (يقطع كلامه بالسعال) ·

وكيل العريس : (يسرع بانتهاز فرصة سكوته) فى هذه المناسبة السارة ، فلنقل هذا ، التى اجتمعنا هنا من أجلها لنقوم بواجب التكريم لصديقنا المحبوب ··

ريفنوف : (مقاطعا) نعم ، ولابد أن تتذكر كل ذلك · مثلا ، أطلقوا حبال مقدمة شراع القمة ، حبال شراع القمة الاعلى ··

وكيل العريس : (مغضبا) لماذا يقاطع ؟ اذا استمر الحال على هذا المنوال فلن نستطيع أن نكمل خطبة واحدة ·

ناستاسيا : نحن قوم جهلاء يا صاحب السعادة ·· اننا لا نعى كلمة من كل هذا ·· لو كان ممكنا أن تحدثنا فى موضوع آخر مسل ··

ريفنوف : (غير سامع) شكرا · لقد تناولت شيئا · هلت قلت عنزة ؟ شكرا ·· نعم ·· كنت أستذكر الايام الغابرة ·· انها حياة

زاخرة بالبهجة أيها الشاب • انك تطوف البحر دون أن ينتاب قلبك أى هم •• (بصوت مرتجف) هل تتذكر الانفعال الذى يحدث أثناء التجارب ؟ أى بحار لا يتدفق فيه النشاط لدى فكرة المناورة ! لماذا ، حالما يلقى الامر ، صفر : جميع البحارة على ظهر السفينة • ان الامر كتيار كهربائى يجرى بينهم جميعا • وتسرى الحركة المتدفقة بينهم ، من الضابط الامر ، الى أدنى بحار ••

مدام زيميوكين : اننى سئمت •• اننى سئمت • (تذمر عام) •

ريفنوف : (غير سامع) شكرا ، لقد تناولت بعضها • (بحماسة) ويتأهب كل شخص ، وتسمر العيون على الضابط الاعلى : (مقدمة الشراع الاعلى ومشدات الشراع الرئيسى نحو يمين السفينة ، المشدات الخلفية نحو يسار السفينة ، الاشرعة الوسطى نحو الميناء) • وينفذ الامر فى الحال • (فكوا الحبال الامامية ، وشراع المقدمة ، نحو يمين السفينة بالضبط) • « ينهض » ثم تندفع السفينة نحو الريح ، وتنطلق الاشرعة مرفرفة • ويصرخ الضابط الاعلى : (الى المشدات • الى المشدات • فلتبدوا أحياء !) وبينما يثبت عينيه على الشراع الاعلى ، حيث يبدأ فى النهاية يرفرف ، وذلك حينما تبدأ السفينة بالاستدارة ، يسمع صراخ هائل : (فكو مشدات الاشرعة الرئيسية ، أطلقوا المشدات !) وحينئذ يطير كل شىء ويقرقع • برج بابل تماما ! ويتم كل ذلك بدون تحطم شىء • وتستدير السفينة •

ناستاسيا : (غاضبة) بالرغم من أنك جنرال ، فلست بصاحب ذوق ••

ريفنوف : عنجاص أبيض ؟ كلا ، لم أتناول منه شيئا • أشكرك •

ناستاسيا : (بصوت مرتفع) أقول ؛ انه يجب أن تخجل من نفسك وانت بهذا السن • انت جنرال ولكنك لا تحسن أبسط الاصول •

نيونين : (فى ارتباك) هيا أيها الاصدقاء ، لماذا تثيرون هذه الجلبة ؟ الحقيقة •••

ريفنوف : قبل كل شىء ، اننى لست جنرالا ، بل كابتن من الدرجة الثانية ، وهو يوازى ليفتنانت كولونيل برتبة المشاة •

ناستاسيا : اذا لم تكن جنرالا ، فلماذا قبضت النقود ؟ نحن لم ندفع لك نقودا لتكون خشنا معنا •

ريفنوف (فى حيرة) أية نقود ؟!

ناستاسيا : أنت تعلم جيدا أية نقود • لقد قبضت خمسة

وعشرين روبلا من أندريا أندرفيتش قبل قليل (الى نيونين) لقد أسأت الاختيار يا أندريوشا . اننى لم أطلب منك أن تأتينا بشخص كهذا .

يونين : هيا .. دعى المسألة .. لماذا تثيرين جلبة ؟!

ريفنوف : تأتينا .. تدفع النقود .. ماذا يعنى ذلك ؟

أبلومبوف : عفوا .. لقد استلمت خمسة وعشرين روبلا من أندرية أندروفيتش . ألم تفعل ؟

ريفنوف : خمسة وعشرين روبلا ! (مدركا حقيقة الموقف) وهكذا فالامر على هذه الصورة ! الآن فهمت . يالها من خدعة قذرة ! يالها من خدعة قذرة !

أبلومبوف : لقد حصلت على النقود ، ألم تحصل عليها ؟

ريفنوف : اننى لم أستلم نقودا ، ابعد عنى . (ينهض) يالها من خدعة قذرة ! يالها من خدعة وضيعة ! أن يهان رجل عجوز بهذه الطريقة . بحار ـ ضابط قد مارس الخدمة الشريفة .. لو كان بين هؤلاء الحضور رجل شريف لتحديته الى المبارزة . ولكن ، بما أن الامر هكذا ؛ فما العمل ؟ (بحيرة) أين الباب ؟ أين طريق الباب ؟ . ايها الخادم أرنى الطريق .. أيها الخادم (وهو خارج) يالها من خدعة قذرة ! يالها من خدعة قذرة ! (يخرج) .

ناستاسيا : أندريوشا ، أين تلك الخمسة وعشرين روبلا اذن ؟

نيونين : أوه .. لا تثيرى جلبة على أمور تافهة كهذه . كما لو كان الامر ذو أهمية ! كل انسان هنا فرح ، بينما تجرين أنت وراء هذه المسألة السخيفة . (يصيح) فى صحة الزوجين السعيدين .. أيتها الجوقة ، اعزفوا مارشا (تعزف الجوقة مارشا) فى صحة الزوجين السعيدين .

مدام زيميوكين : اننى أختنق .. أعطنى هواء .. اننى اختنق بجانبك

يات : (مبتهجا) مخلوقة لطيفة ..

(ضوضاء)

وكيل العريس : (محاولا أن يرفع صوته فوق اصوات الجميع) سيداتى وسادتى . فى هذه المناسبة السارة ، فلنقل هذا ...

« ستار »

آراء وتعليقات

اسبوع المرأة ومدى فائدته

بقلم : الدكتور محمد مهدى البصير

أقام الاتحاد النسائى العراقى قبل فترة وجيزة من الزمن أسبوعا حافلا للمرأة ترسم فيه خطى الاتحادات النسائية فى مصر وسوريا ولبنان أى أنه نادى بوجوب منح المرأة حق الاشتراك فى السياسة فما كانت المرأة العراقية لتقف مكتوفة اليدين وأخواتها فى سوريا ولبنان يتمتعن بحقهن فى الانتخابات النيابية وشقيقتها المصرية تناضل نضالا مرا فى سبيل الظفر بمثل هذا الحق . ولكن ماذا جنت المرأة فى سوريا ولبنان من استمتاعها بهذا الحق ؟ أفتحت أمامها أبواب الوزارات أو السفارات أو المديريات العامة ؟!

أظن أن شيئا من هذا لم يحدث ولا يحتمل أن يحدث فى وقت قريب . وليس فى هذا ما يسيىء الى سمعة القطرين الشقيقين فان دولة عريقة فى الحضارة والديمقراطية كانت لها الهيمنة عليهما الى وقت غير بعيد هى فرنسا لم تفعل هذا بعد . واذا كانت انكلترا قد فعلته ففى نطاق ضيق جدا ، ولا عجب فى هذا فان المرأة الانكليزية لم تمنح حق الاشتراك فى الانتخابات العامة الا بعد الحرب العالمية الاولى . أما المرأة الفرنسية فانها لم تمنح هذا الحق الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وأحسب أننى لا أغالى اذا قلت أن طائفة محدودة من نساء العالم المتمدين تحسب حسابا كبيرا لاشراك المرأة فى السياسة أما غالبية النساء المتمدينات فانها قلما تأبه لذلك . وقد أتيح لى أن أسال فى أثناء اقامتى باوربا عددا لا بأس به من السيدات والاوانس المثقفات من رأيهن فى قضية أشراك المرأة بالسياسة فقالت كثرتهن : (ان السياسة لا تهمها أبدا) وقالت واحدة منهن : (اننى أحبذ دخول عدد صغير منا فى البرلمان يعنى بشؤوننا الخاصة) . ولم أسمع الا من باريسية واحدة لا زوج لها ولا بيت أنها شديدة الاهتمام

بالسياسة ، وأضحكتنى أحداهن كثيرا حيث قالت ان مزاحمة الرجال فى السياسة صناعة العوانس · وأحسب أن هذا صحيح فماذا تصنع بالسياسة امرأة لها زوج تسهر على راحته وبيت تعنى بتنظيمه واولاد تبذل كل ما فى وسعها لتربيتهم وتنشئتهم على أحسن وجه ؟!

ان الاجماع قائم على أن البيت حجر الزاوية فى بنيان المجتمع وان النساء والرجال انما يتلقون أول دروسهم وأهمها وانفعها فى أحضانه والمرأة بلا نزاع عماد البيت ومدبرة شؤونه وقطب سعادته ، أفيكون من مصلحة المجتمع ومن مصلحتها هى أن نجردها من مملكتها الخطيرة هذه لنلقى بها فى أتون السياسة وفى اوحال المهاترات والمشاجرات التى يأباها الطهر ويترفع عنها الخلق الكريم والذوق السليم ؟

أذكر انى قرأت سنة ١٩٢٥ فى احدى المجلات خبرا خلاصته أن سيدة انكليزية ذكرت المجلة اسمها كانت قد فازت فى انتخابات سنة ١٩٢٤ النيابية ولكنها ما لبثت أن استقالت من عضوية البرلمان وان صحفيا بريطانيا سأل زوجها عن سبب هذه الاستقالة فقال له (ان لنا ثلاثة أولا وقد رأينا بعد التمحيص والدرس أنه لا بد لنا من التضحية بأحد اثنين هما الاولاد أو عضوية مجلس النواب وقد اخترنا ثانى الشقين ·) ·

لقد تذكرت هذه القصة عندما سمعت منذ زمن غير بعيد متحدثة فاضلة من احدى دور الاذاعة العربية تقول (انها وجماعة من صواحبها تساءلن ذات مرة : ما هى رسالة المرأة ؟ أهى حراسة النسل ورعاية البيت ؟ أم هى خدمة العلوم والفنون والآداب ؟ أم هى ممارسة السياسة ؟ أم هى الاشتغال بالمهن الحرة كالطب والهندسة والمحاماة ·· وما الى ذلك ؟! قالت المتحدثة الفاضلة : (وقد أجبنا على هذا السؤال بأن رسالة المرأة هى كل ذلك ·)

والذى أحسبه هو أن المتحدثة الفاضلة وصواحبها لم يحددن بالضبط مدلول كلمة رسالة ، فان رسالة أى انسان هى العمل الذى خلق ليؤديه بصورة طبيعية وعلى أتم وجه ، على أن هذا لا يمنعه من القيام بعمل آخر يتقنه وينجزه عن طريق المران والدربة : فالشاعر المطبوع يمكن أن يكون عالما مصنوعا والعالم المطبوع يمكن أن يكون شاعرا مصنوعا وهكذا · واذا صح هذا وما أخاله الا صحيحا فان رسالة المرأة التى خلقت لتؤديها بصورة طبيعية وعلى أتم وجه هى ادامة الحياة واشاعة الهناء والسعادة فيها بل هى بعبارة أصرح حراسة النسل ورعاية البيت ، ولكنها تستطيع أن تمارس السياسة أو الجندية أو غير

ذلك وتلك من الحرف الخشنة اذا هى خرجت على انوثتها أو اهملت واجباتها كلها أو بعضها أو اذا كانت ظروفها الخاصة تسمح لها أن تجمع بين ارضاء انوثتها وبين القيام بالمهمة الخشنة التى تمارسها ·

أنه لمن الصعب أن تبلغ امرأة من النجاح فى السياسة ما بلغته السيدة نهرو رئيسة الجمعية العمومية للامم المتحدة فى دورتها الحاضرة ومع ذلك اعتذرت هذه السيدة الجليلة عن اشتغالها بالسياسة أثناء زيارتها لمصر فى حديث أفضت به الى مندوب مجلة (أيماج) الفرنسية الاسبوعية التى تصدرها دار الهلال بمصر ، فقد قالت فى هذا الحديث ما خلاصته : ان انصراف الشعب الهندى بكليته الى السياسة ابان ثورته على الاستعمار أرغمها على أن تصبح امرأة سياسية ·

وأعود الى اسبوع المرأة فى بغداد فاسأل أكان فى محله ؟ أكانت المرأة العراقية بحاجة اليه ؟ ·

يخيل ألى أنه لم يكن فى محله ولا أدل على ذلك من هذا الاسبوع الصاخب « اسبوع الفضيلة » الذى كان رد فعل له كما أن المرأة العراقية لم تكن بحاجة اليه أبدا ·

ان الفتاة العراقية تتعلم الآن كما تشاء وتمارس أى عمل تشاء وتتزوج بمن تشاء وتشد الرحال الى عواصم المغرب لتتزود بالعلم والمعرفة وتزاحم الفتى العراقى داخل دوائر الدولة وخارجها وتساويه فى الرزق والمكانة ، فماذا تريد بعد ذلك ؟!

أننى أسمع جوابها على هذا فهى تقول : اننا نريد أن نسهم فى السياسة اننا نريد أن ننتخب وننتخب أسوة بأخواننا فى أقطار كثيرة شرقية وغربية ·

ولكن أمن مصلحتك يا سيدتى أن تسهمى بالسياسة فى هذا البلد الذى ما زالت نسبة الاميين فيه عالية جدا وما زالت كثرة القارئين والكاتبين فيه بعيدة كل البعد عن أن تتمسك بأدب السياسة ؟! ألم تقرئى تلك التهم الجارحة والاقوال اللاذعة التى يتراشق بها رجال السياسة والاحزاب من حين لآخر ؟! أيسرك أن تتعرضى لمثل تلك التهم وهذه الاقوال ؟! اننى أأبى لك ذلك كل الاباء ·

أذكر أنى عاتبت صحفيا على كلمة بذيئة غمز بها سيدة كانت تشتغل بالسياسة من وراء حجاب منذ أكثر من ربع قرن فقال لى : (هذا ما جنته هى على نفسها · من قال لها أن تشتغل بالسياسة ·) اننا يا سيدتى نعالج السياسة بهذا المنطق الغريب ·

ابتعدى بربك عن السياسة لتخففى من ويلاتها وأنفضى يدك منها

لتقلل من شرورها وآثامها · ابتعدى عنها لتتفرغى لاعداد الجيل الصالح الذى يحتاجه العراق أيما احتياج ولتعملى بكل ما أوتيت من همة ونشاط وصبر وذكاء على تكوين ساسة المستقبل وقادته الذين أرجو أن يرفعوا من شأنك ويعلوا من قدرك بما تكونين قد ربيتهم عليه من عفة واستقامة واخلاص وأمانة الى غير ذلك من أخلاق فاضلة ومزايا محمودة ·

على أنى من ناحية اخرى أنصح لولاة الامور العراقيين أن يعدلوا دستور البلاد فى أقرب فرصة ممكنة تعديلا يكفل للمرأة العراقية حق الاشتراك فى الانتخابات العامة أسوة بما حدث فى سوريا ولبنان · وانى لأتنبأ لهم منذ الآن بأنها ـ أى المرأة العراقية ـ لن تعير هذا الحق بعد حصولها عليه كبير اهتمام اللهم الا أن تستخدمه فى مصلحة زوجها أو خطيبها أو قريبها وبالايجاز فى مصلحة رجل قريب من قلبها ، وهى ان فعلت ذلك فانما تنسج على منوال من سبقها من النساء اللائى يساهمن فى الانتخابات العامة ·

ان المرأة العراقية لا تكون أكثر حماسة لمحق الاشتراك فى الانتخابات العامة من المرأة الانكليزية التى جاهدت فى سبيله جهاد الابطال فلما ظفرت به وضعت ثقتها فيمن تختاره من الرجال ·

محمد مهدى البصير

قيمة الوعي في الادب

بقلم : غائب طعمة فرمان

لقد كان التوفيق حليف الدكتور صلاح خالص فى مقاله عن المدرسة الواقعية ، فقد استطاع أن يبرز نقاطا دقيقة وهامة ، ويزيل الغموض عن كثير من القضايا المتعلقة فى موضوعه ؛ فاظهر المفهوم الحقيقى الواقعى لكلمة « مدرسة » وأباق الفرق بين واقعية اورفلى وفلوبير وواقعية الادباء المحدثين ، ولخص بايجاز واستيعاب مزايا المدرسة الواقية الحديثة ·

غير أن الدكتور قد مر مرورا سريعا وخاطفا بمسألة لها أهميتها الكبرى فى المدرسة الواقعية الحديثة وهى مسألة تفهم الاديب للحياة الواقعية التى يتخذها مادة أدبه ، ويستقى منها صوره وأشخاصه ومواضيعه · فالحق أن مستلزمات الخلق الفنى قد تطورت بتطور الحياة

نفسها وتعقدت تعقيدا هو صورة لتعقيد المجتمع ذاته ٠٠ فينما كان الادباء الرومانتيكيون لا يحتاجون فى عملية الخلق الادبى الى غير الاصالة والاثارة العاطفية ، ومعرفة ذاتيه بقيم الالفاظ تكونت من المصاحبة الطويلة لتراث الذين سبقوهم ؛ كان الادباء الذين جاءوا بعد شانفليرى يحتاجون الى شىء أكثر من هذا ٠٠٠ الى دراسة موضوعية لما هو موجود خارج نطاق ذاتهم ٠ وقد تطورت هذه الدراسة عند أميل زولا الى نوع من التقصى والاحساس بنواقص المجتمع وابراز النوازع المسيطرة عليه ، والموجهة له ٠ وكان تنامى الطبقة البرجوازية وتكاملها وسيطرتها على الحياة الاجتماعية أهم ما لفت نظره فكان الكثير من كتبه « سياحات » فى عوالم تلك الطبقة ، مظهرا القيم الاخلاقية والانسانية لها ، كاشفا عما ترتكب فى عوالمها من مفاسد وما تقترف من شرور ٠

غير أن نصف قرن من الزمن هى المدة التى مضت على وفاة زولا ألقت أعباء اخرى كثيرة على الاديب ، فقد سارت الحياة فى طريقها التطورى المعروف ، وظهرت الى المجتمع مشاكل لم تكن معروفة فى عصر زولا ، واجتاحت الانسانية أزمات هزت كيانها هزا ، وأصبحت حياة الناس من التعقيد واصطراع القوى واضطراب الآراء وتعدد واشتداد الازمات بحيث لو بعث زولا الى الدنيا مرة أخرى لاحتاج الى دراسة وتقص آخر لفهمها ومعرفة حقيقتها ليستطيع أن ينتج لنا أدبا صادقا ٠ وكل هذه الامور أضافت الى مستلزمات الخلق الادبى الصادق أشياء أخرى أهمها تفهم الاديب واقعه تفهما صحيحا ، ووعيه التام لما يقع عليه بصره ٠٠ وأصبح لزاما عليه لكى يزود ادبه بالصدق والعمق والحياة أن يعرف العوامل المسيرة له ، ويدرس دراسة موضوعية أكثر دقة وعمقا ما يحصل فى حياة الناس من مشاكل ، وما يضطرب فى دنياهم من احداث ليقف على الاتجاهات الحقيقية للحياة الاجتماعية ٠ وعندى ان هذا لن يتأتى ٠ الا بدراسة المفاهيم الاشتراكية وتفهمها والايمان بها والاستفادة مما كسبته من نصر فى مناحى الحياة جميعا ٠ والاسترشاد بتعليلاتها للظواهر الاجتماعية ٠

فهى ـ أولا ـ تبنى نظرته الى الانسان على أساس من الفهم الصحيح لنفسيته ، والايمان المطلق بمستقبله ، فيوجه عنايته الكبرى الى هذا المخلوق المقدس الذى تعتبره الاشتراكية أثمن شىء فى الوجود ، فتتوقد فى نفسه جذوة المحبة ، وتلهب قلبه بالشغف المتزايد باستقصاء مشاكله والتعبير عن أشواقه ؛ فيجد أدبه مرتبطا بمصير الانسان بمجموعه ، ويحس حين يدافع عن كرامته ويتصدى للانتكاسات الطارئة على حياته ،

ويتغنى بقيمه أنه يدافع عن أدبه باعتباره تعبيرا عن ارادة الانسان ، ومشاركة له فى كفاحه وتجاربه ٠

وهى ـ ثانيا ـ تعطى حلولا ملموسة لكل الظواهر الاجتماعية ، وتبين اسبابها الحقيقية ، وحين يتزود الاديب بمفاهيمها يستطيع أن يدرك علة ما يشاهده فى حياة الناس ، فلا تكون شخصياته دمى تحركها يد القدر أو تعبث فيها صنوف الغير ولكنها كائنات مالكة زمام نفسها ، مسيطرة على مصيرها ، لا تخضع الا لقوانين التطور المعروفة ٠٠ هى حجيرات حية فى البناء الاجتماعى تعيش فى تفاعل تام مع غيرها لتحقق للمجتمع صفة الحياة والنمو المطرد والتطور الفعال ٠٠ وبذلك يستطيع التوغل فى الاعماق ليبحث فى احراش المجتمع وادغاله عن البراعم المتفتحة المبشرة بمولد انسان جديد ٠ وتبرز هذه الناحية بشكل واضح حين نقارن بين أديب لا يتمتع بوعى اشتراكى وآخر له مثل هذا الوعى فالاول تشوب قصصه ـ اذا كانت واقعية ـ تقامة وتطغى على اجوائها سحب التشاؤم بنسب تختلف من كاتب الى آخر وتجد التذمر الساذج والحيرة الخرساء والتشكك الباكى عناصر لا تخلو منها قصصه فى حين لا تجد لهذه العناصر وجودا فى قصص الثانى فهو بالاضافة الى ابرازه النواحى المظلمة فى حياة الناس يسعى الى اظهار كل صور الامل والغبطة والاستبشار بنصوع المستقبل وابتسامه ، ويرسم بريشته الدقيقة جهاد الانسان الظاهر والخفى فى سبيل التغلب على الامة ، وتحقيق ما يحلم به ٠ وسبب هذا التباين بين أدب الاديبين فى اعتقادى لا يتعدى دائرة الفهم الحقيقى للحياة ٠٠ فالاول بسبب افتقاره لذلك يصبح فى حرية تامة مع اشخاصه يتصرف بهم كيف يشاء ٠٠ يذهب بهم الى الدير ، أو يجعلهم ينتحرون ، أو يقتل أحدهم الآخر أو يهىء لهم « مفاجئة » خارقة تغير مجرى حياتهم ٠٠ ويبقى الثانى فى غنى عن هذا كله لانه يدرك ويعى الظروف الحقيقية لاشخاصه وخط سيرهم ٠٠

وفى رأيى أن هذه النقطة جد حساسة ذات مساس كبير بالكيان الادبى فبينما يضع الاديب الاول فى قصصه فى أغلب الاحيان عقدة غرامية أو نفسية أو معضلة اجتماعية يتكلف كثيرا فى حلها وابلاغها نهايتها ويتيه خلال ذلك فى متاهات من المشاعر والاخيلة والتصورات لايعبأ الثانى بشىء من هذا ما دام متمكنا من المحافظة على حيوية القصة ، ومطلا فى تبصر ووعى على الحقائق الاجتماعية التى تكيف علائق الناس مشيعا فى كل صفحة من صفحاتها هذا التوهج الصادق المنبعث من فهم الكاتب لنفسية شخصياته ، ومطعما الواقع بقتامه وتوافد مآسيه بنوع من

« الرومانتيكية » الآملة الطموحة التى تكون بمثابة خيوط الفجر فى ليل الواقع المدلهم ..

والمفاهيم الاشتراكية بعد هذا كله تؤثر فى صياغته الادبية كذلك وفى تذوقه وفهمه للالفاظ والتعابير ، فتمده بالصور التعبيرية الجديدة لما تعطيه من قوة الملاحظة والشغف بالتحليل العميق ، وتتبع المتناقضات المبثوثة فى حنايا المجتمع لاستخلاص الصور التعبيرية الصادقة التى تحمل أكبر رصيد من الايحاء والتأثير لما لها من مكانة فى قلوب الناس .. وتكون الفاظه وتعابيره عوالم من الحياة الزاخرة التى تكشف كل لفظة عالما جديدا ، وتأتى بكسب جديد .. وبالاضافة الى هذه كله تقيه تلك المفاهيم من اضطراب المخيلة وارتباك الصور فلا يوغل فى الغموض أو يكلف بالصور المبهمة ، وتصبح للالفاظ وظيفة أخرى غير وظيفة خلق الصور المرتعشة المظلمة ، تصبح لها وظيفة المصابيح المضيئة فى طريق توغله عميقا فى حياة الناس .. فتكون لها قيمة تعبيرية متجددة مهما استطاع الاديب أن يرتاد آفاقا غير معروفة .

ذلك بعض ما يستطيع الاديب أن يكسبه من تمتعه بالوعى الصحيح الذى تزوده به المفاهيم الاشتراكية . وبقى أن أقول اننى فى مقالى هذا لا ادعو الى تطبيق تلك المفاهيم واقحامها بصورة مفتعلة ونابية فى الانتاج الادبى فذلك ضد الحرية التى يجب أن يشعر بها الاديب فى مزاولة الخلق الادبى .. ولكنها دعوة الى اظهار قيمة الوعى التى تمده المفاهيم الاشتراكية ، ليكون الاديب فى ادراك تام وفهم صحيح للحياة وتبقى بعد ذلك شخصيته التى بانعدامها أو باهتزاز ظلالها يفقد الادب الاصالة والصدق .

غائب طعمة فرمان

ملاحظة

لا يعنى نشر الكلمات الواردة فى باب آراء وتعليقات انها آراء المجلة فهى قد تتفق أو لاتتفق معخطتها. وتنشر على انها آراء كاتبيها قبل كل شىء .

التلفزيون (١)

معناه ـ تطوره ـ عمله

بقلم : **حسين يوسف البكرى**

يعتبر التلفزيون من أعظم عجائب القرن العشرين ومدهشاته · فهو من أهم وسائل الاتصال فى العالم سواء استعمل للخير أو للشر · اذ وسع مختلف آفاق التفكير الانسانى فى شتى الميادين الثقافية والعلمية والسياسية · فالراديو مثلا استطاع أن يجعل للانسان أذنا حساسة يسمع بها ما يريد من أية بقعة من بقاع العالم فى أقل من ثانية · أماالتلفزيون فقد أضاف له عينا ثاقبة أصبحت عين زرقاء اليمامة تافهة بالنسبة لها اذ تمكنت هذه العين من اختراق الحجب وقطع المسافات البعيدة ورؤية الاشياء كما هى فى الواقع ، وفى ابان حدوثها · ولهذا يعتقد العلماء أن التلفزيون سيكون ذا أهمية بالغة فى الحياة العائلية خاصة وفى الحياة الاجتماعية عامة · اذ ستستطيع أية عائلة الاتصال بالعالم الخارجى فى أية بقعة من بقاع الارض ، وفى أى وقت تشاء بادارةمفتاح صغير بجهاز لطيف حل محل مذياعهم الحالى ، تتمكن من الاتصال بالعالم بالسمع والبصر فى آن واحد · فعين التلفزيون الالكترونية (جهاز التصوير التلفزيونى) يتمكن الآن من التقاط الصور والمناظر فى الحفلات السينمائية وحفلات الرقص ، والالعاب الرياضية وغير ذلك من الوان النشاط الاجتماعى والثقافى والصناعى ·

فماذا تعنى كلمة التلفزيون ، ومن أين بدأت وكيف نشأت وتطورت وعملت حتى اصبحت بشكلها الحاضر ···!!

ان كلمة التلفزيون فى الاصل مزيجا من اليونانية Tele واللاتينية

(١) مستقى من دائرة المعارف البريطانية المجلد ٢١ ص ٩١٢ ١ الى ٩١٢ ن وعن دائرة المعارف العالمية مجلد ١٦ ص ٧٩٤٣ الى ص ٧٩٤٧ ف ، ومن مراجع أخرى ·

Videre ومعناهما معا الرؤى الى مدى بعيد · ثم تطورت هذه الكلمة بعد الاختراعات التى وجدت فى العقد الثانى من القرن العشرين فأصبحت تعنى نقل الصورة الثابتة والمتحركة بواسطة الاسلاك أو الامواج ·

أسس التلفزيون

من المعلوم ان الحاكى (الفونوغراف) يرتكز على تحويل الامواج الصوتية التى يصدرها الهواء الخارج من الفم الى اهتـزازات تؤثر على صفيحة المايكا مكونة خطوطا عميقة ومنحلة على الاسطوانة بشـكل حلزونى مذبذب يمكن اعادتها ثانية الى أصوات يجعـل الاهتزازات الموجودة على الاسطوانة تؤثر فى صفيحة المايكا ثانية · وبعبارة أخرى تحويل الامواج الصوتية الى اهتزازات معدنية وبالعكس · أما التلفزيون فيرتكز عمله على ثلاثة اسس مشابهة هى :

١ ـ تحويل الاشعة الضوئية الصادرة من الصورة المراد تلفزتها الى اشارات كهربائية ، كما تقوم آلة التصوير (الكامرا) بتحويل تلك الاشعة الى اشارات كتابية تضعها على الصورة ·

٢ ـ نقل هذه الاشارات الكهربائية من محطة الارسال الى محطة الاستقبال كما تتم هذه العملية فى اسلاك التلفون أو موجات اللاسلكى·

٣ ـ اعادة هذه الاشارات الكهربائية مرة أخرى الى اشعة ضوئية تنعكس على لوحة التلفزيون كما تنعكس صور الفلم على شاشة السينما مثلا · وسيأتى بحث كل من هذه الاسس تفصيلا ·

التطور التاريخى للتلفزيون :

يعتبر العلامة الالمانى بيتر نبكاو P. Nipkow أول من استطاع تحويل النور المنعكس من الصورة الى اشارات كهربائية بشكل منظم مرتب يؤثر بالتيار الكهربائى الذى يدير مرسلة مذياع (راديو) فى نفس الطريقة التى يدير بها التيار الخارج من الحاكى (غرامافون) محطة ارسال الراديو فى دار الاذاعة · الا أن مرسلة التلفزيون تكون أكثر تعقيدا من مرسلة الراديو وأكثر اجزاءا فهى مثـلا تتصل بمؤقتـة كهربائيـة Synochronizing تنظم العـلاقة بين النور والكهرباء ، وقد تمت هـذه العملية فى سنة ١٨٨٤ ·

ومع ان المبادىء الاساسية التى بنى عليها علم التلفزيون كانت معروفة قبل مطلع القرن العشرين ، الا ان تطبيق هذه الحقائق عمليـا

كان متعذرا قبل أن يكتشف لى دى فورست Le De Forest مكبرته الترمو أيونية Thermionic-Amplifier فقد جابه الميكانيك التلفزيونى (الآلات التلفزيونية) عدة عقبات كأداء يتركز اهمها حول النقاط التالية التى وجب حلها قبل تقدمه الحالى · أما هذه النقاط فهى :

أ ـ الصور الفوتوغرافية المعروفة غير ملائمة للارسال التلفزيونى من الناحية العملية ·

ب ـ المبادىء الميكانيكية (الآلية) التى تحتاجها الاجهزة كثيرا ما تتعقد وتؤتى نتائج غير مرضية ·

جـ ـ يصعب العمل فى المصادر الضوئية القوية والتى تحتاج لبثها ذبذبة كهربائية عالية نسبيا ·

فما بين سنة ١٩١٠ ـ ١٣٩٠ احرز العلماء تقدما ملحوظا فى الحقل الميكانيكى التلفزيونى · ففى مطلع عام ١٩٢٠ استطاع كل من العلامة البريطانى بيرد J. Baird والعلامة الامريكى جنكنز G. Jenkins ان يرسل اشارة تلفزيونية · ثم استطاعا بعد ذلك بالاشتراك مع الاكسندرسن E. Alexanderson أن يرسلا صورة نصف ناطقة ·

ومع ان العلماء استعملوا كثيرا من الاجهزة المعقدة المشتملة على العدسات والمرايا وغيرها ان أن المشكلة التلفزيونية الاولى ، اعنى مشكلة تصوير صور ملائمة للارسال التلفزيونى ، لم تحل الا بعد ان استعملوا اجهزة التصوير الألكترونية Pickup والمعيدة Reproducing

ففى سنة ١٩٢٣ تم اختراع أول جهاز لالتقاط الصور التلفزيونية على يد العلامة زوريكين V. Zworykin وسمى الايكنسكوب Iconoscope أو المصور الأيونى · ثم جاء فارنزورن فأتم عمل زميله باختراع الانبوب المبصر Dissectortube · وبهذين الاختراعين حلت مشكلة التلفزيون الاولى حلا تاما فخطا بهذا خطوة واسعة فى مضمار التقدم · فما أن تمت سنة ١٩٣٠ حتى كانت فى انكلترا وأمريكا عدة آلاف من الاجهزة التلفزيونية فى البيوت واستطاعت دور الارسال نقل الحوادث الاجتماعية والاخبار السياسية والمباريات الرياضية والروايات التمثيلية وحفلات الرقص والموسيقى وغيرها الى أمكنة محدودة ومسافاة قصيرة · أما كيف استطاع العلماء التغلب على هذه العقبة والخطوات الايجابية التى اتخذوها وتتبعوها فلا يتسع هذا المجال الضيق لشرحها · ويمكن لمن يريد أن يرجع اليها فى مصادر التلفزيون المختلفة تحت عنوان مشاكل التلفزيون الاساسية Fundemental Problems of Telvision

كيف تتم التلفزة ؟

تتم التلفزة كما أجمعنا على ثلاثة مراحل واليك التفصيل :

١ ـ نقل الصورة الى اشارات كهربائية أو أمواج لاسلكية ٠

تمت هذه العملية على الاسس المعروفة فى المبادىء الفيزيائية اذ من المعلوم اننا لا نستطيع رؤية الاجسام الا اذا دخلت الاشعة المنعكسة منها الى عيوننا ٠ كما ان من الثـابت ايضا ان النور الابيض (كنـور الشمس مثلا) يتكون من عدة الوان مختلفة لكل منها موجتـه الخاصة ذات طول معين يختلف عن موجة اللون الآخر فطول موجة اللون الاحمر لا تساوى طول موجة اللون الاخضر ولا يساويهما طول موجة اللون الازرق ٠ كما انه معلوم أيضا انه كلما كان اللون قاتما كلما كانت كمية النور المنعكسة عنه قليلة أو عدد الالوان المنعكسة منه قليلة أيضا ٠ والعكس بالعكس ٠فعلى هذه الاسس السابقة استطاع العلماء بنـاء اجهـزتهم التصويرية أو الملتقطة Pickup بالتحكم بنوع الامـواج الضوئية وكميتها التى تدخل الى الجهاز حسب لون الصورة قاتمة اللون كانت أو فاتحة ٠

فقد استعملوا لذلك الواحا مشبكة حساسة طلوها بمادة حساسة للنور كما هى الحال فى فلم الكامرا مثل Silver Caesium وجعلوا هذا المركب الحساس يسير على اللوح أو يوضع عليه .بشكل يتناسـب مع نوع وكمية الاشعة المنعكسة من الصور بشكل منظم على وجه اللوح المشبك المسمى Rester (١) ثم وضع هذا اللوح فى جهاز التصوير التلفزيونى Iconoscope الذى اكمله المحلل للتلفزيونى Imageorthicon واللذين كونا جهاز الارسال الرئيسى للتلفزيون ٠

أما كيفية رؤية حركة الاجسام فهو كمبدأ رؤية الاجسام المتحركة بالسينما اذ صوروا الجسم اثناء حركته وباوضاعه المختلفة فأمكن بذلك هذه الصور كأنها متحركة أثناء عرضها للرائى بشكل سريع ٠

بعد أن تكونت الصور الملائمة للتلفزة تنقل هـذه الصـور الى اشارات كهربائية بواسطة معدن كاشف يسير على اللوح الحسـاس بخطوط مستقيمة ملولبة يتفاعل كيماويا مع المركب الحساس الموضوع على اللوح المشبك Raster يسير هذا المعدن وينظم حركة ـ رأسا أو

(١) لم أجد ترجمة لهذه الكلمة فى كثير من معاجم اللغة ، أما كلمة اللوح المشبك فهى مدلولها من عملها فى الجهاز ٠

بالواسطة ـ اشارات كهربائية يمكن ملاحظة ذبذبتها حسب تأثر المعدن بالمركب الحساس الذى تكون من الصورة ٠

أما هذه الاشارات الكهربائية المرسلة من المرسل التلفزيونى فتتكون من قسمين رئيسيين :

أ ـ اشارة التكوين Videosignal وهى الاشارة المكونة من الصورة والتى تكون الصورة فيما بعد ٠

ب ـ اشارة التوقيت Sychronizing Signal الاشارة المنظمة للصورة والتى تجعلها بالشكل الواضح وبالشكل الطبيعى وتدخل كل منها فى عدة مراحل من التقوية والتصفية والتنظيم قبل خروجها من المرسل بواسطة اجهزة عديدة معقدة يحتويها المرسل الكلى ٠

(للبحث صلة)

فى الفلسفة العلمية

« ان الفلسفة العلمية تستمد النظرية من مراقبة العمل ، وتستهدى فى العمل بنور النظرية وتعتبر (الايديولوجيا) لا كصورة فوتوغرافية لمجرد (تصوير) المحيط الخارجى بل كسلاح نافذ فعال (لتغيير) المحيط المذكور ، أو بعبارة أخرى تقيم السياسة نعتها على قوانين التاريخ العلمى ؛ هذه النظرية العلمية التى تحتقر روح المهادنة والمسالمة أو روح الانعزال وعدم الاهتمام أو بالمفهوم العلمى ، روح (الانتهازية) ٠٠٠٠ لانها تؤمن بنوع جديد من (الاخلاق) يستند لاختبارات التاريخ وقوانين الاجتماع ، هى اخلاق الكفاح والنضال ٠٠٠ وهما على العموم جوهر ما نسميه (بالطبيعة) و (بالتاريخ) »٠

الفنون الجميلة

فن وجمهور

« تعليق على معرضى الاستاذين جواد سليم وشاكر حسن »

بقلم : **محمود صبرى**

قال أحد مفكرى العصر :
« ان الفن يعود للجماهير ، وان جذوره يجب أن تخترق الاعماق الغزيرة للكتل الجماهيرية • يجب أن تتذوقه وتحبه هذه الجماهير • يجب أن يوحد عواطف وأفكار وارادة هذه الجماهير ويحفزها » •

اذا اعتبرنا العمل الفنى واسطة للتعبير عن عواطف واحساسات وأفكار معينة فان يقوم بدون شك بدور ايجابى فى المجتمع • اذ هو (أى العمل الفنى) بايصاله عواطف واحساسات الفنان وتجربته الى المتفرج فانه يثير فيه انفعالات نفسية ، تختلف طبعا باختلاف المتفرج واختلاف نوعية التجربة المعبر عنها • وقد تكون هذه الانفعالات شديدة بحيث تدفعه الى اتيان عمل مباشر غير انها غالبا ما تقتصر على خلق حالة نفسية معينة أو مزاج خاص لا يخلو من مفعـــول فى تكييف الآراء والمفاهيم التى يحملها المرء •

وأبسط الاشكال الفنية الموضحة لتأصل صفة الدعاية فى الفن هو الكاريكاتور • فالفن الكارريكاتورى هو ســلاح مهم من اســلحة النضال الاجتماعى ، حيث ان الفنان فى هذا المجال يعبر بكل وضوح، ويدعو الى ، فلسفة وآراء ومفاهيم معينة ، هى فلسفة وآراء ومفــاهيم الفنان نفسه أو الجهة التى تدفع له الثمن • فهو اذن يمثل دعاية معينة فى سبيل غايات معينة •

غير أن هذا الوضوح فى تحديد صفة الدعاية الاجتماعية المتأصلة

بالفن الكاريكاتورى ، يختفى وراء كثير من الغموض عند بحث الاسس الاجتماعية للفن ونوعية الدعاية التى يحملها • اذ كيف نستطيع القول بان عملافنيا كمنظر طبيعى ، أو أشياء جامدةStill Lifeأو لوحة تجريدية أو غير ذلك تمثل دعاية اجتماعية معينة ؟

ان الثقافة البرجوازية التى تشيد بحرية الفرد المطلقة ـ وهى خرافة تفضحها نوعية العلاقات الاجتماعية السائدة ـ تحاول دائما طمس الصفة الجوهرية للفن ، كونه نتاجا اجتماعيا • فهى تؤكد على فردية الفنان وضرورة انعزاله عن الحوادث اليومية وحتى عن الواقع المادى الذى يعيش فيه لكى لا تتأثر مخيلته بتوافه الحياة ! ولكى يحدد نفسه بالتالى بخلق أشكال جميلة مسرة تدخل البهجة فى نفوس اولئك الذين يملكون المال الكافى لتزيين جدران غرفهم الخاصة • وبقدر ما أصبح الفن بضاعة سوقية فان الفنان أصبح بحكم موقفه الاجتماعى آلة للترفيه عن الطبقة البرجوازية ، الطبقة التى تملك كيس النقود ، ومصدرا للمتعة واللذة ، بعد دفع الثمن طبعا • واذا كان الفن قد زيف بهذا الشكل فقد أصبح من اليسير ان تنمو بذرة الاعتقاد السائد بانه فعالية محايدة ، وبان الانتاج الفنى الصحيح هو ذلك الذى لا يعكس أية آراء سياسية أو مذهبية ، خاصة ماكان لهامساس باحساسات وعواطف وآمال وواقع الجماهير الغفيرة العاملة • الا ان هذا التزييف لا يجرد فى الحقيقة الانتاج الفنى من الدعاية ، بل يكتفى بتغيير شكلها ، انه يجعلها دعاية برجوازية ، دعاية للمفاهيم والايديولوجية السائدة •

نستطيع أن نبسط هذه المسألة أكثر قليلا بنقلها الى مجالات بعض الفنون الاخرى التى هى أكثر وضوحا فى اسسها وغاياتها الاجتماعية وحينئذ تكون قراراتنا أحكم وادق •

فالشاعر الذى يتغنى بجمال الريف فى الوقت الذى تجتاح هذا الريف موجات من الغليان الثورى الاجتماعى متجاهلا هذه الموجات ، والكاتب الذى يحبر المقالات الطوال فى وصف الفواكه اللذيذة المحببة الى نفسه والمغنى الذى يحسد سكان الارياف لمعيشتهم الهادئة الصحية ، هؤلاء كلهم يمثلون دعاية اجتماعية معينة • دعاية انعزالية تخديرية •

وكذلك الفنان الذى يتعامى عن بؤس الفلاح وشقائه ليمثل جمال الاشجار والنخيل فقط فيهمل ذلك العنصر الانسانى الذى يملأ بحياته المريرة الريف العراقى ، باشجاره ونخيله ونباته وهوائه ومائه ، والفنان الذى يجد فى وسط هذا الاضطراب والغليان الفكرى والاجتماعى تفاحة

أو كوزا أو قدحا ليرتبها بذوق على مائدة مستديرة · أو مربعة ويخلق منها لوحة ليشتريها بعد ذلك من يعلقها فى غرفة طعامه المريحة ، مثل هؤلاء الفنانين لا يمكن أن يساعدوا فى تحفيز عواطف الجماهير أو توحيدها بل يخدموا بسطحية اعمالهم وافتقارها الى المعالجة الموضوعية العميقة ، دعاية تمجد مظاهر سطحية لنظام استغلالى استعبادى · ولا ينفع فى هذه الاحوال حسن الصنعة أو جودة التكنيك أو جمال الاسلوب فى تقبل مثل هذه الاعمال الفنية كأعمال تمثل العصر الذى صنعت فيه ، أو تعبر عن التيارات الخلاقة المسيرة للمجتمع فى فترة معينة ، بل عن أوجه ثانوية فيه ، لا عن النهر الانسانى العظيم بل عن روافد صغيرة متشعبة منه ، وهى لهذا تكتسب أهميتها ومكانتها من هذه المنابع الثانوية فحسب ·

لقد سقت هذه المقدمة لبيان اهمية بل وضرورة « اختراق الفن للاعماق الغزيرة للكتل الجماهيرية » لكى يكون فعلا فنا صادقا معبرا عن المرحلة المنبعث فيها ، لكى يكون فعلا دعاية للتيارات الخلاقة التى تجيش فى أعماق المجتمع والتى تدفعه وتحركه الى الامام ·

الا اختيار الموضوع ونوعية التفاعل الحسى معه ودرجته لا تكفى وحدها لتقرير نوعية الدعاية التى يحملها الفن ، فقد تكون معالجة الموضوع ذهنية تجردية تفقده كل انسانية وتمسخه الى رموز تبتدعها مخيلة الفنان المنعزلة فيصبح الغازا تنفر منها الجماهير ويفشل فى توحيد عواطفها وافكارها وارادتها ، ويتحول الى فن « لنخبة ارستقراطية » طفيلية تائهة لها الاستعداد الذهنى والعاطفى لاجترار وتشجيع كل تطرف هوائى وكل تسيب فى المفاهيم الفنية التى تقر بالاهمية الموضوعية للفن · اننى أقول ذلك أثر الانطباعات التى تكونت لدى اثناء مشاهدتى معرضى الاستاذين جواد سليم وشاكر حسن ، وكلاهما من (جماعة بغداد للفن الحديث) · وقد اقيم احدهما وهو معرض جواد سليم فى دار خاصة وعليه فقد كانت الدعوة خاصة لنفر من أفراد الجاليات الاجنبية ونفر آخر معظمه من صفوة الارستقراطية العراقية · والمعرض الآخر لشاكر حسن الذى اقيم فى معهد الفنون الجميلة الأمر الذى جعله أكثر شعبية، من هذه الناحية فقط ·

ان كلا من هذين الفنانين له طابعه الخاص المميز به فى انتاجه الفنى ضمن الخطوط العامة للفلسفة التى تستند عليها الاتجاهات الحديثة فى الفن ، وهما لذلك لا يمكن حصرهما فى الواقع فى مدرسة معينة كالتكعيبية أو التجريدية ولو ان هناك آثارا لبعض الفنانين المعاصرين

البارزين فى أعمالهما الفنية · الا ان الملاحظ هو ان نوعا من الاتجاه الزخرفى يسيطر على معظم اشغالهما وهو نتيجة طبيعية للمبادىء التى يدينان بها والتى تؤكد على تجرد التعبير وسلبية البحث والمعالجة الفنية وتقيده بخلق التناسق والتناسب بين الاشكال والالوان والخطوط والكتل · الامر الذى يدفع المتفرج الى الاكتفاء باطراء مقدرة الفنان فى ابداع مثل هذه الالوان اللطيفة ، وأكثر من ذلك على حد قول احدى السيدات فى همسة لرفيقها أثناء التمعن فى احدى صور جواد سليم : ما أحلى هذا اللون ، انه أصلح وأنسب لون لصبغ منزلنا الجديد به !

ولكن هل كانت تلك السيدة مخطئة بهذا الشكل من التذوق الفنى؟ الم تكن الاعمال الفنية المعروضة معظمها يدفع المتفرج الى تذوق تجريدى من هـذا النوع ؟

غير ان البعض قد يتساءل : ولكن معظم اللوحات المعروضة كانت تمثل مواضيع اجتماعية ؟

هذا صحيح ، وهنا فى الواقع يكمن سر الفشل الذريع الذى صادفه كل من هذين الفنانين فى خلق فن محلى موضوعى أصيل · فكلاهما رغم اختيار مواضيع ذات طابع محلى مميز انتجا أشكالا من العمل الفنى هى فى الحقيقة مسخ لذاتية المواضيع المعبر عنها ، وكلاهمـا اظهـر بكل وضوح نوعية الدعاية الاجتماعية التى يبثانها ـ بهذا الشكل من الفن ، فكلاهما مدفوع بفلسفة ترى فى كل شكل من اشكال الحقيقة الموضوعية المحيطة بنا مظهرا سطحيا لا يستحق المعالجة فتنقب أجواء الفضاء فى البحث عن الرموز والاشكال والخطوط التى تمثـل الحقيقـة الكاملة المطلقة الموهومة لا الحقائق المادية المحيطة بنا ·

ولاننا نناقش اتجاه كل من جواد سليم وشاكر حسن فى أعمالهما الفنية بصورة عامة فان من المفيد ان نستشهد بما كتبه شاكر حسن فى العدد (١١) من مجلة الآداب البيروتية تحت عنوان (مع الفنان جواد سليم ـ السجين السياسى المجهول) حيث قال :

> لقد كان الانسان طيلة العصور الاولى من تاريخ الحضارة يبنى لنفسه بيتا من زجاج وكان يبنيه فى بعض الاحيان من الزجاج الملون ····· فقد يلوح رجل الشارع على بعـد يمشى مسرعا دون أن يشك أحد بحريته · ولكن ذلك المخلوق البشرى قد يظهر أمامك بغتة اذا ما اقتربت منه وهو أكثر عبودية

من المحكوم عليه بالاعدام · ذلك ان قيوده قيود شفافة
فهو يحمل سجنه أينما سار وأنى نطق ونظر ···

كل ذلك لطيف : فتاريخ المجتمع البشرى فى جميع الادوار والعصور التى انصرمت منذ نشوء الحضارات الاولى هو تاريخ الصراع الطبقى ، واذا كانت حرية الأغلبية المطلقة للجماهير مسلوبة خلال هذه العصور فما ذلك الا نتيجة لتركز السلطة السياسية والاقتصادية فى أيدى اقليات اجتماعية متعاقبة ، فالانسان فى المجتمع مقيد بالقيود التى تفرضها عليه العلاقات الانتاجية السائدة وهى التى يرمز اليها فناننا دون شك (بالقيود الشفافة) ولكن هذه القيود نفسها هى الثمن المفروض عليه بصفته جزء من المجتمع وان الغاية هى ليست تحطيمها نهائيا وخلق الفوضى والارتباك بل ابدالها بعلاقات انتاجية أخرى لا تستند على استغلال الانسان لاخيه الانسان وحينذاك لا تصبح هذه العلاقات قيودا يشعر بوطأتها (كبيت من زجاج) أو (سجنا يحمله الانسان معه أينما سار وأنى نطق ونظر) بل ينبوعا للابداع الاجتماعى ومصدرا من مصادر القوة المحفزة للتقدم والتطور ·

غير ان السيد شاكر حسن يوضح فيما بعد مفهومه للحرية والاستعباد فيكشف عن مثاليته وتجريديته فى موقفه اذ يقول :

« وهكذا فالشهيد العصرى هو الانسانية المعذبة
وسجنه قبل كل شىء سجن فكر لا بدن ···· »

ويمكن حينئذ ـ لشاكر أن يعقب هذا الاستنتاج بقوله : وان مشاكله قبل كل شىء مشاكل فكرية وبذلك يضعنا فى معسكر الروحانيين المثاليين الذين ينادون بحل مشاكل الفكر والنفس قبل كل المشاكل المادية · الا ان ذلك هو الموقف الذى يتخذه فعليا الفنانان جواد وشاكر والمعسكر الذى ينتميان اليه ·

فالاستاذ جواد على حد قول الاستاذ شاكر « لم يجد ضالته فى سطح ولا حجم · ومن ثم انهمك يبحث فى مجال ثالث هو الفضاء · واستمر فى تمرده غير آبه لشىء أو لكائن » ·

ولكن لم أتجه الاستاذ جواد هذا الاتجاه ؟ انه هو نفسه يجيب على هذا السؤال بقوله :

« ليست المشكلة أن أنحت أو أرسم فهناك مادة
الفراغ وبامكانى أن أقلب المسألة خلاله من جميع
وجوهها ····· »

وقد قلب الاستاذان جواد وشاكر المسألة فعلا « خلال الفراغ » من جميع وجوهها وانتجا أعمالا هزيلة تنقصها الانسانية وقوة التعبير وينعدم فيها أى أثر للتفاعل الروحى الحسى مع الموضوع وتثير انطباعا ـ تشاؤميا يائسا لهذا الفراغ الذى يبحثان فيه ، الفراغ الذى يخلو من كل انسانية عدا شخصية الفنان بنزواتها ونزعاتها المختلفة ومخيلته المحدودة ·

وهكذا يبحث هذان الفنانان فى الفراغ لينتجا اعمالا فارغة ويحاولان فرضها على الجماهير كنماذج من الفن الحديث الرفيع ، أما الحقائق الموضوعية المحيطة بهما ، أما الواقع المادى بدقائقه البسيطة وعناصره بمختلف الوانها واشكالها المتغيرة المملوءة حياة وحيوية وحرارة وعاطفة ، فانه بعيد عن اذهانهما بعد المجتمع الأشورى الذى ابتدأ شاكر حسن مقاله المذكور به · وحتى اذا ابتدأ هذان الفنانان بالحقائق الموضوعية فلأجل تحليلها فى الفراغ الى اشكال هندسية وكتل وخطوط وأقواس وألوان ، « فالموضوع دائما هو موضوع فكرة » كما يقول الاستاذ شاكر حسن ، « والتعبير كما يقترحه الفنان تعبير تجريدى » ·

وهكذا يختار هذان الفنانان مكانهما فى هذه الفترة التاريخية · مكانهما مع الفئات التى تحتقر الانسان وتحتقر العواطف والمشاعر الانسانية وتحارب كل اتجاه للاهتمام الجدى الموضوعى لتحسين ظروف الحياة المادية والقضاء على المتناقظات الملموسة · فالفئات الحاكمة يهمها بل ويسرها جدا أن يبحث جميع الناس مسائلهم من جميع وجوهها خلال الفراغ ! « وان يتمردوا غير آبهين لشىء أو لكائن » · ولكن خلال الفراغ فقط !

ان الدعاية التى تحملها أعمال الفنانين جواد وشاكر واضحة جلية ، دعاية تضليلية رجعية ، نتائج لافكار ومخيلات انعزالية محمومة قلقة تائهة يائسة لا تجد فى الواقع المادى الذى يكتنفها أى مادة جديرة بالاهتمام ، بل ولا يبدو انها تجد فى الانسانية أى أمل يدعوها الى التفاؤل بمستقبل أفضل · فتقذف بنفسها فى الفراغ لارواء ظمئها ·

ولا بد أن الغريزة دفعت ـ الاستاذ جواد حينما أقام معرضه فى دار خاصة ، ولابد ان الغريزة نفسها هى التى دفعته أيضا الى دعوة جمهور أغلبيته الساحقة من الجاليات الاجنبية والارستقراطية العراقية ، لقد اختار الاستاذ جواد سليم جمهوره ، وقد كان حقا انسجام رائع بين ذلك الجمهور وذلك الفن ·

السينما والمسرح

واقع المسرح العراقي

بقلم : يوسف العاني المحامي
سكرتير فرقة المسرح الحديث العراقية

الفن المسرحي فن واسع المعالم ، متشعب الاطراف ، يجمع بين دفتيه شتى أنواع الفنون الاخرى ، من رسم ونحت وموسيقى وتمثيل وانارة ، وما الى غير ذلك • وهذا الفن لن يستطيع الوقوف على قدميه وتقديم نتاجه للناس الا اذا تظافرت الجهود للأخذ بيده وبعث الحياة في عروقه • لانه كالكائن الحي ، ان حرمته من غذائه وعريته من ردائه وسلبته حريته اللازمة له ، دب اليه الفناء ان آجلا أو عاجلا •

ومسرحنا العراقي ما زال طفلا يحبو ، طفلا مريضا هزيلا لن يستطيع الحياة والنهوض الا على ركائز أربعة ، سأوجزها بالآتي آملا العودة عليها بالبحث تفصيلا •

الركيزة الاولى : الممول

ودعامته (رأس المال) اللازم لانتاج مسرح عراقي ، اذ كلما توافر المال أمكن تحسين الانتاج المسرحي سواء من حيث الكم أو الكيف ، ومن المؤسف حقا الا تجد الفرق العاملة في الحقل المسرحي في العراق ممولا لها بالمعنى الصحيح ، يلتزمها ويمدها بحاجتها من المال الكافي لانتاج دائم يكون له من ربحه نصيب •

الركيزة الثانية : المسرح

قاعة الملك فيصل المسرح الوحيد لدينا ويؤجر بمبلغ باهض • ولا يسلم الى الفرقة عادة الى قبل يومين من موعد ميعاد الحفلة التمثيلية •

فامام الفرق التمثيلية اذا مانعان يحولان دون الاستفادة من الركيزة الثانية ـ المسرح ـ حسب ما تقتضيه الحاجة وما تستوجبه القواعد الفنية ·

الاول : مانع اقتصادى ، حرى بالمسئولين النظر فيه ان فكروا ـ يوما ما ـ بوجوب أعلاء شأن المسرح العراقى !

والثانى : مانع فنى ، اذ ليس من الممكن الاكتفاء بيومين لاعداد ، واستكمال حرفية المسرح أو اعداد الممثلين للتمثيل ·

الركيزة الثالثة : المسرحية

تعتبر المسرحية ، مادة المسرح الخام ، يأخذها المخرج فيزيل عنها صفه الكلمات المسطورة ويجعلها فى متناول الممثلين يقدمونها للناس نتاجا فنيا مكتمل الجوانب من حيث الشكل والموضوع ·

وهذه المادة الخام لن تخطو بالمسرح العراقى خطوة واحدة الا اذا كانت صورة صادقة لما يعتلج فى قلوب الناس من مشاعر وعواطف تحقق لهم سعادتهم وتقودهم الى ما فيه خيرهم · لان المسرحية هى الى الناس لا الى كاتبها فقط · فلابد ان تكون فى خدمتهم وخدمة البشرية جمعاء ، يجب أن تساير ركب التطور وان لا تتخلف عن ركبه أبدا · لان المسرح حياة مصغرة لحيوات ملايين الناس ، والحياة فى تطور وتجدد فتطورها اذن أمر لابد منه ·

ولابد لنا أن ننبه المسؤولين الى ان المسرحية التى تمثل لا تختلف أساسا عن أى مؤلف أدبى ، فخضوعها ـ أى المسرحية ـ الى رقابة رسمية لا يعدو أن يكون تعقيدا وتقييدا للعمل المسرحى · فى حين ان كل فرقة مسؤولة قانونا عن كل نتاج تقدمه للناس ·

فالعمل الفنى لا يستقيم مع القيود ولا يأتلف مع العبودية ، ومتى ما خضع العمل لمثل هذين العاملين خرج عن نطاق الفن الى التكلف والتهريج ·

الركيزة الرابعة : الفرق التمثيلية والعاملون فى مجال المسرح ، المعدات الفنية ·

١ ـ الفرق التمثيلية والعاملون فى مجال المسرح : ـ لا بد لنا ـ كيما نعطى فكرة صحيحة عن هذا الموضوع ـ ان نعود الى الوراء أيام وضع بعض هواة التمثيل اساسا لمسرح عراقى احترفوه بعد حين ، وكيف أنهم كافحوا من أجله حتى أصبح له مكانة لا بأس بها فى النفوس ·

ثم عادت تلك المكانة الى النكوص بعد ان ساء تصرف البعض منهم ، متخذين من المسرح وسيلة لاشباع فرديتهم واكتناز المنافع الذاتية عن طريقه · فانتكس انتكاسة كبرى وساء ظن الناس فيه وفى العاملين بحقله · حتى جاءت الحرب العالمية الثانية فانتاب الناس هوس فى كل مجال من مجالات حياتهم وكان للفن منه نصيب كبير اذ ولج المسرح كل من هب ودب واتسع نطاق الجمعيات الفنية وكثر الانتاج الرخيص وبان الجيد منه أندر من العنقاء · وكان معهد الفنون الجميلة يقدم بين حين وآخر انتاجا يحاول به جاهدا تضييق الهوة بين المسرح وبين الجمهور ·

ولم تلبث العاصفة ان هدأت وانقشع ظلام الحرب بكلكله الضخم الثقيل واختفى اغنياؤه عن مسرح الحياة ، ولفظ المسرح متطفليه وادعياءه، وزاد وعى الناس واتسع ادراكهم وباتوا اليوم يميزون بين الجيد والردىء بسهولة ويسر ·

واليوم يعمل فى الحقل المسرحى جماعتان ، الاولى تمثل قدامى العاملين فيه والذين لم تقعدهم الظروف بقسوتها عن السير فى هذا الطريق والاستمرار فيه · وعندى ان من يختفى من عالم المسرح فى سبيل منصب خلاب أو وظيفة مرموقة أو راتب ضخم ، انسان جاء الفن الى نفسه دخيلا ، لا فنان يحس باصالة الفن فى اعماقه فيؤمن به ويقوده الى ما فيه خير الناس جميعا · أما الجماعة الثانية : فشباب جدد ، آمنوا ـ راغبين لا مكرهين ـ بان المسرح مدرسة كبرى ، مدرسة تستطيع أن تخلق وتنشىء وتبنى ·

فلن يقعدهم ـ بعد هذا الايمان ـ عن اداء رسالتهم زاجر أو رادع ، لان الفنان الحق يسير قدما مع ركب الانسانية ، مذللا العقبات الكأداء التى تعترض طريقه مهما كلفه ذلك من جهد ومهما بذل من تضحيات ·

فالعاملون فى المسرح العراقى اليوم ذوو مواهب وقابليات فنية جيدة وثقافة طيبة لن يستطيع أحد نكرانها · فهم اذا قوة كبرى وعنصر مهم من عناصر المسرح العراقى · وان كان ثمة نقص يشعر به العاملون فى المسرح العراقى فهو تخلف المرأة عن مشاركة الرجل فى العمل المسرحى · وهذا التخلف وليد تقاليد رجعية بالية ، اثبت التاريخ فسادها وانهيارها امام التطور الاجتماعى الحق ، ولن يدوم ـ فى نظرنا ـ هذا التخلف ما دامت المرأة العراقية قد شعرت بأنها كيان لا يختلف عن الرجل فى الحقوق والواجبات فى شىء ·

٢ ـ المعدات الفنية : لا يخفى أن للناحية الشكلية فى المسرح أثرا فى اكتمال الانتاج المسرحى · ومسرحنا فى معداته الفنية فقير جدا · ولنا من معهد الفنون الجميلة ـ وهو الذى يخرج الممثلين ويوجههم التوجيه الفنى الصحيح خير دليل على ما نقول · بل حتى قاعة فيصل ما زال مسرحها مجهزا بمعدات بدائية لا تأتلف مع التقدم الفنى الذى وصل اليه المسرح فى العالم ·

وانه لمن العار حقا الا يعنى المسؤولون بأمر المسرح فيهيئوا له كل المتطلبات التى تعين العاملين فيه على اكتمال انتاجهم الفنى ·

هذا هو مسرحنا العراقى فى واقعه الاليم · ومهما يكن هذا الواقع مرا ومهما يكن صعبا فان العاملين فيه بأخلاص لن يكلوا ولن ييأسوا ما داموا مدركين حقيقة عملهم ونتائجه الحتمية !

أخبار سينمائية

* عرضت احدى دور الانتاج على الممثل الفرنسى (جان ماريه) أن يقوم بتمثيل دور بتهوفن ·

* يعمل المخرج الفرنسى جان لافيرون فى أول فيلم فرنسى مجسم باسم « ليالى باريس » ·

* تدور الاشاعات فى القاهرة بأن الراقصة المشهورة (تحية كاريوكا) ستقدم الى محكمة عسكرية بتهمة سياسية !

* انتهى المخرج الفرنسى ريمون برنارد من تصوير فيلمه الملون « حسناء قارسى » مع المغنى المعروف لويس ماريانو والممثلة الراقصة كارمن سيفيليا ·

* انتهت الممثلة الفيتنامية بونك تى تيب من تمثيل الفيلم الفيتنامى (العالمان) مع مواطنها المخرج فام فان نان · وقد ظهرت هذه الممثلة فى دور المرأة الصينية فى الفيلم الفرنسى « ذو اللحية الزرقاء » الذى عرض فى بغداد قبل بضعة أيام ·

التربية والتعليم

الجامعة العراقية

ينظر مجلس الوزراء فى مشروع (جامعة بغداد) والمنتظر أن تقدم لائحة قانون الجامعة لمجلس النواب للمصادقة عليه وبذلك سيتحقق ذلك الحلم الذى طالما راودافكار المثقفين طيلة سنين وسنين . ستنشأ فى العراق جامعة علمية توجه نهضته الثقافية اذا كان القائمون بهذا المشروع صادقى النية حقا فى تقديمه ، واذا لم يكن الغرض منه اثارة الضجة فقط حول مشاريع الوزارة الحاضرة « الجبارة » ، دون أن يتحقق منها شيء ، وقد ألفنا أن نسمع جعجعة ولا نرى طحنا .

ان انشاء جامعة علمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، مستقلة استقلالا تاما عن عبث اهواء رجال الحكم السياسية أصبح مطلبا شعبيا ملحا يشعر بضرورته جميع المثقفين ، سيما بعد أن اصبحت الكليات العوبة بأيدى وزراء المعارف ودوائر الشرطة ، واصبحت مصالح الطلاب والاساتذة والمناهج العلمية تحت رحمة الرغبات الشخصية والمصالح الخاصة . فتخلق دروس وتعطى محاضرات لا يتوخى منها سوى مصلحة افراد معدودين من مدعى العلم ؛ اما الغرض العلمى ، أما مصلحة الطلاب ، أما كفاءة الاساتذة فقد ضرب بها كلها عرض الحائط . لقد اصبحت أكثر الكليات العراقية مع الاسف مرتعا خصبا لحفنة من ذوى الاغراض ممن يستغلون الوضع السياسى أو الوزارى لتثبيت نفوذهم وجر المغانم الى انفسهم ضاربين صفحا بمصلحة الطلاب والعلم بل وبمصلحة الاكثرية الساحقة من الاساتذة ، فلكل وزير أو سياسى بطانة بينهم تتمسح بأذياله وتتمرغ على اعتابه وتصفق له مشيدة « بمآثره » ومعجبة باعماله ..

اننا نأمل أن تضع الجامعة المزمع انشاؤها حدا لهذه المهازل المحزنة فتحفظ للعلم مكانته وللاساتذة كرامتهم وللطلاب مصالحهم وتفسح بذلك المجال واسعا للنهضة العلمية التى نصبوا اليها والتقدم الذى نريده، ان الاعتراضات التى يمكن أن تقدم على المشروع الحالى ، يجب أن لا تقف بأى حال من الاحوال حائلا فى طريق انشاء الجامعة بأسرع وقت ممكن فالجامعة ليست غاية بذاتها ، بل هى وسيلة لاصلاح التعليم العالى ،

اذ لا يمكن اصلاح هذا التعليم الذى تطرق الفساد الى كل نواحيه دون هذه المؤسسة ، فالحجة المألوفة بأن تعليمنا العالى ليس فى وضع يساعد على تكوين جامعة قول باطل من أساسه ، لاننا نريد فعلا هذه الجامعة لاصلاح هذا التعليم والوصول به الى المستوى الذى نصبو اليه ٠

ان المشروع الجديد عدا مادته الثانية عشرة الموقتة ، يحقق كخطوة أولى مطامح القسم الاكبر من المثقفين الى حد كبير ٠ فقد نصت اللائحة المقدمة لتحقيق هذا المشروع على استقلال الجامعة واتصالها مباشرة بمجلس الوزراء ٠ كما نصت المادة الخامسة على أن يكون للجامعة مجلسان ؛ المجلس الاول ، هو مجلس الجامعة والثانى هو المجلس العلمى ٠

أما مجلس الجامعة فهو الهيئة العليا ويتكون من أعضاء أصليين هم رئيس الجامعة ونائب رئيسها وأمين سرها وعمداء الكليات ، ومن أعضاء منتخبين وهم بنسبة أستاذ واحد لكل كلية ينتخبه مجلس أساتذتها ، وأستاذان ينتخبهما المجلس العلمى ، ومن أعضاء منتدبين وعددهم ثلاثة ينتخبهم الاعضاء الاصليون ٠

أما المجلس العلمى فيتألف من رؤساء الدوائر العلمية وفق نظام خاص ، ويعنى بالنواحى العلمية وترفيع أعضاء الهيئة التدريسية ويقدم اقتراحاته لمجلس الجامعة الذى له حق البت فيها ٠

فمجلس الجامعة هو السلطة العليا فى الجامعة ، فقراراته نهائية ، وليس لوزير المعارف أو رئيس الجامعة سوى حق طلب اعادة النظر فى القرار ، فاذا أعيد النظر وحصل القرار على الاغلبية المطلقة فيكون نهائيا ، وقد أوضحت اللائحة صلاحيات مجلس الجامعة وأعطته السلطة الكافية للتصرف ، فعلى صلاح هذا المجلس اذن سيعتمد صلاح الجامعة وعلى فساده سيعتمد فسادها ، وهذا المجلس هو الذى يضع النظم الخاصة بالكليات وبالفعاليات الاخرى التى تتعلق بها ٠

ان هذا النظام يبدو مقبولا لاول وهلة ، ولكن المادة الثانية عشرة الموقتة تأتى لتضع بين أيدى الحكومة مصير الجامعة لسنين طويلة ٠ فقد أعطت هذه المادة كل الصلاحيات للمجلس التأسيسى الذى سيتكون بقرار من مجلس الوزراء بناء على اقتراح رئيس الجامعة الذى يعينه أيضا مجلس الوزراء لمدة خمس سنوات دون أى تحديد أو تقييد جدى لهذا الاختيار ، ولا ينحل المجلس التأسيسى قبل مرور أربع سنوات على تأسيسه وهو الذى سيضع قانون الخدمة الجامعية والنظم والتعليمات الواجب اتباعها فى الكليات بما فى ذلك تعيين أو انتخاب

العمداء الذين سيكونون أعضاء أصليين فى مجلس الجامعة المقبل • ومعنى ذلك بوضوح ان الجامعة ستبقى خاضعة خضوعا مباشرا للحكومة مدة أربع سنوات أخرى كما هو حال الكليات فى الوقت الحاضر ، ولا ندرى كم من السنوات ستبقى بعد ذلك للتخلص من القيود الثقيلة التى ستكبلها بها النظم التى ستفرضها الحكومة بواسطة المجلس التأسيسى الذى تمثله واسترداد حريتها الحقيقية التى تساعدها على القيام بواجباتها على الوجه المطلوب بعيدا عن الاهواء السياسية والشخصية لرجال الحكم • ان من المستغرب أن تتجاهل اللائحة تجاهلا تاما وجود الهيئات التدريسية عند تحدثها عن المجلس التأسيسى، لا فى الوقت الحاضر فقط بل لمدة أربع سنوات ، ولا نعتقد أن هناك أى مبرر لهذا التجاهل الطويل سوى أن يكون الفرض هو أن تبقى للحكومة اليد الطولى فى الادارة والتوجيه •

« الثقافة الجديدة »

منظمة اليونسكو بنظر امريكى

قدم الكولونيل ارفنج سالومون ، رئيس الوفد الامريكى لليونسكو، وعضو الهيئة التنفيذية لهذه المنظمة ، تقريرا سريا الى الرئيس آيزنهاور ، ذكر فيه حقائق ننقل بعضها لقراء العربية ليطلعوا على اعترافات رسمية تبرز وجهة نظر الحكومة الامريكية التى تعتبر اليونسكو آلة بيدها تسخرها للسيطرة على العالم وخاصة على الدول المتأخرة كقطرنا •

فى بدء تقريره يؤكد الكولونيل سالومون للجنرال ايزنهاور ان هذه المنظمة ليست شيوعية ولا يمكن أن يكون للشيوعيين أى أثر فى توجيهها •

فالاتحاد السوفيتى وحلفاءه ليسوا بأعضاء فى هذه المنظمة (وحتى فى حالة انضمام هذه الدول لليونسكو لن تكون السكرتارية مجبرة على قبول مواطنين من أوربا الشرقية كموظفين فيها) •

وبينما يطالب الوفد الامريكى بأستمرار من الوفود الاخرى أن تكون أممية فى تفكيرها وان تنسى التعصبات القومية ، نرى المستر سالمون يؤكد لرئيس جمهوريته ان المدير الجديد لليونسكو (وهو أمريكى) لن يحيد عن خدمة الولايات المتحدة كما فعل عندما كان عضوا فى الوفد الامريكى طيلة الجلسات السابقة • ثم ينتقل صاحب

التقرير الى موضوع طالما أشغل بال المسؤولين الامريكيين وهو يتعلق بالكتب المدرسية التى أعدتها منظمة اليونسكو والتى ، فى نظره ، « تعلم اطفالنا آراء تناقض تقاليدنا ومثلنا الامريكية » ، فيقول ان هذه الكتب ليست معدة الا « لمعسكرات اللاجئين العرب ولمراكز التعليم الدنيا فى المكسيك ومصر . » ولكن ما الذى يستفيده رجال الاعمال الامريكيين من جهود ممثلى الولايات المتحدة فى منظمةعالمية كهذه ؟ « نحن نجنى منافع أنانية أكثر ، لأنه فى حالة ما اذا حسنت البلاد المتأخرة وضعها الاقتصادى والاجتماعى سترتفع بنفس الوقت كميات البضائع التى نصدرها اليها . » .

ومن المعروف ان منظمة اليونسكو بذلت جهودا كبيرة من أجل تخفيض اجور البريد بالنسبة للمطبوعات . فمن يستفيد من ذلك ؟ التقرير المذكور يعطيك وجهة النظر الامريكية : « انها تسمح (الاجور المخفضة) بشراء المواد التثقيفية الامريكية بسهولة وبحرية فى أنحاء العالم . ان هذا مربح سواء من الناحية المادية أم من ناحية توسيع التعرف على أمريكا من قبل الشعوب الاخرى . أن طريقة قسائم الكتب ذات منافع عظيمة وعملية ، لانها تسمح للناشرين ولمنتجى المواد الثقافية الامريكية بتصدير بضائع تثمن بأكثر من ١ر٢٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا. »

ثم تحدث سولومون عن منهاج اليونسكو المتعلق بالمساعدات الفنية فيقول « أنه يسمح وسيسمح لنا بكسب اصدقاء (فى البلاد المتأخرة) . ونستطيع بواسطته أظهار قيمة اقتصادنا الحر ونظامنا السياسى الدمقراطى ، وكذلك ، بالمناسبة ، تزداد الطلبات على المنتجات الامريكية . »

هذه هى منظمة اليونسكو ذات الاهداف الثقافية والانسانيةالشريفة البعيدة عن جميع التيارات السياسية !!

مجلة « الأوبزرفيتر »
عدد نوفمبر ١٩٥٣

الثقافة الجديدة

مجلة التفكير العلمى والثقافة الحرة

يدير تحريرها لجنة من الكتاب

انها مجلتك أيها القارىء فابعث اليها باقتراحاتك وملاحظاتك

كتاب الشهر

تداعي النظام الكولنيالي

أو

أزمة الحضارة الغربية

بقلم ب • دوت
تلخيص : ابراهيم كبة

هذا الفصل ملخص عن كتاب (أزمة بريطانيا والامبراطورية البريطانية) ، لندن ، ١٩٥٣ ، ص ١٣١ ـ ١٤٨

P. Dutt: The Crisis of Britain and the Britishe Empire.

ولا ريب انه من أهم الكتب العلمية التى ظهرت بعد الحرب ، لتحليل الموقف السياسى العالمى ، من وجهة نظر التاريخ العلمى ، وهو مأثرة جديدة من مآثر مؤلفه العظيم الى جانب مآثره السابقة التى لا تقدر لخدمة الحقيقة والحرية والتقدم فى العالم ، ككتبه الرائعة عن (الفاشية والثورة الاجتماعية) و (السياسة العالمية) و (الهند اليوم) و(دليل المسالة الهندية) ... الخ الخ ، الى جانب مقالاته وتحليلاته القيمة فى مجلة (العمل الشهرية) التى لا يمكن ان يستغنى عنها أى مثقف علمى أو انسان فى هذا العصر •

ان ازمة النظام الكولونيالى (النظام القائم على استغلال المستعمرات) لم تقتصر على تغيير الموقف فى البلدان المستعمرة (بفتح الميم) ، بل غيرته أيضا فى البلاد المستعمرة ، لان انهيار الاساس الكولونيالى للامبريالية قد انعكس فى تعمق أزمة البلدان الامبريالية ، وخاصة فى غرب أوربا •

[١]

العجز فى الموازنة العامة

لقد شهد الحكام الغربيون بفزع عظيم موجة الثورة الصاعدة نحو

النصر فى آسيا ، والتى ما زالت تثير افريقيا ، ولمحوا بين ثناياها ناقوس الموت لنظامهم الامبريالى المستند الى الاقتصاد الطفيلى والتفسخ السياسى ، والمسمى فى العادة بالديمقراطية الغربية أو الحضارة الغربية • فمثلا كتبت جريدة (التايمز) فى اول مارت سنة ١٩٤٩ افتتاحية بعنوان (جبهة الشرق الاقصى) جاء فيها ما يلى :

« ان الحركات الثورية فى آسيا الشرقية عموما ـ من شمال الصين الى اندونسيا ، ومن الملايو الى تلال برما ـ آخذة فى تبديل خريطة العالم الستراتيجية والسياسية • ان مصائر زهاء المليون نسمة فى كف القدر ، وان تحدى السلامة الغربية لا يقل أهمية وخطرا عما لو كانت افريقيا كلها فى غليان » •

وتواصل (التايمز) مقالها بكل صراحة (بأن آسيا الشرقية هى القاعدة الاساسية لاوربا الغربية) ، وهى عبارة تبدو فى منتهى الغرابة أن نظر اليها من وجهة النظر الجغرافية والديمقراطية ولكنها مفهومة جدا من وجهة نظر الاقتصاد الامبريالى •

واستنادا لهذا التصريح الخطير ، تضع صحيفة الطبقة الحاكمة البريطانية الاساس المادى للروابط الروحية للامبراطورية البريطانية ، فتقول :

« ان الاضطرابات فى البقاع الآسيوية ••• قد هددت مصادر المواد الاولية التى تحتاجها هذه البلاد مع فرنسا وهولندة أمس الحاجة • لقد حصلت هذه البلاد على جزء كبير من دولارات المنطقة الاسترلينية ، من نصف المليون طنا من المطاط والستين ألف طنا من الصفيح ، التى كانت تنتجها الملايو سنويا قبل الحرب ، وكذلك من رز ومطاط ومعادن برما •••• كما ان مسألة الوصول الى اتفاق بين هولندة واندونسيا ، بنفطها ومطاطها وقهوتها ، سوف تقرر قضية امكان بقاء هولندة كمجرد دولة ، أم لا » •

ان هذا النوع من الدفاع عن الحرب الاجرامية فى الملايو بحجة كون الاخيرة (هى المصدر الاساس لاحتياطيات الدولار) لم يقتصر على التايمز فقط ـ بل تعداه الى (المانجستر غارديان) التى ذهبت ، فى

عددها المؤرخ فى ١٣ ديسمبر ١٩٥٠ الى (ان محصولات الملايو من الدولار هى التى تصون لنا منطقة الكتلة الاسترلينية) ٠

ومن الطبيعى ان هذه البلدان النائية كان بامكانها أن تنتج كل هذه الثروة ، بل أكثر من ذلك بكثير ، فى ظل نظام قائم على الحرية ، الا ان حصة بلدان اوربا الغربية ، فى مثل هذه الحالة ، يجب أن تقوم على أساس الاستغلال الامبريالى ٠

كذلك أكدت صحيفة (النيويورك تايمز) فى ١٩٤٩/١/١١ ، بان السيطرة فى المستعمرات هى الاساس اللازم الذى لا مندوحة عنه لاعمال أوربا الغربية ٠

« ان مستويات الحياة العليا فى اوربا ترجع ، على التأكيد ، لحدما ، الى توفر المواد الاولية أو العمل الرخيص فى آسيا وافريقيا ، وبالرغم من كون الاستعمار الكولونيالى ، بشكله القديم ، قد عفا عليه الزمن ، الا ان اعمار اوربا لا يمكن أن يتم من دون مصادر الثروة التى بات الاتحاد السوفياتى يهددها باندفاعه الجديد نحو الديمقراطية الشعبية » ٠

واخيرا فان الخبير الامريكى الشهير فى شؤون الشرق الاقصى والمشاور السياسى السابق لجان كاى‌شك ، (اون لاتمور) لم يتردد فى تأكيد النتيجة السلبية فى حساب السياسة الاستعمارية الكولونيالية بالعبارات الآتية :

« ان آسيا التى استطاع الغزاة اخضاعها بمنتهى السرعة والسهولة فى غضون القرنين الثامن والتاسع عشر ، قد ابدت قدرة عجيبة فى مقاومة الجيوش الحديثة المجهزة بالطيارات والدبابات والمدفعية السريعة ٠ لقد فتحت اراض شاسعة سابقا بقوى قليلة ، وقد أمكن استيفاء نفقات تلك الفتوح اضعافا مضاعفة من الموالد التى انتزعت اولا من النهب والسلب ، ثم من الضرائب المباشرة ، وأخيرا من التجارة واستثمارات رؤوس الاموال والاستغلال الطويل الامد ٠ ان الحساب المذكور كان يشجع الكثير من الدول القوية ٠٠٠٠ أما الآن فان هذه الدول تصطدم بحساب من نوع آخر ، حساب لا يبعث ابدا على التشجيع » ٠

أو بعبارة أخرى ، ان الارض بدأت تسـيخ من تحت اقـدام الاقتصاد الامبريالى ٠

[٢]

أساطير (الحضارة الغربية)

وكلما اشتد عمق الازمة فى هذا الاساس (المادى) للبلدان الاستعمارية لاوربا الغربية ، ازدادت اللغة المستعملة فى وصفها واخفائها فى (الروحية) ؛ ان الجميع يتكلمون اليوم ببلاغة عن الدفاع عن (الحضارة الغربية المهددة) و (الديمقراطية الغربية القائمة على احترام الفرد) و (طريقة الحياة الغربية) و (القيم الروحية الغربية) و (التراث المسيحى) الذى يبرر استعمال السلاح (الروحى !) للقنبلة الذرية ٠

على أنه كلما امعنا النظر المضمون الحقيقى لهذه العبارات الطويلة العريضة ، اتضح لنا انها عبارات جوفاء خاوية لا تتضمن معنى منسجما محددا ، أو أى مبرر تاريخى أو نظرى ، وانها من الوجهة العملية لا تمثل الا اسماء مستعارة للرأسمالية والامبريالية الغربيتين اللتين تمدان جذورهما واسسهما فى النظام الطبقى فى الداخل واستغلال الامم المستعمرة والمستعبدة فى الخارج ٠

ولنتساءل الآن ما هى هذه الحضارة **الغربية** (والوصف هذا لا يتجاوز العصر الحديث) المزعومة ، وأين تكمن خاصيتها المميزة ؟ والظاهر ان العبارة توحى بأن ارواح افلاطون والقديس توماس اكويناس وشكسبير وروسو ، قد باركت أقطاب بورصات لندن ونيويورك وشيكاغو ، كما باركت المدافع المدوية التى استثمرت اختراع الصين للبارود ، لفرض سموم الافيون على الفلاحين الصينيين !!

وهكذا فان الثقافة والتقدم ، وهما تراث **الانسانية** المشترك بسائر تياراتها المتفاعلة ، يشوهان ويجزءان ويحرفان بصورة مصطنعة عمدية ، للتقدم بتبرير مغلوط ، غير صحيح تأريخيا ، لفظاعات الامبريالية بعد أن غدت عقبة كأداء فى سبيل التقدم البشرى والعدو الالد للثقافة الانسانية ٠

لقد دفعت أمم أوربا الغربية الثقافة والحضارة الانسانيتين صعدا الى الامام عندما كانت لا تزال ممثلة للرأسمالية التقدمية الصاعدة ؛ وبالرغم من كل الاهوال التى صحبت انجازها التاريخى العظيم ، بالرغم من تجارة الرقيق والاستغلال الاستعمارى وتخريب بعض

المدنيات العريقة ، فان هذه الامم كانت من دون شك قائمة بدورها التاريخى المعين فى طليعة التقدم الانسانى : لقد دكت نظمها السياسية الجديدة اشكال التبعية القديمة ؛ لقد فتحت علومها وفنونها آفاق جديدة لمعرفة الطبيعة والسيطرة عليها ؛ لقد ربطت تجارتها سائر اجزاء المعمورة ؛ واخيرا لقد أضاف كتابها وادبائها ثروة جديدة خالدة لكنوز الانسانية ٠

على أن تلك الحقبة التاريخية أصبحت فى خبر كان ! ذلك لان الثقافة التقدمية الصاعدة ، التى اعلنت الحرب على تضليل وشعوذات القرون الوسطى ، والتى وجدت تعبيراتها الرائعة فى الاحياء والاصلاح الدينى وحركة التنوير ، ثم فى الثورات الانكليزية والامريكية والفرنسية ، وما صاحبها من نشوء الدول القومية وسائر انجازاتها العلمية والفنية العظيمة ، قد بلغت نهاية تطورها التاريخى ، فى نطاق العلائق الرأسمالية ، خلال القرن التاسع عشر ؛ وقد آتت هذه الثقافة الغربية أكلها النهائى فى الاشتراكية العلمية التى ورثت كل الانجازات الايجابية للحضارات القديمة ، وكانت المعبر بنفس الوقت عن القوة الاجتماعية الجديدة ، قوة الطبقات الكادحة فى المجتمع العصرى ٠٠٠٠ وقد انتقل منذ ذلك الوقت التراث الثقافى الانسانى بمجموعه الى الاشتراكية العلمية ، حاملة علم الثورة العالمية المعاصرة ، ثورة القرن العشرين ٠

اما اوليغارشيات (حكومة القلة) رؤوس الاموال المالية فى فى امريكا واوربا الغربية اليوم ، فقد تصدت لقيادة الرجعية العالمية فى محاولاتها اسناد النظام القديم بالعنف والاكراه ضد تقدم الحركات الشعبية فى كل العالم ، ولم تتردد فى اسناد جميع النظم الرجعية ، بما فيها الانظمة التى جرفتها الرأسمالية نفسها ، كالانظمة الاقطاعية ، فى كل انحاء المعمورة ؛ وبهذا لم تعد ذلك العنصر التقدمى فى الحضارة العالمية ، بل العنصر المخرب ، الهدام ، البربرى ، فى العالم المعاصر ، العنصر الذى لا يتورع عن ابتذال الثقافة وتشويه العلم وتسخيرهما لاغراض التخريب الذرى الماحق ، بل لابادة البشر بمجموعه ٠ وما هذه الاسطورة الجديدة ، اسطورة (الحضارة الغربية) الا هذا الستار المهلهل وهذا الشعار الاجرامى لتقديس هذا التفسخ العام للرأسمالية وهى تلفظ انفاسها الاخيرة ٠

ان هذا المفهوم الكاذب (للحضارة الغربية) لا يقل اصطناعا وتلفيقا عن مفهوم (الحضارة الآرية) الذى لفقته النازية سابقا لتبرير

(السمو) العنصرى ، أى سيادة رجال المال الالمان . والا فالى أى أساس يستند ؟ هل يستند لاساس جغرافى ؟ عجيبة هذه الجغرافيا الخاصة التى تدخل اليونان وتركيا ضمن اوربا الغربية وتستبعد منها جيوكوسلوفاكيا ! بل لقد ذهبت (التايمز) فى احدى افتتاحياتها المشهورة الى وجوب ضم اليابان لاوربا الغربية !؟ هل يستند الى وحدة ثقافية أو سياسية أو اجتماعية للنظم والافكار ؟ لا شك ان ذلك غير صحيح بالمعنى الذى يشيعه أنصار هذا المفهوم الملفق . انهم يرحبون بانضمام دكتاتوريات الاتراك واليونان شبه الفاشية الى الديمقراطيات البرلمانية العريقة ، بل لم تتردد (التايمز) فى اعلان ضرورة الاعتماد على المارشال (بيبول) دكتاتور سيام الفاشى المعروف ـ لاسناد القوى الضعيفة للديمقراطية الغربية فى جنوب شرق آسيا !

هل يستند لاى أساس دينى ، أى وحدة (الحضارة المسيحية) ؟ على العكس ! انه يرحب بالشنتوية اليابانية (عبادة الشمس والقوى الطبيعية الاخرى) واسلام الباكستان ، ولكنه يستثنى المسيحية الاورثوذوكسية، وهى التى حملت لواء المسيحية الشرقية قرونا طويلة ، قبل أن تصبح المسيحية بمجموعها وقفا على روما من جهة وعلى البروتستانتية الغربية من جهة أخرى . والخلاصة أن مفهوم (الحضارة الغربية) مفهوم ملفق مفتعل ، لا يستند الى أى أساس من التاريخ أو الجغرافيا أو الثقافة أو الدين ، بل هو يستهدف غرضا سياسيا آنيا ، قصير الأجل من أجله يتجاهل الجذور الآسيوية للمسيحية ، وفضل الامبراطورية البيزنطية فى صيانة التراث الحضارى الكلاسى طيلة عهود الظلام الدامس فى أوربا الغربية ، وفضل المصريين الاكبر على الاصول العلمية ، وفضل العرب على الرياضيات . واختراع الصينيين للطباعة والبارود .

لقد لاحظ الاستاذ (براكلغ) بحق ، بأن هذه النظرية فى الحضارة الغربية) أو (التقاليد الاوربية الغربية) أو (طريقة الحياة الغربية) قد فقدت منذ زمن طويل حق احترامها كنظرية أكاديمية وغدت مجرد سلاح سياسى صرف :

« لقد غدت اداة للقوى السياسية المنظمة ، ذات طابع سياسى واضح ، لقد غدت الستار الايديولوجى الذى يختفى وراءه أنصار التقاليد الغربية فى رغبتهم الجامحة لاستثمار المدفعية الذرية ؛ انها صرخة ترتفع بها عقيدة الوزارات البريطانية ؛ انها الشعار المقابل لدى الانكلو امريكان ، لشعار الدم والارض » .

والواقع ان الأساس الوحيد وراء هذا المفهوم المضلل هو وحدة الامبريالية الحديثة : انها الحقيقة وراء الشعار ، ان (ميثاق بروكسل) و (الميثاق الاطلنطى) و (الاتحاد الغربى) و (المجتمع الاطلانطى) .... ان كل ذلك لا يمثل الا **كتلة الدول التى تملك المستعمرات وحلفائها :** أى الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا ، بلجيكا ، هولندة ... الخ . وما النظام المتداعى الآن ، بفعل الازمة الكولونيالية الحادة ، الا هذا النظام المتفسخ ، نظام (الحضارة الغربية الحديثة) ، أى هذا النظام الامبريالى العالمى ، الذى لم تعد له أية صلة مشتركة بالتراث الثقافى العظيم للامم الاوربية الغربية .

(٣)
أوربا الغربية فى مهب الأعصار

على ان نتيجة الحرب الثانية غيرت تماما علاقات الامبريالية : فقد ضاق نطاق الاستعمار لحد كبير بنتيجة انحلال الامبراطوريتين اليابانية والايطالية وزوال المانيا كدولة مستقلة ، وتحرر الديمقراطيات فى أوربا الشرقية من نطاق الاستعمار . أما داخل نطاق البلدان الاستعمارية الباقية فقد تغير ميزان القوى كل التغير بين الامبريالية الامريكية من جهة وامبرياليات أوربا الغربية من جهة اخرى . لقد ضعفت الدول الكولونيالية القديمة لاوربا الغربية لحد كبير ، وقد بدا هذا الضعف فى استمرار حدة مشاكلها الاقتصادية الشائكة ، والعقبات الكأداء ، دون أمكان اعمارها من جديد ، وعدم الاستقرار المستمر الذى يميز تاريخها طيلة الفترة التى مرت عليها منذ انتهاء الحرب ، والعجز الدائم فى ميزان دفوعها ؛ وقد زاد الطين بلة ، على الاخص ، مناهجها فى التسلح .

لقد حاول البعض تفسير هذه الصعوبات الاقتصادية فى بادىء الامر باعتبارها نتيجة موقتة عرضية لتخريبات الحرب ، ولكن سرعان ما ظهر بأن مثل هذه التفسيرات وهمية ومضللة ، ذلك لان التخريبات التى عانتها بلدان أوربا الغربية كانت أقل بكثير مما عانته أوربا الشرقية ؛ فلا يمكن أن تقاس خسائر بريطانيا مثلا بالنفوس والاموال بالرغم من القصف الشديد للندن وكوفنترى ، بالخسائر الكبرى التى لحقت الاتحاد السوفياتى والتى بلغت السبعة ملايين وفاة والسبعين الف مدينة وقرية خربت عن آخرها ، والستة ملايين دار هدمت ، والثلاثين ألف معملا أزيلت من الوجود ، والسبعين ألف مزرعة تعاونية اصبحت أثرا بعد عين ، وثلث

القرى والموارد الانتاجية شلت بالمرة ؛ كما لا يمكن ان تقاس خسائر فرنسا باصابات بولندة ، أو باريس التى لم يمسها شىء اثناء الاحتلال ، بوارشو الصريعة ، وبالرغم من كل ذلك فقد تلقت أوربا الغربية التى كانت حاجتها للمعونة أقل نسبيا ، من الاعانات الامريكية ما بلغ مداه ملايين الدولارات ، وعندما رفضت أوربا الشرقية (باستثناء يوغسلافيا التى تلقت هى الاخرى اعانات امريكية كبرى بعد خضوعها للغرب) التى لقيت من أهوال الحرب الامرين ، وبهذا كانت تستحق كل المساعدات والاعانات من أولئك الذين أثروا حتى التخمة بنتيجة الحرب ..... عندما رفضت الاستخذاء أمام شروط العبودية الاقتصادية والسياسية التى أراد الغرب املاءها عليها ، توقع كل مجرمى الاستعمار الغربى شر العواقب الاقتصادية والمعاشية لها ، فى نفس الوقت الذى تنبأوا فيه لبلدان أوربا الغربية الاستعادة السريعة للرفاه الاقتصادى الكامل . على ان الحقائق اتجهت فى طريق معاكس . فمنذ ١٩٤٨ اعترف (احصاء هيئة الامم المتحدة(٢) (بان الاتحاد السوفياتى استطاع تحقيق أكبر نسبة من زيادة الانتاج الصناعى فى العالم ، وهى نسبة ٠٧١/٠ فوق مستوى سنة ١٩٣٧ ، تقابلها نسبة ٠٧١/٠ فقط فى الولايات المتحدة ونسبة لا تكاد تذكر ، واحيانا نسبة سلبية ، فى بلدان أوربا الغربية ، كما ان الصحيفة الرسمية لحزب العمال البريطانى (الديلى هرالد ، عدد ٤-٦-١٩٤٨) اعترفت هى الاخرى بان الاعمار فى بولندة قد فاق كل النسب الاوربية اطلاقا . وقد اتسعت الهوة بين الوضع فى شرق أوربا وغربها مع مرور الزمن ؛ فقد بلغ الانتاج الصناعى فى الاتحاد السوفياتى ضعف مستواه قبل الحرب فى عام ١٩٥١ ، وقد انخفضت الاسعار وارتفعت مستويات الحياة وزاد الاستهلاك القومى فى أوربا الشرقية ، فى نفس الوقت الذى كانت ترتفع فيه الاسعار وتسود سياسة الزهد وتنخفض مستويات الحياة فى أوربا الغربية . أما اسعار المواد الاستهلاكية الرئيسية ، كالغذاء والحليب ، فى الاتحاد السوفياتى ، فقد خفضت خمس مرات بين ١٩٤٧ (سنة الغاء نظام البطاقات) و١٩٥٢ ، ولعل من المفيد أن نذكر هنا ما جاء فى تقرير اللجنة الاقتصادية الاوربية لهيئة الامم المتحدة فى هذا الصدد فقد كتب فى ربيع سنة ١٩٥١ :-

« ان الاقتصاد فى المملكة المتحدة يدل على خضوعه لضغط فى منتهى الشدة ؛ فهناك تضخم فى النفقات يبدو انه سيرتفع فى نهاية السنة بسبب تضخم

(٢) U. S. Statisties Survey

الطلب الناتج عن تطبيق مناهج التسليح فى أوربا »٠

أما عن الاتحاد السوفياتى فيذكر التقرير ما يلى :ـ

« لقد زاد الانتاج الصناعى فى الربع الاول من سنة ١٩٥١ فى البلدان الستة لاوربا الشرقية (بولندة ، رومانيا ، بلغاريا ، هنغاريا ، جيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية) بنسبة ١٩ ٠/٠ بالنسبة لما كان عليه فى الربيع الاول من عام ١٩٥٠ ، و ١٨/٠ ٠/٠ فى الاتحاد السوفياتى مقابل ١٣ـ١٤ ٠/٠ من أوربا كلها » ٠

ومما يجدر التنبه اليه فى هذا الصدد ، هو ان عبارة **فى أوربا كلها** عبارة مضللة ، لان أوربا تشمل بلدان الديمقراطيات الشعبية أيضا ، وقد لجىء الى هذا النوع من الاحصاء لاخفاء حقيقة الهوة بين الوضع فى الاتحاد السوفياتى والديمقراطيات الشعبية من جهة ، وبينه فى اوربا المارشالية (البلدان المشتركة فى مشروع مارشال) من جهة أخرى ، وكان الواجب توجيه البحث على هذا الاساس وليس المقارنة بين الاتحاد السوفياتى ، وبين أوربا بمجموعها بما فى ذلك أوربا الشرقية ، كما فعل تقرير هيئة الامم ٠

والاهم من كل ذلك ، ان الانتاج الصناعى فى أوربا الغربية بدأ فى الربع الثانى من عام ١٩٥٢ فى الهبوط المطلق ، لاول مرة منذ عام ١٩٤٧ ، بجانب ارتفاعه المستمر فى الاتحاد السوفياتى والديمقراطيات الشعبية ٠

فما هو سر هذا التناقض بين سرعة الاعمار فى البلدان التى قاست أشد الاهوال خلال الحرب ، وبطء الاعمار أولا ، ثم تراجعه المطلق أخيرا ، فى البلدان ، التى لم تكن اصاباتها بتلك الشدة ؟

ما هو سر التناقض بين زيادة تقدم الانتاج فى أوربا الشرقية ، بجانب الانتاج البطىء المتلكىء فى اوربا الغربية ؟

ما هو سر التناقض بين انخفاض الاسعار المستمر وارتفاع مستوى الحياة فى شرق أوربا ، بجانب فضاعة الاسعار وهبوط مستويات الحياة فى غربها ؟

ان هذا التناقض يعبر ، بالدرجة الاولى ، عن التناقض بين الانظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة فى كل من الكتلتين ، كتلة الاشتراكية والديمقراطية الشعبية السائرة فى طريق الاشتراكية ، وكتلة الرأسمالية والامبريالية ؛ كما انه يعبر ، بالدرجة الثانية ، عن آثار (مساعدات !) مارشال ـ أى التدخل والانحلال المالى

والاقتصادى فى الواقع ـ ؛ وهو أخيرا يعبر ، خاصة فى المرحلة الاخيرة ، عن نفقات التسليح الباهضة ، والحروب الكولونيالية المستمرة ، وضغط المناهج الجديدة فى اعادة التسلح فى أوربا الغربية ٠

على ان هذا الخلاف فى النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفى السياسات العملية المتبعة ، لا يمكن فصله ابدا عن الاساس الامبريالى لاقتصاديات بلدان أوربا الغربية ؛ وبذلك يجب تلمس أسباب الصعوبات الاقتصادية وتأزم الاحوال المالية فى هذه البلدان ، لا فى الاضطرابات الموقتة العرضية التى كان من الطبيعى أن تحدث فى نهاية حرب عالمية طاحنة ، بل فى أزمة النظام الكولونيالى نفسه ، الذى أسس عليه بناء الاقتصاديات الامبريالية فى هذه البلدان ٠

ان ازمة بريطانيا وأوربا الغربية تعكس فى الحقيقة تداعى الاساس الامبريالى القديم وفقدان الجزية فى المستعمرات ، والفشل فى القيام بالتغييرات الجذرية العميقة لاستبداله بأساس انتاجى جديد ، سليم ومتين ٠ وتظهر هذه الحقيقة باتم الوضوح الوضوح من الجدول الآتى المستمد من تقرير لجنة مشروع مارشال حول (التعاون الاقتصادى الاوربى) والذى يكشف الاساس الاقتصادى لبلدان أوربا الغربية قبل الحرب :

البلاد	عدد سكانها	نسبة تجارتها للتجارة العالمية نسبة الواردات	نسبة الصادرات
الولايات المتحدة	١٣١ر٧ مليونا	٨ر١ ٪	١٣ر٢ ٪
البلاد الاوربية الداخلة فى مشروع مارشال	٢٠٥ر٩ ملايين	٤٠ر ٪	٣٠ر٤ ٪

وهنا يظهر المصدر الحقيقى لافلاس أوربا الغربية ؛ فقد كانت بلدان أوربا الغربية المشتركة فى مشروع مارشال تستوعب خمس الواردات العالمية ، بينما لم تكن تصدر الا أقل من ثلث الصادرات العالمية ، مع العلم أن ربع الواردات المذكورة لم يكن يدفع بتصدير صادرات مقابلة له ، بل كان جزء كبير منها يستعمل لبيعه فى الولايات المتحدة وبلدان الدولار الاخرى ، للتزود بالصرف (الدولار) اللازم لشراء البضائع من البلدان المذكورة ؛ ومعنى ذلك ان الفلاحين والعمال فى المستعمرات كانوا يكدون ويكدحون بشروط أقرب ما تكون للمجاعة الصرفة لتجهيز المطاط والصفيح والنحاس والزيوت والكاكاو للولايات المتحدة ومناطق الدولار ، بجانب تجهيزها لبلدان أوربا الغربية ٠٠٠ كل ذلك لاجل أن تتمتع فئة قليلة ممتازة فى بريطانيا وأوربا الغربية بأروع آثار التكنيك

الامريكى ومواده الترفية ... ولقد سمى هذا النوع من التبادل ، بسخرية ما بعدها سخرية ، (بالتجارة الثلاثية) اخفاء لهذا الاساس الثابت فى الاستغلال الكولونيالى .

كذلك كان المركز الممتاز لاوربا الغربية ، يقوم على الاستغلال شبه الكولونيالى للبلدان المتأخرة فى أوربا الشرقية (بولندا ، هنغاريا ، وبلدان البلقان) التى الزمت بحياة زراعية جد متأخرة ، من دون أى تصنيع أو خضعت لانظمة فاشية رجعية تقوم على سيادة ملاك الارض ، وربطت اقتصاديا وسياسيا بالفئات الحاكمة فى البلدان المتقدمة صناعيا فى أوربا الغربية بما فى ذلك المانيا . أما الآن فقد اختفى هذا الاساس مع تحرر هذه البلدان نهائيا وتقدمها الاقتصادى فى مضمار التطور الصناعى . ان هذه الازمة فى النظام الكولونيالى ، التى حطمت أسس هذا الاقتصاد الطفيلى المتفسخ ، قد أحدثت فورا أزمة دولارية لبريطانيا وأوربا الغربية ؛ ذلك لان انخفاض الجنيهات فى المستعمرات وهبوط الدخول من استثمارات رؤوس الاموال واستثمارات النقل البحرى المتصلة بها ، لم تظهر فى الحسابات بشكل عجز (أى نقصان) فى البضائع الكولونيالية (أى المسلوبة من المستعمرات) ، بل بشكل عجز فى البضائع الدولارية (أى البضائع المستوردة من أمريكا ومناطق الدولار) ، أو بعبارة أخرى بشكل عجز عن تجهيز الدولارات اللازمة لشراء البضائع الأخيرة . **وهكذا نرى ان الازمة الكولونيالية لم تظهر الا بشكلها السطحى ، أى كأزمة دولارية فقط .**

وقد مثل مشروع مارشال خطة موقتة لتلافى هذا المظهر السطحى للازمة الحقيقية المتمثل فى الازمة الدولارية بثمن باهظ جدا ، لا يقل عن الخضوع الاقتصادى المطلق للامبريالية الامريكية ... ولكنه لم يمس مطلقا العوامل العميقة الكامنة وراءها ، اى الازمة الكولونيالية نفسها . والواقع انه لا يمكن ان تحل هذه الازمة فى داخل الاطار الامبريالى نفسه . ونستطيع ان نتصور انهيار دخول الاستثمارات فى المستعمرات من الجدول الآتى (المأخوذ من موازين الدفوع البريطانية لسنتى ١٩٣٨ و١٩٤٦) ، الذى يظهر بوضوح الهبوط الكبير فى دخلها الصافى ، بالرغم من الاحتفاظ بمبلغ ٢٤١٧ مليون باون فيها ، أى الاحتفاظ بثلثى مجموع الاستثمارات التى كانت موزعة فى المستعمرات قبل الحرب .

جدول يبين هبوط دخل الاستثمارات الصافى لبريطانيا فى الخارج بين ١٩٣٨ و ١٩٤٦

الدخل الصافى لسنة ١٩٣٨	لسنة ١٩٤٦	الهبوط
بملايين الجنيهات		
١٧٥	٧١	١٠٤ ـ

ومن هذا نرى بان الدخل الصافى للاستثمارات البريطانية من الخارج هبط لثلاثة أخماس ما كان عليه قبل الحرب ، بالرغم من ان مبالغ الاستثمارات نفسها لا تزال تمثل الثلثين عن مستواها قبل الحرب ، ومعنى ذلك ان الارض تسيخ من تحت اقدام الاقتصاد الامبريالى الطفيلى القديم ٠

ولقد قامت عدة محاولات لاعادة أو صيانة أو توسيع أساس الاقتصاد الكولونيالى القديم باعتباره الشرط الاساسى (للانعاش) الاقتصادى فى أوربا الغربية ! مثال ذلك ان مشروع الاربع سنوات الذى قدمته الحكومة البريطانية للسلطات المسئولة عن مشروع مارشال فى ديسمبر ١٩٤٨ (لمنظمة التعاون الاقتصادى الاوربى) قد نص صراحة على (زيادة كبيرة فى مساهمة المستعمرات فى الانعاش الاوربى) وتوقع بتفاؤل غريب مضاعفة (المحصولات غير المنظورة) الى سبعة أضعاف خلال السنوات الاربعة القادمة ٠ وفى سنة ١٩٥٠ أعلن وزير المالية البريطانية بكل زهو حصول فضلة كبيرة فى ميزان الدفوع **للمنطقة الاسترلينية** مع منطقة الدولار ، الا أن الواقع هو أن هذه الفضلة كانت تخفى عجزا مستمرا فى ميزان الدفوع **البريطانى** ، لان الفضلة المذكورة كانت متأتية من زيادة محصولات الدولار **للمستعمرات** نفسها ، تلك المحصولات التى أقترضت لحساب الاسترلينى الذى تملك زمامه المملكة المتحدة ٠ وهكذا نرى ان حكومة العمال البريطانية حاولت اعلان (فوز اشتراكى) فى الانعاش الاقتصادى سنة ١٩٥٠ على حساب الامعان فى استغلال المستعمرات ٠

على ان جميع محاولات انعاش أوربا الغربية على أساس زيادة الاستغلال الاستعمارى محكوم عليها بالفشل ، مهما استطاعت الحصول على بعض النتائج الموقتة القلقة غير المستقرة أحيانا ، وذلك لاشتداد حدة الازمة فى النظام الكولونيالى العام ٠ ان المحاولات المذكورة لم تنته الا بالحروب المخربة فى المستعمرات ، وتضخم نفقات القمع والارهاب فيها ، وازدياد الارتباطات العسكرية عبر البحار ، وكل ذلك

لن يؤدى الا الى زيادة الضغط على الاقتصاد الامبريالى المتداعى منزمان، وبالتالى الى زيادة العجز العام • ويمكن الاستشهاد على هذه الحقائق ، بملاحظة الميزانيات العامة وموازين الدفوع الفرنسية مقرونة بآثار الحرب الماحقة فى فيتنام ، والهولنـــدية مقرونة بآثار الحرب فى أندونيسيا ، والبريطانية مقرونة بآثار الحرب فى الملايو والارتباطات العسكرية الاخرى فى جميع أنحاء العالم • ان الفضلة الموقتة التى تبجحت بها بريطانيا عام ١٩٥٠ كانت تستند الى ظروف عرضية غير عادية ، قوامها تضخم أسعار المواد الاولية المنهوبة من المستعمرات بسبب زيادة الطلب عليها بنتيجة الحرب الكورية ، وسياسة اختزان المواد الحربية فى الولايات المتحدة واعادة التسلح فى كل العالم • ولكن سرعان ما بانت النتائج المخربة لهذه السياسة ، عندما اتضح فى سنة ١٩٥١ بدن العجز فى ميزان الدفوع قد عاد الى التضخم لارقام قياسية ، وان عجز موازين التجارة لاوربا الغربية قد ارتفع من معدل مليون دولار فى النصف الثانى لسنة ١٩٥٠ الى أربعة ملايين دولار فى النصف الاول من عام ١٩٥١(١) •

وقد فرضت تقييدات قاسية على الاستيراد لتصحيح الميزان فى سنة ١٩٥٢ ، فلم تنته الا بانخفاض سطحى ومحدود جـــدا فى عجز ميزان الدفوع فى النصف الاول من السنة المذكورة ، ولكن على حساب تردى الوضع التجارى وانحطاط المركز الصناعى ، أى على حساب تأخر الوضع الاقتصادى الحقيقى فى البلاد •

كذلك لم يستطع مشروع مارشال أن يقدم الحـل النـاجع فان مساعداته فى الدولار لم تستطع الا أن تخفى بصورة موقتة جـــدا ، العجز الحقيقى ، ولكنها لم تمس أسبابه العميقة فانها على العكس أدت عمليا الى استفحال المرض بزيادة الاعتماد على موارد منطقة الدولار ، وبتأخير ، بل حتى عرقلة أو تحديد أية محاولة لتقديم حل صحيح على أسس جديدة • ان مشروع مارشال لم يجلب الانعاش الاقتصـادى المزعوم لاوربا ، كما تطبل دعايته ، بل زاد فى ضعف اقتصاد الدول الغربية وتبعيتها للامبريالية الامريكية •

(٤)

استعمار أوربا الغربيـــة

ان الاقطار الاوربية الغربية قد هبطت ، بعد الحرب العالميـــة

(١) عن (الايكونومست) ، ٨ ديسمبر ١٩٥١ •

الثانية ، بالرغم من بقائها دولا امبريالية تملك المستعمرات الشاسعة ، الى مركز التبعية المطلقة للامبريالية الامريكية التى تفوقها فى القوة ٠ وقد استخدم اسلوبان (تكنيكان) أساسيان لاحداث هذا التحول : الاول تكنيك التسرب المالى والاقتصادى الذى وجد تعبيره فى مشروع مارشال بنتائجه السياسية البعيدة المدى ، والثانى الاخضاع العسكرى ببناء القواعد والسيطرة على الجيوش ، وقد وجد تعبيره فى الميثاق الاطلنطى مع سائر التنظيمات الناتجة عنه ٠ والواقع ان مشروع مارشال كان المرحلة الاولى ، تبعه الميثاق الاطلنطى فى المرحلة الثانية ٠

وقد أظهرت الخبرة العملية لمشروع مارشال ، خلال سنى تطبيقه بين ١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ ، بان معناه الحقيقى يختلف كل الاختلاف عن الصورة المبسطة التهريجية التى قدمت عنه ، باعتباره مشروع (مساعدة) و (انعاش) ٠ والواقع انه منذ سنة ١٩٤٧ ، أظهر تقرير هاريمان الذى قدم للمؤتمر الامريكى لايضاح أهداف مشروع مارشال ، بأن غرضه الحقيقى لم يكن أبدا اقتصاديا صرفا :

« ان مصالح الولايات المتحدة فى أوربا لا يمكن أن تقاس بمقاييس اقتصادية فقط ؛ انها مصالح سياسية وستراتيجية أيضا »

كما ان (الايكونومست) ـ عدد ، أول اوكتوبر ، ١٩٤٧ ـ شكت ، منذ خريف ١٩٤٧ ، أى قبل أن يدخل المشروع حيز التطبيق :

« بأن الموقف الحالى موقف مؤلم٠٠٠ انالحكومات الاوربية يجب أن تتلقى المواعظ والخطب، التحذيرات والانذارات ، الاثارات والاستفزازات ، فى كل أوجه سياستها العامة ٠٠٠ ان الضمانات يجب أن توضع وتنفذ ، أو على الاقل تقترح ، كشروط أولية لمنح المساعدات ، من رقابة امريكية على المساعدة الى أوصياء أمريكان ، ومن تغييرات سياسية فى الحكومات الى ترك سياسة التخصص ٠٠٠

ولكن صوت مولوتوف سيرن صداه فى كل أوربا وفى آذان كل حكومة أوربية : الصوت المنذر بفقدانها سيادتها الوطنية » ٠

وفى سنة ١٩٤٩ ، أى عندما كان قد تم تنظيم وعمل هيئات الرقابة الامريكية فى كل بلد من بلدان أوربا التى بدأت تعرف (بأوربا المارشالية) ، وقف الوزير الامريكى الذى عهدت اليه ادارة بعثة منظمة

التعاون الاقتصادى فى بريطانيا ، (السيد توماس فنلتر) خطيبـــا فى وليمة الغذاء فى أوتيل سافوى فى لندن ، بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٤٩ يقول بكل تبجح :

« بأنه لم يسبق أبدا فى التاريخ ، ان كلف ممثلو حكومة معينة بواجب اعادة النظر ، بشكل تفصيلى وعلى رؤوس الاشهاد ، فى أعمال حكومـة أخرى فى المسائل المتصلة بشئونها الداخلية الصرفة » ٠

ان مشروع مارشال وجه لخفض مستويات الحياة العامة وتقليص الخدمات الاجتماعية وتحديد الاعمار الانتاجى ، كما انه وجه أيضا لتعميق الهوة بين الشرق والغرب بفرض التقييدات والتحديدات التجارية بينهما وذلك لغرض زيادة وادامة تبعية أوربا الغربية للولايات المتحدة ، حتى ان سكرتير (منظمة التعاون الاقتصادى الاوربى) المسئولة عن تنفيـــذ مشروع مارشال اضطر للاعتراف علنا فى تقريره الرسمى لعام ١٩٤٩ بخيبة الوعود التى قطعت فى بادىء الامر لازالة تبعية الدول الاوربيـــة لمنطقة الدولار :

« ان أوربا غير سائرة الآن فى طريق استقلالها التام من كل مساعدة خارجيـــة استثنائية ٠٠٠ ان مشكلة الدولار ، بالرغم من التقدم الذى حصل خلال العامين الاخيرين ، ليست فى طريق الحل ٠٠٠ وليست المملكة المتحدة وحدها تقف هذا الموقف ٠٠٠ ان هذه مشكلة لا تستطيع مؤسستنا أن تضطلع بعبء حلها ».٠

كذلك ذهب تقرير مجلس غرفة التجارة الدوليـــة المنشور فى مايس ١٩٤٩ بعنوان (تسليح عام ١٩٥٣) الى الرأى الآتى :

« ان الاوربيين سيواجهون فى عام ١٩٥٣ ، أى عند انتهاء مساعدة (ادارة التعاون الاقتصـــادى) ـ المسئولة عن مساعدة مارشال ـ احتمال انخفاض مستوى حياتهم ، أو أن يصبحوا مجرد (متقـاعدين) يقتاتون على الولايات المتحدة » ٠

والواقع أن أوربا دخلت فى دور التبعية الاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة ٠ وقد اضطرت (الايكونومست) فى ٥ يناير ١٩٥٢ ، أى عندما انتهت عمليات تنفيذ مشروع مارشال واستبدل الاسم الاول (التعاون الاقتصادى) بالاسم الجديد (الضمان الجماعى) ، أو بكلمة أخرى عندما أزيح القنـاع (الاقتصـــادى) واستبدل باللباس العســـكرى

المكشوف .... أن تكتب التعليق المؤلم الآتى :

« مما يبعث على السخرية أن تجد أوربا نفسها ، بعد أربع سنوات من التعاون ، فى نفس موقفها عام ١٩٤٧ حسبما يبدو . انها لا تزال على جوعها للدولارات ، وان حسابات أكثر البلدان مع البلاد الواقعة وراء البحار لا تزال تنتهى بالعجز » .

لقد كان البديل العسكرى لمشروع مارشال هو معاهدة الميثاق الاطلنطى الموقعة فى سنة ١٩٤٩ والتى تم بموجبها تأسيس (مجلس مندوبين) دائم ، برئاسة أمريكية ، وهيئة قيادة عسكرية أمريكية للقوات العسكرية لبلدان أوربا الغربية . كما انه أعلن انشاء ما سمى (بالجيش الاوربى) تحت السيطرة الامريكية ، فى الوقت الذى كانت الخطط قد بلغت قمتها فى سنة ١٩٥٢ لاعادة تكوين الجيش الالمانى (Wehrmacht) بقيادة القواد النازيين ، الى جانب الاحتلال الامريكى الدائم لاوربا الغربية . وهكذا فانه بعد مضى خمس سنوات فقط على بداية تدخل مشروع مارشال الاصلى ، تتقدم الاقطار العريقة لاوربا الغربية الى مدى بعيد فى خضوعها الاقتصادى والسياسى والعسكرى لسيطرة الولايات المتحدة .

وقد كانت كل هذه التطورات الجديدة انتكاسا فى الواقع للتغيرات العميقة التى حصلت فى علائق الامبريالية منذ الحرب العالمية الثانية . ان الحرب المذكورة لم تقتصر فقط على احداث أوسع التغييرات فى النطاق الكولونيالى ، أى فى علائق البلدان المتعمرة (بفتح الميم) بالبلدان الامبريالية ، بل أحدثت أيضا تغييرات عميقة فى علائق الدول الامبريالية ببعضها، فىعلائق الامبريالية الامريكية بالامبرياليات الغربية .

ان التطور غير المتساوى للامبريالية قد بلغ حده الاقصى فى هذا التعارض بين موقف الولايات المتحدة من جهة ، وموقف العالم الامبريالى من الجهة الاخرى . فبينما أفقرت الحرب سائر البلدان المتحاربة الاخرى ، كدست الرأسمالية الامريكية ، التى لم تمسسها تخريبات الحرب ، الارباح الطائلة ، وقوت لحد كبير قوتها الانتاجية التى أصبحت تفوق فى امكانياتها الهائلة جميع امكانيات العالم الرأسمالى بصورة مجتمعة . هذا من جهة ؛ ولكن من الجهة الاخرى ، نرى ان الولايات المتحدة تملك مساحات صغيرة نسبيا من البلدان المستعمرة ، بينما لا تزال دول أوربا الغربية ، ذات المركز الاقتصادى الضعيف ، تملك

الامبراطوريات الكولونيالية الرئيسية • وهكذا فان التناقض القديم الذى كان يميز علائق الامبريالية الالمانية المتقدمة بباقى العالم الامبريالى فى مطلع القرن العشرين ، والذى أدى الى اندلاع الحربين العالميتين الاولى والثانية ، قد اشتدت حدته الآن ، وهذا ما يفسر لنا الآن حقيقة توجه اندفاع الامبريالية الامريكية نحو التوسع العالمى، لا الى وطن الاشتراكية والبلدان الاخرى التى تحررت من نير الاستعمار فقط، بل أيضا وبصورة مباشرة الى الامبراطوريات الكولونيالية القائمة وخاصة الامبراطورية البريطانية •

وقد حاولت الدول الامبريالية لاوربا الغربية ، وخاصة بريطانيا وفرنسا ، أمام هذا الهجوم الامريكى الجارف ، أن تناور لمصلحتها ، ضمن الاطار الذى يشدها بشبكة التحالف والمساعدة الامريكيتين ، بل هناك بعض الدلائل على تزايد مقاومتها العامة • وهكذا يظهر ان التعارض الانكليزى الامريكى ، الذى يشتد يوما بعد يوم ، بالرغم من الاتفاق الرجعى المناهض للثورة العالمية المعقود بينهما ، باعتباره التعارض الرئيسى للعالم الامبريالى فى الوقت الحاضر • وقد انعكس هذا التعارض ، خاصة ، فى اتفاقية القروض بين البلدين ، وفى الخلافات المستمرة حول كتلة الاسترلينى، ومسألة خفض العملات، وفى سياسة التفضيل الكمركية للامبراطورية البريطانية ، وفى اتفاقية هافانا التجارية ، وفى مسألة استخدام مشروع مارشال كسلاح للسيطرة على المواد الاولية الستراتيجية فى بلدان الامبراطورية البريطانية ، وأخيرا فى تقدم المصالح النفطية الامريكية على حساب المصالح البريطانية فى الشرق الاوسط •

ومما يميز هذا الاسلوب الفريد فى التوسع العالمى للامبريالية الامريكية على حساب الامبراطوريات الكولونيالية القديمة ، انه لم يستدع الفتح المسلح لهذه الامبراطوريات ، بل اقتفى آثار التبعية والتسرب .... أى أن الدول الكولونيالية القديمة تركت مع ملكيتها الاسمية لممتلكاتها الامبراطورية ، وذلك لكى تقوم بالعمل القذر الدنىء ، العمل البوليسى الادارى ، فى زجر واخضاع الشعوب المستعمرة ، بينما تكتفى احتكارات الولايات المتحدة باعتصار زبدة الارباح •

وبهذه الطريقة يمكن القول بأن بناء جديدا للامبريالية قد قام بعد الحرب العالمية الثانية ، تحتل اولايات المتحدة القمة من هرمه ، تتبعها ، الى أسفل ، البلدان الكولونيالية الاخرى التى لا تزال تمارس

السيطرة على الشعوب المحكومة الى جانب تبعيتها لوصايـــة الولايات المتحدة ، أما قاعدة الهرم فتحتلها جمهرة الشعوب المستعمرة المحكومة.

على أن ذلك لا يمثل الا توازنا غير مســـتقر أبدا ؛ انه متزعزع باستمرار ، بفعل توسع الامبريالية الامريكية من جهة ، والمقاومة الضعيفة للدول الكولونيالية القديمة من جهة أخرى ، ولكن بصورة خاصة موجة لكفاح الطاغية للشعوب المحكومة في سبيل التحرر التام . وهذا الفعل المتبادل للتناقضات الامبريالية هي التي تضفي على الازمة الحالية للنظام الكولونيالي طابعها المميز الخاص .

ابراهيم كبـه

عن الاستقرار ... !

« الاستقرار في عالمنا العربي هو أن تبقى الرجعية كما هي ، وأن تبقى الاقطاعية في نفوذها ، وأن تبقى الطائفيـة أساسا للنظام ، وأن تبقى القيادة بأيدي الذين لا يستأهلونها وأن يبقى مصير هذا العالم معلقا على جشـع الذين يطمعـون بثرواته وخيراته ويجرونه جرا الى مزالق خطرة تنفيذا لخططهم فيه واشباعا لمطامعهم منه » .

الدكتور جورج حنا

ظهر حديثا

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة

في القرن الاول الهجرى[1]

تأليف الدكتور صالح أحمد العلي

بقلم : الدكتور صلاح خالص

كتاب قيم ، لا لانه يبحث موضوعا مهما لم تتناوله ايدى المؤرخين المحدثين فحسب ، بل ولان طريقة البحث التى اتبعهـا المؤلف فى دراسته لموضوعه أضفت على هذه الدراسة الجديدة ثوبا علميا وجعلتها جديرة بكل عناية وتقدير .

فقد عنى الدكتور العلى فى هذا الكتاب بدراسة مظاهر النشاطين الاجتماعى والاقتصادى فى مدينة البصرة فى القرن الاول الهجرى معتمدا على ما يمكن أن تقع عليه يد باحث فى هذا العصر من مصادر تأريخية ، ومحاولا استخلاص أكثر ما يمكن استخلاصه من المعلومات التى تتعلق بموضوع بحثه ببراعة وحذق .

فعدا المقدمة القيمة التى كرسها المؤلف لتحـديد نطـاق البحث وتحليل مصادره فان الكتاب يتكون من ثلاثة أقسام :

يبحث القسم الاول فى التنظيمات الاجتماعية ، ويشتمل على أربعة فصول يستعرض المؤلف فى الفصل الاول منها الحوادث التأريخية التى ادت الى احتلال سواحل الخليج الفارسى وانشاء البصرة ، ناقدا النصوص

---

(١) (٣٥٦ صفحة ـ مطبعة المعارف) ، والكتاب هو تعريب لرسالة المؤلف التى قدمها لجامعة أوكسفورد لنيل شهادة الدكتوراه .

محاولا بيان قيمتها العلمية ومستخلصا بعض المعلومات التقريبية عن القبائل التى سكنت البصرة بعد انشائها ، ثم يتحدث بعد ذلك عن نمو البصرة وعن العوامل التى أدت الى ذلك ، محاولا توضيح ما يذكره ببعض الارقام عن عدد السكان مستقاة من المصادر المختلفة ؛ ثم ينتقل بعد ذلك للتحدث عن التنظيم العشائرى وتطوره فى هذه الفترة وعن نشوء القراء والخوارج ·

وخصص المؤلف الفصل الثانى لبحث موضوع العبيد ، فبعد أن يتحدث عن كيفية الاسترقاق والاعمال التى يستغل فيها العبيد ، يتطرق الى واجبات العبد وحقوقه ، ولنا هنا بعض الملاحظات سنعرض اليها فى محل آخر من هذا المقال · ويضم هذا الفصل مجموعة من المعلومات القيمة عن حالة العبيد لا يسعنا الا أن نبدى اعجابنا بالجهود التى بذلها المؤلف فى جمعها ·

وفى الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن الاعاجم ومركزهم الاجتماعى وعلاقتهم بالعرب واهميتهم فى الحياة الاقتصادية ، ويشير الى المنافسة التى قامت بين الاعاجم والحاكمين العرب مما دفع هؤلاء الى سن التشريعات التى تكفل لهم امتيازاتهم الخاصة (ص ٧٩) ·

وفى الفصل الرابع يبحث الكاتب فى الادارة فيتحدث أولا عن الخليفة ونفوذه وسلطته فى التشريع ، ثم عن نفوذ شيوخ العشائر الذى بدأ يضعف يوما بعد يوم ، ولا شك أن هذا الضعف كان جزءا من تطور عام لعب دوره الفعال فى جميع نواحى الحياة ويشير المؤلف بعد ذلك الى أهمية الثروات الواسعة التى كانت تحت تصرف الامراء والتى كانت تساعدهم على تثبيت سلطانهم وتعزيز مراكزهم ؛ ثم ينتقل للحديث عن الوظائف الادارية والشرطة وعن الجهود التى بذلت لتقوية الدولة وتثبيت سلطانها ·

أما القسم الثانى فقد كرسه المؤلف للتنظيمات المالية ، فبحث فى الفصل الخامس فى الواردات ، وفى الفصل السادس فى العطاء ، وفى السابع فى مستوى الاسعار ؛ أما الفصل الثامن فموضوعه مستوى المعيشة وتكاليف الحياة · وقد جمع الدكتور العلى فى هذه الفصول الاربعة مجموعات طريفة شيقة من المعلومات والارقام الناطقة عن كل هذه المواضيع ، معتمدا فى ذلك على مصادر مختلفة منها التاريخية ومنها الفقهية ، فقدم لنا بحثا هو الاول من نوعه فى مواضيع تعتبر أهم ما يعنى به المؤرخون المحدثون ·

أما القسم الثالث فيتكون من ستة فصول ، وهو على ما اعتقد الجزء

الاهم من دراسة الدكتور صالح أحمد العلى القيمة • ففى الفصل الاول من هذا القسم الذى يكون الفصل التاسع من الكتاب ، يبحث المؤلف فى موقف الاسلام من الرأسمالية ، ويقصد بالرأسمالية كما يبدو جمع الثروات واستغلالها • ويشرح المؤلف فى هذا الفصل الخطوات الايجابية التى قامت بها الدولة منذ عهد عثمان لتشجيع الملكية الخاصة وجمع المال وتقوية مركز اصحاب الثروات • وفى الفصل الذى يليه وهو العاشر يتحدث المؤلف عن الموظفين وما كانوا يتمتعون به من سلطات واسعة وفرص مختلفة لاكتساب المال ، وما هيأ لهم كل ذلك من مركز اجتماعى سنعود لنشير الى اهميته • ولا شك أن ما قدمه لنا الدكتور العلى فى هذه الصفحات من المعلومات القيمة يدل بوضوح على الجهود الكبيرة التى بذلها والتتبع الواسع الذى قام به •

وفى الفصل الحادى عشر تحدث المؤلف عن التجارة الخارجية والداخلية والترانسيت ؛ ثم كرس الفصل الثانى عشر للتجار ورجال الاعمال • والثالث عشر للبنوك على اختلاف انواعها • أما الفصل الرابع عشر والاخير فقد خصص للعمل والعمال والصناع متطرقا الى احوالهم ومستوى معيشتهم •

ويلحق الدكتور صالح أحمد العلى دراسته العلمية هذه بثلاثة ملاحق : الاول ، قطعة من كتاب الجامع الكبير للشيبانى ، والثانى عن عشائر البصرة ، والملحق الثالث يضم اسماء الموظفين من الامراء والقضاة واصحاب الشرط وغيرهم ، وولاة المقاطعات التابعة للبصرة •

ان الطريقة العلمية التى اتبعها المؤلف فى جمع النصوص المتعلقة بهذه الموضوعات ، وفى تحقيقها لتدعو الى كل اعجاب وتقدير ؛ ولا شك اننا نستطيع وضع هذا الكتاب القيم باطمئنان فى مقدمة المصادر التى تعالج هذه الفترة من تاريخ الاسلام • لقد استطاع الدكتور العلى أن ينفذ باخلاص العهد الذى قطعه على نفسه فى مقدمة كتابه حين قال « فلا بد لهم (أى للمسلمين) من السعى بجد ومثابرة واخلاص لدراسته (أى تاريخهم) دراسة علمية خالصة ، وتقديم ثمار هذه الدراسة الى الناس ، بصرف النظر عن كيفية تقبل الناس لها ، وقد حان الوقت الذى نفهم فيه ماضينا على حقيقته وتأريخنا على ما هو ، وندرسه مستهدفين فيه الصدق والحق ، ولا ريب أن مثل هذه الدراسة لن تنتج الا ما يسر كل منصف مستقيم التفكير » • اننا نأمل أن تلقى هذه الدعوة المخلصة صداها العميق فى نفوس الباحثين ، فيتجهوا الى تأريخنا الحافل ليزيلوا ما علق باخباره من ادران التعصب الذميم

والتشويه المغرض ، ويقدموه كما هو دون مسخ أو تزييف ، وبذلك فقط نستطيع تبين الطريق الذى سار فيه اسلافنا ، بل وحتى الذى نسير نحن فيه .

ومع اعجابنا الكبير بالجهد الرائع الذى قام به الدكتور صالح أحمد العلى ، فان لنا بعض الملاحظات ، نبديها واثقين أن أخذها بنظر الاعتبار فى البحث أمر يتطلب كثيرا من الجهد والتدقيق .

ان الانطباع الذى قد يحدث لدى القارىء عند مطالعته لهـــذا الكتاب ، هو أن هذه الوقائع التى بذل الدكتور العلى جهودا كبيرة فى استخلاصها من النصوص القديمة ، قد وجدت فى الشكل الذى يذكره ، أما صدفة أو لان قواعد ارادية كانت تقتضى ذلك ، دون أن تكون هنالك علاقة قوية بين مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وتأثير متبادل عميق .

ولكن من يدرس الكتاب بعمق ، يتبين له بوضوح أن هذه المظاهر المختلفةمرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا وانها تتطور متأثرة بهذا الارتباط .

فواضح مما يذكره المؤلف أن التبدل الاساســى الذى صــاحب انتشار الاسلام بعد فترة الرسالة هو انتقال العرب من حياة بداوة أو شبيهة بالبداوة يعتمدون فيها عموما على الرعى قبل كل شىء الى حياة حضرية جديدة أصبح العقار والارض والتجارة فيها الوسائل الرئيسة للعيش ، فأدى ذلك الى تعاظم الثروة « وظهور طبقة جديدة من الاثرياء الذين صاروا يلعبون دورا هاما فى الحياة الاقتصادية وشـــؤونها » (ص ٣) . ولم تقتصر أهمية هذه الطبقة على الحياة الاقتصادية ، بل انها سرعان ما بسطت نفوذها على نواحى الحياة الاخرى ، فيقول المؤلف (ص ١٨٩) : « لقد ازدادت أهمية الغنى بسرعة منذ عهد عثمان ، وأخذ عددهم يكثر . وكان كثير من هؤلاء الاغنياء من ذوى الشخصيات البارزة التى تحتل وظائف ادارية رئيسية ، لذا كانوا يلعبون دورا هاما فى السياسة ويؤثرون فى موقف الدولة ، فيجعلونها تتخذ موقفا مرضيا للرأسمالية ، كما أن طمع البعض وجشعهم ومحاولتهم الحصول على الثروة بأى وسيلة ، ادت الى فساد الادارة وحمل الناقمـين من الناس على انتقاد الدولة نفسها ... » . وقد أكد المؤلف فى الفصل العاشر الذى كرسه للموظفين ، أن هذه الطبقة الثرية هى التى كانت قابضة على زمام الحكم وانها كانت تتبع جميع الوسائل لتقوية نفوذها الاقتصادى والسياسى وزيادة ثروتها بمختلف الوسائل ، التى منهـا القوانين والنظم سواء أكان ذلك فى الادارة (ص ٨٧ – ص ١٠٨)

و (ص ١٩١ ـ ٢٠٥) أو فى العطاء (ص ١١٥ ـ ١٤٩) ، أو فى الضرائب وتقديرها (ص ١٩٨) أو فى التجارة ، ونذكر لذلك مثلا قول المؤلف (ص ١٩٨) أنه « كانت لهم صلاحيات واسعة فى تقدير الضرائب ... وبمقدور الولاة والامراء الاشتغال بالتجارة والحصول على ارباح طائلة ، ولا ريب أن نفوذهم ومناصبهم تساعدهم على تمشية أمورهم التجارية ، كما أن بأمكانهم اقتراض مبالغ من بيت المال لاستخدامها فى تجارتهم الخاصة ... » ثم يذكر (ص ١٩٩) ان الامراء والخلفاء كانوا يبيعون غلاتهم باسعار عالية ، فقد أمر الخليفة هشام والى العراق أن لا يباع شيء من الغلات حتى تباع غلات أمير المؤمنين ، حتى بلغت الكيلجة درهما » . كما تبدو هذه السيطرة الطبقية واضحة فى نظام العبودية (ص ٩١) ، بل وحتى فى معاملة الاعاجم ونظام الولاء (ص ٦٣ ـ ص ٨٧) « فسنوا (أى العرب) فى ذلك التشريعات التى تكفل لهم امتيازاتهم الخاصة » (ص ٧٨ ، ص ٧٩) .

وقد صحب نشوء هذه الطبقة الثرية واستحواذها على السيطرة الاقتصادية والسياسية والادارية والتشريعية « نشوء علاقات جديدة بين الافراد والى تكون روابط جديدة بينهم » (ص ٣) ، فتكونت طبقات اجتماعية جديدة حاولت الطبقة الثرية الحاكمة اخضاعها لنفوذها بمختلف الوسائل ، منها العسكرية ومنها الادارية والتشريعية . ومن الواضح أن نظام العبودية كانت الغاية منه تحقيق هذا الهدف على أوسع نطاق ، فقد كان هناك اقبال على شراء العبيد وثم كثرتهم (ص ١٥٧) اذ كان لكل أمير أو ثرى فى الواقع حرس خاص من عبيده ، والمؤلف يذكر بوضوح انه كان لعبد الله الاصفهانى اربعمائة من مماليكه حاربوا معه الحجاج ، كما أن عباد بن زياد حارب فى مرج راهط مع الفين من مواليه » (ص ٦٠) . هذا فضلا عن اشتغالهم فى الاعمال الاخرى التى من شأنها تقوية نفوذ سيدهم الاقتصادى وزيادة رفاهيته ، كتشييد الابنية (ص ٦٠) والتجارة (ص ٢٤٣) والصناعة (ص ٢٧٠) بل وحتى فى الزراعة (ص ٢٨٠) .

وضغط الطبقة الحاكمة على مختلف طبقات الشعب الاخرى واضح فى كتاب الدكتور العلى ، اذ يقول مثلا متحدثا عن الملاكين الصغار (ص ٢٤٠) « وتجنبا لما يلقاه بعض الملاكين الصغار والفلاحين من اضطهاد واستغلال ، فقد اضطروا أن يلجئوا اراضيهم الى بعض المتنفذين من العرب ، فيسجلوها باسم هؤلاء المتنفذين ويعطوهم بعض وارداتها لقاء حمايتهم من هذه المظالم ، مما ادى الى ازدياد الملكيات

الكبيرة والى تمكن قوة الاقطاعية ٠٠٠٠ » ٠

نصل من ذلك كله الى أن يقرأ كتاب الدكتور صالح العلى بشيء من التعمق ، يتبين بوضوح التطور الجديد الذى حدث عند مجيء الاسلام فى وسائل الانتاج ، والنتائج التى ترتبت عليه فى توجيه الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ٠ ولكن يبدو لى أن المؤلف لم يعن العناية اللازمة بهذه الصلة الوثيقة التى تربط مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية بعضها ببعض ، لا فى عرضه للافكار ولا فى ترتيبه للموضوعات ؛ فأخذ كلا من هذه المظاهر وتحدث عنها منفردة ، بادئا بالنتائج أى بالنظم الاجتماعية والمالية منتهيا بالاسباب أى بالتكوين الاقتصادى للمجتمع ، غير آخذ بنظر الاعتبار هذا الاتجاه الموحد الذى تسير فيه جميع مظاهر الحياة ؛ مما قد يؤدى الى الانطباع الخاطىء ـ كما اعتقد ـ ، والذى تحدثنا عنه ، وهو ان وجود هذه الوقائع التى بذل المؤلف جهدا كبيرا فى استخلاصها مرجعه الصدفة أو القواعد العامة القانونية أو التشريعية أو العرفية المفروضة على المجتمع فى خارجه ٠ ولا نعنى بهذا ، أن المؤلف قصد احداث مثل هذا الانطباع ، أو ان هذه هى فكرته ، فقد اوضحنا أن الطريقة العلمية التى اتبعها فى بحثه قادته الى عكس ذلك ٠ ولكن هذا التجاهل لهذه العلاقة القوية بين مختلف مظاهر الحياة وتأثيرها المتبادل فى بعضها أدى احيانا الى بعض الاضطراب فى آراء المؤلف والى اعطاء الانطباع ـ ربما غير المقصود ـ الذى تحدثنا عنه ٠

ففى الفصل الثانى مثلا حين يتحدث عن موضوع العبيد يتطرق الى واجبات العبد وحقوقه دون أن يوجه اهتماما كافيا الى الاسس التى قام عليها نظام العبودية وما يتعلق به من تشريعات ، فيقول متحدثا عن السلطات الواسعة التى للسيد على عبده (ص ٥٣) « ان العبد يعتبر متاعا (ملكا) لسيده الذى يتمتع بالحق المطلق فى بيعه أو استخدامه فيما يشاء من الاعمال أو تحريره بالصورة التى يقررها السيد ٠٠٠ وللسيد أن يعاقب العبد اذا عصى أو اساء السلوك ، وهو يعتبر المالك القانونى لما للعبد من مال ٠٠٠ » ولكنه رغم حديثه عن هذه الحقوق التى للسيد على العبد والتى نص عليها التشريع واسندها العرف ، فانه يعود ليقول (ص ٥٤) « الدولة غير مسؤولة عن القبض على الاباق الهاربين من اسيادهم ولا تعاقبهم اذا اعتدوا على اسيادهم » ، ثم يقول انه « ليس فى القانون ضمان لحماية السيد من اعتداء العبد » ثم يستنتج أن ذلك يعطى العبد بعض الضمان الذى يحميه من سوء

معاملة سيده » ، ويستطرد قائلا « والعبيد مخلوقات بشرية » ويترتب على ذلك بنظر المؤلف أن يتمتعوا ببعض الحقوق التى لا ينكرها عليهم القانون أو المجتمع ، فبمقدورهم بعد استئذان سيدهم أن يتزوجوا زوجتين ... الخ ... » .

ولا ندرى كيف نستطيع أن نوفق بين هذه الحقوق الواسعة التى يعطيها القانون للسيد، وبين حديث المؤلف عن عدم مسؤولية الدولة وهى منفذة القانون ، وعن ضمان يحمى العبد من سوء معاملة سيده ، وهو يتحدث (ص ٥٤ حاشية ١) عن « مدى سلطة السيد الواسعة فى تأديب عبده » ذاكرا أن رجلا نذر أن يقطع يد عبده الذى أبق أن قدر عليه ، هذا فضلا عن أنه ليس فى النصوص التى اعتمد عليها المؤلف ما يثبت صراحة ما ذكره عن موقف الدولة هذا . اما كون العبيد « مخلوقات بشرية » فيبدو أنه لا القانون ولا المجتمع رتب على ذلك ما رتبه المؤلف من ضرورة تمتعهم ببعض الحقوق ، والامثلة التى ذكرها تشترط أولا وقبل كل شىء رضاء السيد عما يفعله العبد ، وقل مثل ذلك فى حقوق التملك للعبيد التى تحدث عنها المؤلف (ص ٥٥) ، اذ قد ذكر قبل ذلك (ص ٥٣) ان السيد يعتبر المالك القانونى لما للعبد من مال .

فلو أن المؤلف أخذ بنظر الاعتبار كون التشريعات التى تخص نظام العبودية وواجبات العبد وحقوقه قد وضعت من قبل السادة أنفسهم وان غرضها كان خدمة مصالحهم واخضاع العبيد لسلطانهم ، وان الدولة المنفذة للقانون ما هى الا اداة لتنفيذ ارادة هؤلاء السادة كما أوضح فى مناسبات متعددة من كتابه ، أقول لو أخذ المؤلف بنظر الاعتبار هذه الحقائق لما عالج حقوق العبيد بهذا الاسلوب ولما فسر بعض المظاهر التأريخية تفسيرات ضيقة ، كرأيه مثلا حين بحث عن عيشة بعض العبيد « عيشة راضية » (ص ٥٧) . فنحن نتفق كل الاتفاق مع المؤلف فى أن الاوضاع القانونية قد تشير الى انحطاط العبد وسوء حالته ، وان هذا لا يصدق دائما . فبين العبيد من كان يعيش عيشة راضية ، ولكننا لا نتفق معه فى أن الاسباب الرئيسة كانت تلك الذى ذكرها (ص ٥٧) عن عطف السيد احيانا ورغبته لاسباب شخصية أو لعطف شعر به نحو العبد فى رفع منزلته وتحسين حالته . فالواقع أن ظروفا تأريخية جعلت العبيد يقومون بدور فعال فى تثبيت مراكز اسيادهم والدفاع عنهم وتقديم الخدمات لهم فى جميع نواحى الحياة ، فكونت منهم عناصر مهمة جدا ومؤثرة وذات نفوذ واسع ، ويكفى لاثبات ذلك أن نطلع على

بعض ما كان يجرى فى قصور الملوك والامراء والمتنفذين والدور الذى كان يلعبه العبيد فيها • والدكتور العلى نفسه يشير الى اهميتهم العسكرية (ص ٦٠) التى تجعل منهم اداة فعالة لا بد أن يعنى بها السيد ويحرص عليها •

ولكن رغم هذه الملاحظات التى تتعلق غالبا بعرض الافكار أكثر مما تتعلق بالافكار ذاتها فان كتاب الدكتور صالح احمد العلى سيبقى مفخرة من مفاخر الفكر العراقى الحديث الذى نصبو الى تطويره وتنميته على الاسس التى اشاد عليها الدكتور دراسته هذه ، بل انه ليعتبر أكثر الدراسات العلمية قيمة فى هذا الموضوع ، لا فى البلاد العربية فحسب بل فى العالم اجمع ؛ وليس لنا الا أن ننصح جميع أولئك الذين يريدون أن يفهموا تأريخهم على حقيقته بقراءته ودراسته بعمق واهتمام كبيرين •

كلية الآداب والعلوم ــ بغداد **الدكتور صلاح خالص**

أزمة الفلسفة البورجوازية

تعريب وتعليق : **ابراهيم كبة**

١١١٦ صفحة ، شركة النشر والطباعة المحدودة ، بغداد ١٩٥٣

هذا كتاب جديد ، عربه الاستاذ ابراهيم كبة عن الفرنسية ، بقلم الفيلسوف العالمى الهنغارى الذائع الصيت جورج لوكاس ، أستاذ الفن والحضارة فى جامعة بودابست ، وقد عالج فيه أسباب أزمة الفلسفة البورجوازية ، وتطور هذه الازمة منذ ظهورها فى مطلع العام الرأسمالى الى العصر الحاضر ، وأعراضها فى هذا العهد الامبريالى ، والمضمون الحقيقى لشعاراتها الرئيسية ، وخصائصها المميزة ، كالفتيشية والفلسفة الوسطى ، واللقانة ، واللاعقلية على العموم •

وقد كتب المعرب زهاء التسعين تعليقا على المتن ، تحديدا للمفاهيم الرئيسية ، أو ترجمة لمفكر غير معروف للاكثرية ، وقد جاءت بعض هذه التعليقات دراسات مستقلة كاملة ، مزودة بأهم المصادر المعتمدة فى فى الموضوع • ولا شك ان هذا الكتيب الصغير هو حلقة جديدة فى سلسلة الكتب القيمة التى نشرها المعرب أخيرا فى بعض جوانب النظرية العلمية فى الاقتصاد والاجتماع والفلسفة •

المشكلات الاجتماعية فى حضارة متبدلة
للدكتور عبدالجليل الطاهر

كتاب يبحث فى أهم المشاكل الاجتماعية التى تواجه الجيل المعاصر لها ، ونأمل أن تسمح لنا الظروف بتقديم نقد واف لهذا الكتاب فى الاعداد القادمة •

مقدمة فى دراسة العراق المعاصر
للدكتور زكى صالح

بقلم : أ ٠ ك

قدم الدكتور زكى صالح كتابه هذا آملا أن تكون صفحاته (قد سدت حاجة كان لا بد من سدها فى سبيل العلم والمصلحة الانسانية ، وذلك على غرار ما تهدف اليه مؤسسة روكفلر التى يعود الفضل اليها فى اتاحة الفرصة لانجاز العمل) (١) بمنحها للمؤلف (منحة قيمة) ، كما انه رأى فى كتابه هذا مثالا (لما يجدر بكل قطر من اقطارنا العربية ان يقوم به ، تعريفا بخلاصة نشأته التاريخية ومعالمه الجغرافية ، وتمهيدا للتقدم الرصين فى دراسة شئونه المعاصرة)(٢) ٠

فهل حققت هذه المقدمة هذه الدعاوى العريضة التى توقعها المؤلف منها ، وهل أضافت حقا اية (اضافة حقيقية لمحصلة العلوم الاجتماعية والانسانية)(٣) ؟ اننى آسف ان لا أرى فى هـذا الكتاب (وموضوع النقد الآن هو الباب الاول المتعلق بنشأة الدولة العراقية فقط) الا نموذجا مبتذلا لكل الخصائص الاساسية المميزة لهـذه الايديولوجيـا الامبريالية المسمومة فى تفسير التاريخ العام عامة ، وتفسير الحركات الوطنية خاصة ، والتى يحاول بثها بين طلبتنا ومثقفينا نفر من الدكاترة والاساتذة باسم العلم والانسانية ، والعلم والانسانية من كل ذلك براء ! ويمكن تلخيص هذه الخصائص الرئيسـية فى ثلاث : الشـكلية ، والسطحية ، والتضليل ٠

شـكلية الكتـاب

أما الشكلية ٠ فتصدمك فى كتاب الدكتور منذ الصفحة الاولى من المقدمة وذلك بصدد مفهومه عن شروط الدراسة العلمية للتاريخ : فهو يعتقد بان الدراسة العلمية لموضوع العراق المعاصر ، يمكن أن (تتأتى على الوجه المطلوب)(٤) بمجرد توفر بعض الشروط الاولية الصرفة :

---

(١) ص ٧
(٢) ص ٥
(٣) ص ٥
(٤) ص ٥

كانشاء مكتبة ، وانشاء دار للمجلات ، وتسهيل السفر والاقامة داخل القطر ، واعداد مقدمة توجيهية للدراسة العالية ٠٠٠٠ ولكنه لا يخطر بباله ان كل هذه الشروط جميعا ما هى الا بمثابة اعداد (المواد الاولية) الفجة للدراسة فقط ، وان هذه المواد لا يمكن ان تتحول الى (بناء) علمى صحيح ، من دون (تكنيك) علمى سليم ، أى من دون الالمام بمبادىء النظرية العلمية فى تفسير التاريخ والمجتمع(١) ٠ والواقع ان كل الآراء السطحية والفجة والمضللة فى تفاصيل التاريخ السياسى للعراق التى أوردها المؤلف فى الكتاب والتى سنشير لامثلة منها فيما يلى ، يمكن ارجاعها الى هذا الجهل المطبق حتى ببديهيات الدراسة التاريخية العلمية ٠ ان (العلم) ليس مجرد شروط شكلية تتعلق بطريقة العرض ورصف المصادر والعناية بالتقسيمات والتصنيفات ووضع المقدمات والنتائج ، كما هو المفهوم الامبريالى للعلم ، بل المهم فى العلم هو عنصر (المضمون) أى كون الآراء المعروضة علمية ، بمعنى انها تفسر الظواهر الاجتماعية والطبيعية كما هى فى الواقع ، فى حركتها الدائبة ، وتطورها المستمر ، ومحيطها الحقيقى ٠

كذلك تصطدم بشكلية المؤلف عند دراسته لثورة العراق الوطنية عام ١٩٢٠ ، فهو يغرق فى الاهتمام بمسائل شكلية ثانوية ، ويحرص كل الحرص على مقارنة النصوص واستقراء السجلات للتثبت منها ، كمحل قتل الكولونيل ليجمان مثلا ، هل هو فى المخفر الفلانى أم فى محل آخر يبعد بضعة أميال عنه(٢) ، وهل ان المبلغ الفلانى وصل حقا للثوار أم اختلسه بعض المتزعمين(٣) ٠٠٠ ولكن المسائل الجوهرية فى دراسة الثورات الوطنية يجهلها المؤلف كل الجهل ، كطبيعة الثورة (هل هى ثورة اجتماعية تمس العلائق الاجتماعية نفسها أم مجرد ثورة سياسية بالمعنى الضيق) والبناء الاجتماعى لها (أى نوعية الطبقات القائمة بها ودور كل منها فى ذلك) واهداف الثورة (هل حققت أم لا ، وأسباب الاخفاق) وتكنيك الثورة ، والقوى الاجتماعية التى تسندها أو تعرقلها ٠٠٠ وغير ذلك من المسائل الاساسية التى يعرفها كل من ألم بالكتب السياسية فى النظرية العلمية للثورات الوطنية ٠

ولعل أوضح مثال على شكلية المؤلف هو تفسيره للوقائع التاريخية،

---

(١) تراجع هذه المبادىء فى مقدمة (نظرة سريعة فى تطور النظام الاقتصادى) لابراهيم كبة ، المطبعة العربية ، ١٩٥٣ ٠

(٢) ص ٣٩

(٣) ص ٤٤ ـ ٤٧

لا على أساس المبادئ العلمية لتفسير التاريخ ، بل على ما تقرره النصوص الرسمية والسجلات المعتمدة ، فالعراق مثلا أصبح (في مصاف الدول المستقلة) بعد عقد معاهدة ١٩٣٠ (١) لان نصوص المعاهدة تسلم له بمبدأ السيادة والاستقلال ، ولان (السفير البريطاني أصبح ممثل دولة أجنبية ليس له في الشئون الداخلية اجمالا حق التدخل) ؛ والسياسة البريطانية التي عبرت عنها معاهدة بورتسماوث (هدفت الى استمالة العراق باقتراحها الغاء معاهدة ١٩٣٠ وتسليم مطارى الحبانية والشعيبة اليه) لان وزير الخارجية البريطانية نفسه صرح بان هذه السياسة تريد أن تجعل من المعاهدة المذكورة (بداية لسلسلة جديدة من المعاهدات لتنظيم الصداقة والاعراب عنها ما بين هذا البلد – أى بريطانيا – والعالم العربى) (٢) وكفى الله المؤمنين شر القتال !!

وهكذا نجد ان الشكلية ، وهى أهم خصائص الايديولوجيا الامبريالية في كل المعارف والعلوم المعاصرة ، تنتظم الكتاب من أوله الى آخره ٠

سـطحية الكتاب

والخصيصة الثانية التى يتميز بها الكتاب هى هذه السطحية فى الافكار والآراء والتفسيرات والتعليلات للحوادث السياسية التى مرت بالعراق الحديث من نشأته حتى الآن ، وهى نتيجة طبيعيـة لرجل يجهل أو يهمل أبسط البديهيات فى مبادىء الاجتماع العلمى ، كعلاقة السياسية بالاقتصاد ، ووظيفة الدولة فى المجتمع ، والمضمون الحقيقى للقانون فى المجتمعات الطبقية ، والقوى الحقيقية المحركة للتاريخ ، وغير ذلك من الاكتشافات العلمية التاريخية التى يؤدى الجهل بها أو التغاضى عنها الى أن يخبط الانسان فى أية دراسة اجتماعية أو تاريخية خبط عشواء ، كما فعل الدكتور فعلا فى مقدمته هذه ، ولن أمر الا على بعض الامثلة النموذجية لهذه السطحية : فأول ما يصدم الانسان فى هذه المقدمة ان المؤلف يبحث عن نشوء (الدولة) العراقية ، دون الاشارة مطلقا الى أية دراسة عن (المجتمع) العـراقى ٠٠٠ والظاهر ان المؤلف يجهل ان الدولة هى (شكل) و (تكنيك) يستمد مضمونه وغرضه من طبيعة المجتمع وتكوينه الاجتماعى واسسه المادية والفكرية ٠٠٠ ولو فهم هذا المبدأ وطبقه فى دراسته للدولة العراقية ، لسهل عليه حل الكثير

(١) ص ٨٨
(٢) ص ١٢٦

من الغاز الحكم الديمقراطى فى العراق ، وطبيعة التشريع وتعديلاته المختلفة ، ولما تورط فى تفسيراته وتعليلاته المضللة التى سأشير الى طرف منها فى آخر هذا التعليق .

وثانى ما يصدمك فى هذه المقدمة ، هو أن المؤلف يجهل أنه يعيش فى عصر تاريخى معين هو عصر (الامبريالية)(١) ، وان هذا النظام الامبريالى يجتاز الآن ازمته العامة الاخيرة منذ اوائل هذا القرن ، وان كل التاريخ الاجتماعى والسياسى والفكرى للقرن العشرين ، لا يمكن أن يفسر ابدا الا على ضوء ادراك هذا الكفاح العالمى المستعر بين نظام الامبريالية كمجموع ، وبين القوى الاجتماعية التاريخية الثلاث التى تتعاون اليوم كأحسن ما يكون التعاون ، فى الاجهاز عليه من كل حدب وصوب لتسلم به الى نهايته المحتومة : أعنى ، قوة الاشتراكية العالمية ، وقوة الحركات الوطنية فى المستعمرات واشباهها ، وقوى الطبقات المنتجة فى كل انحاء المعمورة . ان الشخص الذى يجهل هذه البديهيات لا يستطيع أن يفهم التاريخ ولو كان يحمل شهادات الارض جميعا !

وثالث ما يصدمك فى هذه المقدمة هو جهل المؤلف لطبيعة الحركة الوطنية فى العراق ، انه يجهل ان الحركات الوطنية تنمو وتنجح بمقدار اشتراك الجماهير فيها ، وان الرجعية (الوطنية!) هى عدوة الحركة الوطنية وليست طليعتها كما يعتقد المؤلف ، وان النزاع الحقيقى هو ليس بين الفئات الحاكمة التى اعتادت التناوب على الحكم وبين الانكليز ، كما يتوهم ويوهم المؤلف ذلك ، بل هو بين العدوين اللدودين : الاستعمار والرجعية من جهة ، والشعب الكادح المناضل من جهة أخرى ، وان الحركات الوطنية لا تنتصر بسياسة المهادنة والاعتدال والامر الواقع وحكمة القادة وطريقة اسدال الستار واتباع الفلسفة الوسطى ... بل ان وسيلتها الوحيدة هى الكفاح الذى لا يلين ، والنضال الذى لا ينى فى جميع الميادين .

هذه النماذج التى اخذتها من سطحية المؤلف وجهله بابسط المبادىء العلمية فى تفسير التاريخ ،هى التى أوقعته فى آراء وتفسيرات لا يمكن وصفها ، لاشد الاسف ، الا بانها نموذج للتضليل الذى لم يعد لحسن الحظ يفوت على شبابنا المثقف الواعى بالمرة .

تضليل المؤلف

ومن هذه الآراء المضللة اطراؤه فى كل حنايا الكتاب لسياسة المهادنة

---

(١) راجع عن هذا المفهوم (المفاهيم الاساسية للاقتصاد العلمى) لابراهيم كبة ، المطبعة العربية ١٩٥٣ .

والمساومة مع المستعمر ، كموقفه من الخلاف الذى دار بين وزارة ناجى السويدى وبين دار الاعتماد البريطانية(١) ، ورأيه فى وضع العراق بعد عقد معاهدة ١٩٣٠ [انه لوضع كان يدعو فى مطلعه صراحة الى التفاؤل لما كان يؤمل من الملك فيصل من تدبر الوضع الجديد بالحكمة المعروفة فيه] (٢) ، ورأيه فى أغراض السياسة البريطانية من عقد معاهدة بورتسماوث استنادا لاقوال وزير الخارجية البريطانية (٣) !

ومن هذه الآراء أيضا آراؤه المناهضة للديمقراطية ، وتبريرها بالحجج المعهودة من خصومها التقليديين : فهو ينسب تدخل الجيش فى السياسة لاعتزاز الجيش بنفسه(٤) . وهو يعرض حجج التعديل الدستورى الرجعى لسنة ١٩٤٣ (بالحاجة الواقعية الى درء أخطار الانقلابات الحكومية المتكررة)(٥) ، وهو يثنى على سياسة تدخل رئيس الدولة الاعلى فى شئون الدولة مع علمه ان ذاته العليا مصونة ، وغير مسئولة(٦)، وهو يحمل على وطنية الطلاب ووعيهم النامى بالشكل المبتذل المألوف [فاذا ما استسيغ منهم هذا الحماس فى مسألة فلسطين ، فان تدخلهم فى السياسة على النحو الذى بدا منذ معاهدة بورتسماوث لم يكن بالمستساغ](٧) ، وهو يطرى امتهان حرية الفكر ، بل اعدام حياة المواطنين بالحجج الرجعية الشائعة (٨) وهو يعتبر حق التظاهر وممارسة الاحزاب الوطنية له (فى مقدمة الاساليب الشاذة)(٩) ... الخ .... الخ

على انه بلغ القمة فى الابتذال عندما عالج الحوادث السياسية الاخيرة ، فلم يتردد فى أن يزف لوزارة المدفعى الاخيرة ، وهى (أكبر وزارة رجعية عرفها تاريخ العراق السياسى) ، كما أجمعت الاحزاب الوطنية على ذلك ، أجمل عبارات الثناء والاعجاب ، لانها [... وهى تضم من قدماء رجال الدولة الى جانب رئيسها كلا من على جودة الايوبى ونورى السعيد ، ظهرت مجدة فى أن تجعل الوضع العام أصلح حالا وادعى للطمأنينة من ذى قبل ، وذلك اجمالا على غرار المنهج الذى أعلنه نورالدين محمود ...] !!

وهكذا فليكتب التاريخ ، وهكذا فلتخدم الحقيقة والانسانية والعلوم ... تماما على غرار ما تستهدفه مؤسسة روكفلر من منح (المنح القيمة) لفريق من الدكاترة والاساتذة الجامعيين !

---

(١) ص ٨٠ – ٨٢ (٢) ص ٨٨ (٣) ص ١٢٦
(٤) ص ٩٤ (٥) ص ١٩٩ (٦) ص ٨١ و ١٠٨
(٧) ص ١٢٩ (٨) ص ١٢٩ (٩) ص ١٣١

أناهيـــد

٩٠ صفحة ـ مطبعة الجامعة ـ لعبدالله نيازى

قصة طويلة تدور حوادثها حول حب فاشل · أحب بطل القصة ـ نهاد ـ ابنة عمته أناهيد ـ ولم يعلن حبه ، وان كان مفهوما بين افراد أسرتها أنه خطيبها غير الرسمى · ثم اذا بأناهيد تزف الى رجل غريب طمعا فى ماله ومركزه · والقصة عبارة عن تصوير سريع للفترة الاليمة التى قاساها نهاد بعد حدوث هذه الكارثة ·

ان ما آخذه على المؤلف تسرعه فى طبع كتبه · فلـو تأنى فى نشرها ، وأعاد النظر فيها لاستطاع أن يقدم لنا أشياء أفضل مما قدمها حتى الآن · وأنا آسف اذ أقول أنه أخفق فى هذه القصة كليا · فهى حكاية سطحية مشوشة الحوادث متناقضة العبارات ، لحادثـة كثـيرة التكرر والوقوع · وقد اخفق فى تناولها من زاوية تسـمو بهـا فوق الامور الاعتيادية الشخصية ، وتجعلها حادثة انسانية عامة يشارك فيها كل انسان · والفكرة التى تلح على قارىء القصة طول الوقت ، ان المؤلف يروى له حادثة شخصية بحتة لا تهمه ، بل وبصورة مضطربة ، وعبثايحاول أن يضفى عليها شيئا من عنصر الخيال الادبى · وكان المفروض أن يفلح الكاتب فى تصوير حالة نهاد المعذبة على الاقل حينما واجه ذلك الاخفاق العاطفى ، الا انه لم يقدم لنا من صور له ســوى اندفاعه فى احتساء الخمر ـ وهو علاج قديم ـ وسوى أنه كثير التمنى لاصابة زوج ناهدة بكارثة ، ثم سوى أنه كثير البكاء والنحيب !

والقصة لا تفلح فى تقديم أية شخصية من شخصياتها فى اطار واضح متميز · حتى البطل الرئيسى الذى تدور حوادث القصة وتتركز حوله يبدو للقارىء مطموس الملامح باهت السمات · أما أناهيد فلن يستطيع القارىء أن يتمثل لها أية صورة ! ولست ادرى ما الذى كان يحمل المؤلف على الاسراع فى رواية الحوادث ، دون أن يقف عندها محللا ومتأملا ، وكأنه يود الفراغ من عمل مضايق بأسرع وقت ممكن ! أما خاتمتها فهى متكلفة الى أبعد حدود التكلف · ولم يكن الكاتب بحاجة الى انجاب ولد يقع فى حب بنت أناهيد لتنتهى القصة ، وان كان قد أوقع نفسه فى مأزق كنت أعجب كيف سيفلت منه ! **(شين)**

الاشتراكية من طوبائية الى علمية

تأليف : فردريك انغلزو ترجمة : داود الصائغ

بالنظر لضيق نطاق هذا العدد فقد اجلنا تعليقنا على هذا الكتاب القيم الى العدد القادم ·

مطالعات

دع القلق وابدأ بالحياة

بقلم : جاسم محمد الرجب

كانت ميزة ديل كارنيجى مؤلف هذا الكتاب اجادة الخطابة أو اجادة فن الالقاء · فاشتغل مدرسا لهذا الفن فى مدارس جمعية الشباب المسيحيين · وقد أثار اهتمامه القلق المستولى على أكثر الناس فحاول أن يجد كتابا يريح طلابه خاصة والناس عامة من هذا القلق · فرجع الى الكتب التى تعرضت لهذا الموضوع فلم يجدها وافية شافية ، فألف كتابه هذا · وقد أثار دهشتى كثرة اقبال القراء عليه وكثرة انتشاره · وقد بيع من ترجمته العربية فى العراق ما يقرب من خمسة آلاف نسخة خلال سنة واحدة · وقال عنه أحد الاطباء المصريين : أخلق بهذا الكتاب أن يصرف بتذاكر طبية وأن يباع فى الصيدليات ؛ فما عرفت كتابا مثله يصف للقلق علاجا ناجعا ··· »

كل هذا ـ وان لم أكن فى قلق ـ أثار اهتمامى ورغبتى بمطالعة هذا الكتاب لاقف على مصدر أقبال القراء الشديد · فأنا أدرى أن القلق ينتشر وان مزيله شىء ثمين ، فلعله قد نجح فى ازالته فكان هذا الاقبال ·

تصفحت الكتاب فوجدته ممتع الاسلوب يغرى القارىء بمتابعته· فهو يكثر من الاستشهاد بأقوال حكماء وفلاسفة وشعراء ، ويكثر من قص أحاديث لاشخاص ـ يسميهم ـ عن كيف وقعوا فى القلق ثم نجوا منه ، يقصها برهانا على ما يقرر من قواعد وأصول ·

ووجدته فى الفصل الاول ـ عش فى حدود يومك ـ غير موفق فى الافصاح عما يرمى اليه · فهو يدعو الى نسيان الماضى واهمال الغد وان نسير على فكرة أبى العتاهية فى قوله : ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها · فاذا استعرض أمثلته للبرهان على نجاح معتنق هذه القاعدة رأيته يقصد أوسع من قاعدته · ونستطيع تحديد قصده من اقتباسه ص ٣١ : (وقد نصح

الدكتور أوسلر لطلبة جامعة بيل أن يبدأ يومهم بالدعاء الذى كان يتلوه السيد المسيح « خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . » وذكرهم أن هذا الدعاء كان من اجل خبزهم « اليوم » وحسب . فلا هو يحتج على الخبز الذى كان بالامس ولا هو يقول مثلا « يا الهى قد عم الجفاف ونخشى أن لا نحصل على خبزنا فى الخريف القادم » .

فاذا استشهد بقول المسيح : فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه يكفى « اليوم شره . » وعلق عليه أتضح أن لا يريد اهمال الغد اهمالا تاما ولا الانصراف اليه انصرافا تاما . ولكنى ـ مع هذا كله ـ خرجت من الفصل وانا الى اهمال الغد أميل ، وهو تضليل وتغرير اذ لا بد من الاهتمام بالحاضر والمستقبل .

ورأيته مثاليا ممعنا فى مثاليته فى سائر الكتاب . ولعل الفصل الثانى عشر (حياتك من صنع أفكارك) والفصل الثالث عشر [الثمن الباهظ للقصاص] أوضح ما نستطيع أن نقنع به القارىء . فالمؤلف يعتقد أننا نستطيع أن نكون سعداء بالايحاء الى أنفسنا وباعتناقنا افكارا سعيدة . ولنستمع اليه فى ص ١٧٨ : « ان مشكلتنا الكبرى التى تواجهنا جميعا هى كيف نختار الافكار الصائبة السديدة. فاذا حللنا هذه المشكلة حلت سائر مشكلاتنا احداها فى أثر الاخرى . وقد لخص ماركوس اوريليوس هذه المشكلة حين قال : ان حياتنا من صنع افكارنا . أجل فاذا نحن راودتنا أفكار سعيدة كنا سعداء واذا تملكتنا أفكار شقية أصبحنا اشقياء . » . والواقع أن الافكار « السعيدة » تكون عند الفرد الكائن فى وضع سعيد ، فهى نتيجة لا سبب وكيف تراود العامل المنهك بساعات عمله وبضآلة أجوره التى لا تسد ضرورات عيشه ، كيف تراوده « افكار سعيدة » ليكون سعيدا قبل أن تتبدل هذه الظروف المحيطة به ؟ واستشهد بأقوال آخرين منهم الشاعر ملتن فى قوله : « فى وسع العقل أن يخلق ـ وهو فى مكان مقيم ـ جحيما من الجنة أو نعيما من الجحيم » .

ثم عقب عليه : فالسعادة تأتى من داخل النفس وليس للمؤثرات الخارجية دخل فى اجتلابها . »

لقد كانت هذه عقيدة الرواقيين فى السعادة وقالوا بمثل هذا القول تماما (١) . واعتنقها النازيون فى المانيا وقالوا للعمال ولغيرهم :

(١) قالوا : « ليست الاشياء والحوادث هى التى تبعث فينا الاضطراب بل ان الباعث للاضطراب انما هو الآراء التى عندنا عن الاشياء » .

انهم أسمى من التفكير بالماديات ، وليست هى الموجدة للسعادة بل السمو فى التفكير والطموح ، المعنويات ، الروحيات · ليخدعوا العمال وغيرهم ويحرفوهم عن طريق نضالهم الصحيح · والفلسفة المادية ، فلسفة العلم والواقع تنادى وتدلل بأن راحة الانسان النفسية والعقلية وسموه فى معنوياته انما هى نتيجة لما يملك من ماديات يملك التصرف فيها ·

والفصل الثالث عشر انما هو شرح لقاعدة المسيح : أحبوا أعداءكم لماذا ؟ لئلا يهلكنا القلق !!

لقد دعا المسيح الى هذه الاخلاق لانه ظهر فى عهد استعمار الرومان لقومه اليهود فى فلسطين ، ورأى ما يلاقيه قومه من اضطهاد وتنكيل لانهم يقاومون المستعمر بعناد ليجلو عن البلاد ، فجاء المسيح ينادى فيهم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعينكم ، اذا ضربك أحد على خدك الايمن فأعطه خدك الايسر · واذا طلب سترتك فأعطه ثوبك واذا سخرك ميلا فامش معه ميلين ··· الخ ، ليخفت فيهم روح المقاومة ويبث فيهم روح الخضوع والخنوع ،لسبب لا أعرفه · وجاء مؤلف هذا الكتاب ـ كارنيجى يدعونا ـ كسيده المسيح ـ الى حب أعدائنا ، وأن لا نصرف شيء ثامن الوقت فى الانتقام من قاتلينا ومفقرينا وشاربى دمائنا ، بل أن نغفر لهم ، وأن ندعو الله ليباركهم !! لئلا نقلق فنضنى ! · وما أحلى الحكمة التى ختم بها الفصل : « وافعل مثلما يفعل الجنرال آيزنهاور : لا تضيع لحظة واحدة فى التفكير فى أولئك الذين تبغضهم · » ·

وجدت مؤلف الكتاب مثاليا روحيا بعيدا عن العلم والواقع · يؤمن بالغيبيات وبمفعول التنويم المغناطيسى الى حد بعيد ، ويؤمن بالكرامات ايمان العجائز ، حتى لا يكاد يختلف فى هذا كله عن اتباع المسيحية فى عهودها الاولى · وكثيرا ما يجعل وصفات علاجه لازالة القلق من هذا النوع الروحى الخرافى ·

وعدت أسائل نفسى عن كثرة الذين اشتروا هذا الكتاب · والواقع أن اكثر قرائنا يقرأون ولا يدرون ، اذ لم يوجهوا فى ثقافتهم ولم تتبين لهم معالم الحق من الباطل ليدركوا أضاليل أكثر الكتاب فى يسر فيشنعوا عليها ليحذروا ويحذروا منها ·

في ربوع الفكر

العـــراق

ظاهرة غير محمودة : ظهر في العراق قبل شهور كتيبان ، الاول للاستاذ جعفر الخليلي بعنوان « تسواهن » ، والثاني للاستاذ عبدالمجيد لطفي بعنوان « عفيفة » ·

ان مؤلف الكتاب الاول ـ الاستاذ الخليلي ـ هو من الرعيل الاول بين الكتاب العراقيين الذين صمدوا ببطولة تجاه قسوة الحياة على الادباء ، ولبث قرابة العشرين عاما يصدر الكتب القصصية ويحرر مجلته « الهاتف » الغراء · وكم أخذ بيد أدباء ناشئين وفتح لهم صدر « الهاتف » الحنون فتسلقوا سلالم المجد الادبي · لذلك أثار ألمنا وأسفنا كتابه الاخير المشار اليه · فهو كتاب يصور انطباعات مؤلفه عن احدى الراقصات المسماة (بدرية هلال) · وهي انطباعات شخصية بحتة لا صلة لها بالادب ·

أما الاستاذ عبدالمجيد لطفي فهو أشـهر من أن يعرف للقراء · فهو يكتب بمثابرة وعزيمة بطولية تدعو الى الاعجاب · وقد مضى عليه أكثر من عشرين عاما وهو يملأ الصحف العراقية بنتاج قلمه بين شعر ونثر وقصص ومقالات · وما يزال يكتب بنفس الحماسة والنشاط والعزيمة ! وانه ليكتب في الغالب أدبا جماهيريا ، وان كان في حاجة الى الروح الفنية · وقد كان قلمه دائما عونا للحق وحربا على الباطل ، لذلك فوجئنا مفاجأة سيئة بظهور كتابه « عفيفة » وهو كتاب يصور عواطفه نحو المنولوجست عفيفة اسكندر ، ويزجي لها فيه تحيـات اعجابه ووده !

ان هذين الكتابين الرديئين لكاتبين لهما مكانتهمـا المحترمة

ليمثلان انحرافا سيئا فى عالم الادب ، ويعطيان أمثلة مخجلة للقراء المعجبين بشخصية الكاتبين · فالمفروض أن يكون كاتب من هذا الطراز مسؤولا عن توجيه قرائه ، وانه ليجنى على تفكيرهم وأذواقهم جناية لا تغتفر اذا حاد بهم عن الطريق القويم · نحن لا نعترض على تناول الادب لجميع أفراد البشر على قدم المساواة ، بل اننا ندعو الى هـذا الرأى بقوة ، وهو واجب على كل أديب ، ولكن ما هكذا يكتب الادب الانسانى · ثمة قصة خالدة كتبها القصصى الفرنسى جى دى موبسان عنوانها « بول دى سويف » · تدور حوادثها حـول حيـاة امرأة مبتذلة · ولكنها ما تزال تعتبر من أخلد الآثار العالمية · أما هـذان الكتابان التافهان فهما عبارة عن لمحات عن شخصيتين عاديتين · انهما أقرب الى الـ Biography ، ولا تؤلف هذه الكتب عادة الا عن شخصية أثرا ما فى الحيـاة · وكذلك لم يوفق الكاتبـان الى ابراز النواحى الانسانية فى هاتين الشخصيتين ، الى ايضـاح الظروف القاسية التى أحاطت وتحيط بهما ، الى رفعهما الى المرتبة الانسانية الحقيقية التى ترد لهم اعتبارهما كأى انسان اعتيادى · وأخيرا فليس هذان الكتابان سوى رغبة ملهوفة لاسداء الاعجاب الشخصى لامرأتين عاديتين ، وتقديم الاطراء لهما ، وهما ولا شك قد أسـاءا كثيرا الى كاتبيهما ·

(شـين)

معرض السيراميك : أقام الاستاذ رمو معرضا للسيراميك فى قاعة معهد الفنون الجميلة · وقد ضم المعرض نماذج مختلفـة من الفخاريات · ومن الجـدير بالذكر ان الاسـتاذ رمو قد درس فن الفخاريات فى باريس · لذلك جاءت أعماله متأثرة بفنون الفخاريات الاوربية · ومن الملاحظ أنه لم يحاول الاستفادة من فنون الفخاريات الاسلامية ، وبهذه المناسبة فقد علمنا ان النية متجهة الى فتـح فرع للفخاريات يلحق بمعهد الفنون الجميلة ·

معرض جواد سليم : أقام الاستاذ جواد سليم معرضا شخصيا فى دار المهندس مدحت على مظلوم ، عرض فيـه صورا ومنحوتات مختلفة · وقد نحا فى النحت والرسم الناحية التجريدية · وكانت أروع منحوتاته (أم وطفلها) وأروع صوره (الاطفال يلعبون) · ومن الملاحظ أن تأثير الرسام الاسلامى (يحيى بن محمود الواسطى) مصور « مقامات الحريرى » أخذ يظهر فى أحدث أعماله ·

معرض شاكر حسن : أقام الاستاذ شاكر حسن معرضا شخصيا في قاعة معهد الفنون الجميلة ، اشتمل على أكثر من مائة صورة ، تمثل تطوره الفنى منذ اتجه الى الرسم الحديث · ويمثل هذا المعرض نزعات شتى فى فنه تسود جلها النزعة التجريدية · كذلك يظهر فى بعض اللوحات تأثره بالفن العراقى القديم (الفن الآشورى) والفن الاسلامى ·

بادرة مستنكرة : لوحظ أن بعض المجلات الثقافية والادبية قد منعت من الصدور بحجة خروجها عن الحدود النظامية الى الموضوعات التى تمس السياسة · ولا نريد أن نناقش هذه الحجة ، فلسنا ممن يعتقد أن هناك حائطا سميكا يفصل بين المواضيع السياسية والثقافية ، فها نحن نرى بأعيننا الثقافة تسخر للاغراض السياسية وتصبح وسيلة من الوسائل التى يستعملها الاستعمار وتستخدمها الرجعية لتحقيق أغراضهما وأهدافهما ، ولكننا نعتقد أن حرية التعبير للمواطنين وحدة لا تتجزأ وانها ليست مقصورة على نوع خاص من المواضيع دون الاخرى ، وان من حق المواطن أن يبدى رأيه فى المشاكل التى تهمه وان من واجب الدولة الديمقراطية فسح المجال له على مصراعيه · أما اطلاق العنان للصحافة المأجورة ، صحافة الدس والخلاعة والتفريق ، وكم أفواه المجلات والصحف الفكرية بحجة أنها تجاوزت الحدود المخصصة لها فأمر لا يقبله المنطق السليم ولا تقره لا حقوق الانسان ولا الدساتير الديمقراطية التى نريد أن يكون دستورنا حقا أحدها ·

مصر

جائزة الدولة فى الآداب : منحت أخيرا جائزة الدولة فى الآداب التى كان يطلق عليها من قبل جوائز الملك فؤاد ، لعام ١٩٥٣ مناصفة بين الاستاذ أحمد حسن الزيات والاستاذ محمد عبدالحليم عبدالله · والمفروض أن تمنح هذه الجائزة الادبية لاحد الكتاب الكبار الذى يقدم آثارا جليلة للفكر العربى · وقد منحت هذه الجائزة حتى الآن للدكتور طه حسين ولاحمد أمين ولعباس محمود العقاد ولمحمود تيمور ولتوفيق الحكيم ولمحمد فريد أبو حديد ولعزيز أباظة · والمعروف ان الاستاذ محمد عبدالحليم عبدالله ما يزال فى مقتبل العمر ، فهو لم يتجاوز الاربعين بعد ، وبما أنه لم يقدم أكثر من خمسة مؤلفات ، فقد ورد فى سبب منحه الجائزة كونه ممثلا لادباء الشباب ، أو بعبارة أصح ، باعتباره أجدر أدباء الشباب ! والواقع أن اللجنة قد سفت بهذا القرار اسفافا شنيعا وهى تقدم البراهين يوما بعد آخر على انها ليست

سوى آلة تسيرها الرغبات الشخصية ، وأنها أبعد ما تكون عن الحق والعدل والتمييز العلمى • وهى ، بعبارة مختصرة لجنة فاسدة ، كانت كذلك فى عهد حكومة فاروق ، وما تزال كذلك فى عهد حكومة الضباط ويذكر كاتب هذه السطور أنه كان بصحبة الاستاذ محمود تيمور لدى تسلمه لهذه الجائزة ، فأخذا يتحدثان عنه • ومما قاله محمود تيمور أن الجائزة ستمنح فى العام المقبل لعزيز أباظة • فعجب كيف يمكن أن يحدد من الآن الفائز ، والمفروض أن الجائزة قيد المسابقة ، ولما تبدأ السنة بعد ! ومن الدلائل على تأثر لجنة هذه الجائزة بالاهواء والمجاملات الشخصية ، أن جائزة سنة (٤٩ ـ ١٩٥٠) لم تمنح لاحد ، لان المقرر منحها اما لمحمود تيمور أو توفيق الحكيم ، فخشيت اللجنة أن يزعل أحدهما ، وأجلت منحها الى سنة (٥٠ ـ ١٩٥١) فمنحت جائزتين واحدة لتيمور والاخرى للحكيم !

لقد أضافت هذه اللجنة ـ باختيار الاستاذ محمد عبدالحليم عبدالله ممثلا لادباء الشباب ـ فضيحة أخرى الى قائمة فضائحها • فقد تناست أديبا كبيرا هو نجيب محفوظ ـ وهو فى حوالى الاربعين عاما أيضا ـ وتغافلت عن قيمة انتاجه الادبى • لقد دخل نجيب محفوظ ميدان الكتابة منذ حوالى خمسة عشر عاما ، وألف ما يقارب العشرة روايات وكتب ما يزيد على مائة أقصوصة ، حظيت أغلبها بقراء ونقاد الادب المثقفين ، فكيف سمحت لنفسها أن تتغافل عن مؤلف « زقاق المدق » و « السراب » و « الغروب » و « شجرة اللبلاب » و « الوشاح الابيض » و « شمس الخريف » ؟! ان كل روايات محمد عبدالحليم عبدالله ذات مواضيع متشابهة وعلاج سطحى وأفكار ضحلة ، ولا تتجاوز عقدتها عن شاب يقع فى الحب ، وينتهى حبه بالفشل ! وانه لكاتب رومانتيكى من ذلك الطراز الذى ظهر فى الادب الغربى فى أوائل القرن العشرين ، ولم يعد يلائم العصر الحاضر • ولا تجد فى أدبه سوى الكلمات المرصوصة المنمقة ، أما الاشخاص التى تتدفق فيهم الحياة ، أما التحليل العميق لمشاكل الحياة الحاضرة المعقدة ، أما التسجيل الدقيق لحياة الجماهير ، فلا ترى له أثرا فى أدبه • وقد قيل أن محمد عبدالحليم أديب محفوظ • فهو ينتج « لقيطة » لينال عليها جائزة فاروق الاول للقصة • ثم تشترى منه حقوق طبعها دار الكاتب المصرى • ثم تشترى منه حقوق طبعها لجنة النشر للجامعيين• ثم تشترى منه حقوق تمثيلها احدى الشركات السينمائية ، وهكذا شأن معظم كتبه الاخرى • بينما يبحث أدباء الشباب الموهوبون عن

ناشر ينشر مؤلفاتهم المكدسة عبثا ! ان محمد عبدالحليم عبدالله وأمثاله من الكتاب ، كيوسف السباعي وأحمد الصاوى محمد وغيرهم ، لدليل مؤلم على انحطاط مستوى القارىء العربى ، الذى يدير ظهره لكتب الكتاب الحقيقيين ويقبل على لغو الكتاب النافهين .

اننى فى الوقت الذى أسجل فيه هذه الحقائق أبعث بتحية تقدير الى الاستاذ نجيب محفوظ ، وأنا أعلم أنه أدرى منى بهذه الحقائق المؤلمة التى لن تقف فى طريقه أبدا ، ولن تثبط همته . انه يعمل بصمت دائما . وانه ليعزف بشكل يثير الاعجاب عن الدعاية الفارغة . لذلك لم يلق التقدير اللائق به الا لدى جمهرة المثقفين الحقيقيين . انه فنان أصيل بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . وهو لا يكتب ليكسب شهرة جوفاء أو مالا زائلا . وهو لا شك من الادباء القلائل ، بل النادرين ، الذين نستطيع أن نرفع بهم رؤوسنا فى عالم الادب العالمى .

(شين)

بريطانيا

الكتب : ظهرت أخيرا رواية نفسية ممتعة للروائى رودنى جارلاند بعنوان « قلب فى المنفى » . وهى رواية بوليسية الا أنها تمتاز بتحليل قوى للانحراف النفسى . وهى تدور حول طبيب شاب من لندن يحاول بحكم مهنته اكتشاف سبب موت صديق له ، وأثناء بحثه يتوغل فى أعماق النفس الانسانية منيرا ظلماتها الداكنة .

وأخرج الروائى كريتوفر سكايس مؤلف رواية « أربع دراسات فى الاخلاص » رواية رائعة بعنوان « أغنية قميص » تدور حول أعمال الحرب مصورا بدقة عظيمة ما تعود به الحياة العسكرية على الرجل من خير أو شر .

وظهر لاحد أقطاب كتاب الجيل القديم ، وهو الكاتب دافيد جارينت الجزء الاول من سيرة حياته بعنوان « الصدى الذهبى » (١٨٨٢ - ١٩١٤) ، وقد اشتمل على صور لكتاب عرفهم فى صباه . ويبدو أن هذا الكتاب سيكون أول جزء لاول كتاب كبير يخرجه ، فالمستر جارنيت لم يخرج حتى الآن عملا ضخما .

المسرح : لقد عادت فرقة أوليفيه الى مسرح لندن بمسرحية جديدة كتبت خصيصا لها بقلم تيرنس راتيجان بعنوان « الامير النائم » وهى عبارة عن أسطورة يدور موضوعها عن أميركى حاذق يفلح فى ادخال السرور والمرح على حياة ملك كارباتيا خلال زيارته للندن عام

١٩١١ ويشبه النقاد هذه المسرحية واخراجها بألذ طبخة من طبخات الشيكولاتة الحليبية ٠

لقد استطاع نيجل هنتر مؤلف « مياه القمر » أن يقوى سمعته كـ « تشيخوف الانجليزى » بمسرحيته الجديدة « يوم على البحر » ، التى اشترك فى تقديمها طائفة ممتازة من الممثلين على رأسهم جون جيلجه ولويس كاسون وسيبيل ثورندايك وايرين وورث ورالف ريتشاردسون ، أما الموضوع الغالب على المسرحية فهو مشاعر الحيبة والحنين الى الوطن ، يتخللها حوار ساحر ٠

الافلام : لقد فاز هذا الشهر فلم « قمة ايفرست » على جميع أفلام هوليود وغيرها ٠ وليس فلم « قهر قمة ايفرست » قصة حقيقية عظيمة فقط ، بل انه فلم جميل للغاية ٠ ولقد أضاف اليه المصور ستوبارت بمقدرته الفائقة فى تصوير الجبال تصويرا رائعا صفة سحرية تغرى كل انسان ٠ ولا شك انه فلم ناجح مائة بالمائة ٠

الموسيقى : لقد قاد السير توماس بينشوم أول اخراج لقصيدة ريشارد ارنيل الغنائية « لورد بايرون » فى قاعة المسرح الملكى بلندن يوم ٢٥ نوفمبر ٠ ولقد هاجم النقاد هذا العمل بشدة ، ومما قالوه عنه « انها لنغمات متدفقة ولكنها ليست ذات لون موسيقى خاص ، كما انها ذات اشارات ضخمة ومواضيع تافهة ، وان اشتملت على لحظات بديعة تصلح كموسيقى للافلام ٠ انها لعمل فاشل كريه لمؤلف موسيقى شاب قدير !

وأكمل ميشال تيبت أوبراه الكوميدية المعنونة بـ « زواج منتصف الصيف » ٠ ولقد اقتبس منها بعض الاجزاء فى الحفلة التى أقامتها (Royal Philharmouic Society) ، وهى عبارة عن رقصات دينية ، وقد دل ذلك على أن تبيت يحمل الاوركسترا متطلبات هائلة ، كانت موسيقى صعبة بنغمات ماهرة صالحة لان تدرج لوحدها فى برنامج موسيقى بدون مساندة عن حركات البالية التى تروى قصتها ٠

ولا تزال كوفنت جاردن تطمح فى شىء كبير من عدم النجاح ، الى أن تبلغ المستوى الذى يجب أن تبلغه الاوبرا الوطنية ٠ وقد قدمت منذ بداية الفصل حتى الآن أعمالا تعوزها القوة والابداع ٠

ديلان توماس : ان وفاة الشاعر الانجليزى ديلان توماس فى الولايات المتحدة ، بينما كان فى رحلة لالقاء بعض المحاضرات ، لضربة مؤلمة للشعر الانجليزى ٠ فقد عرف عنه انه من أبرز الشعراء المعاصرين

الذين يجمعون فى شعرهم غير قليل من المميزات التى اتصف بها شعر بايرون • وقد امتاز بتذوقه العظيم للحياة وتعبيره عن هذا التذوق فى شعره • ولقد خلف وراءه ثمانية كتب ، ولعل أفضل مجموعاته الشعرية هى تلك المسماة بـ (الموتى والمداخل) التى نشرها عام ١٩٤٦ •

هنغاريا

لعل أبرز الاسماء الادبية فى هنغاريا فى الوقت الحاضر اسما الشاعر الروائى توماس اكزيل ، والقصاص ساندور نانمى اللذان حصلا على جائزة ستالين فى الادب عام ١٩٥٢ وقد حصل الاول على هذه الجائزة لروايته التى أطلق على الجزء الاول منها اسم « ظل الحرية » وعلى القسم الثانى اسم « الشمس تشرق بعد العاصفة » ، أما الكاتب الثانى فقد نال الجائزة على قصته المسماة « التوفيق » التى انتخبت شخصياتها من الريف الهنغارى •

الولايات المتحدة

مباراة متحف الفن الحديث : أعلن متحف الفن الحديث فى نيويورك عن مسابقتين ، الاولى للرسامين تحت سن الخامسة والثلاثين مع اقامة معرض لصورهم والسماح بشرائها ، وذلك أثناء عطلة عيد الميلاد ، والثانية لتصميمات معدات ملاعب الاطفال لتعرض فى المتحف وتقوم بصنعها شركة الالعاب الجديدة المتحدة ، وسينتخب منها حوالى مائة عمل ويعرض للبيع • وسيكون المحكمون فى المسابقة الثانية بعض الاساتذة منهم فرانك كابلان • وستختار هيئة من موظفى متحف الفن الحديث التصميمات الرابحة ، لتصنع منها مسليات الاطفال • وستمنح جوائز مجموعها ألفا دولار • وقد اشترط أن تنحو هذه التصميمات الى التأكيد على اتجاهات الاطفال التخيلية حول الجبال والكهوف والطائرات والبواخر والحيوانات ، وأن تكون صالحة لاقامتها فى المنتزهات والمدارس والساحات الخاصة •

فتح قاعة فى مركز نيويورك : ان مركز نيويورك الشهير بالمسرح والاوبرا والباليه قد فتح أبوابه بصورة أوسع للفنون ببناء قاعة لاستخدامها معرضا للرسم الاميركى المعاصر • وقد طلب أربعة آلاف فنان أن تتألف ثلاث لجان للتحكيم لاختيار الصور للمعارض الثلاثة التى ينتوى المركز اقامتها ، لكى لا يسود فى المعارض ذوق طائفة معينة • وقد تألفت هيئة التحكيم للمعرض الاول الذى أقيم فى

٢٩ سبتمبر من لويس بوشيه وسيدنى لوفمان وهنرى فارنوم بور. أما محكمو المعرض الثانى فهم روبرز موذويل وهانز هوفمان وفاكلاف فيتلاسيل . وكذلك سيكون محكمى المعرض الثالث يوجينى سبيشيرو ورجينالد مارش وأدوين ديكنون . وهكذا فستقوم هذه القاعة الجديدة التى تجتذب فى كل معرض حوالى ثلاثة آلاف مشاهد بتقديم كثير من الرسامين المبتدئين فى نيويورك الى عالم الرسم الحديث .

مصلحة الاستشارة المسرحية : أنشأ فى جامعة ميسوتا فرعا جديدا للدراما كجزء من قسم « الحفلات الموسيقية والمحاضرات » وسيشرف على مراكز تقديم المسرحيات فى أربع مدارس عالية فى أقسام مختلفة من الولاية ، وكذلك سيقدم النصائح والارشادات للجماعات والافراد الذين يتولون هذه الاعمال . وسيخصص هذا القسم الذى يدير مسرح الجامعة فى نفس الوقت فرقة تمثيلية جوالة، ومكتبة للروايات والكتب المسرحية ، كما سينشر أنباء وتاريخ مسارح الولاية .

ممثلون من جامعة دنيسون فى اسكتلندا : قدم سبعة من الممثلين التابعين لمسرح جامعة دنيسون ، جراندفيل ، أوهايو ، قائمة من المسرحيات الاميركية ذوات الفصل الواحد فى مهرجان أدنبرة لهذا العام فى اسكتلندا . وقد تجولوا فى ست مدن اسكتلندية وعشر مدن انجليزية تحت رعاية « جمعية جماعة المسرح الاسكتلندى » و « جمعية المسرح الانجليزى الدرامى والفنون المتحدة » .

المسرح والفنون المتحدة : ظهر أخيرا كتاب هام فى المسرح صنفه بلانش بيكر ، وهو كتاب ذو فائدة كبرى فى الابحاث المتعلقة بالمسرح بالمسرح والفنون المتعلقة به فهو يرشد الى الكتب التى تدرس الدراما والديكور المسرحى والممثلين وكتابة المسرحية والانتاج والملابس والماكياج والموسيقى والرقص ، ويقدم لنا معلومات مقتضبة عن موضوع الكتاب وبحثه وطريقته وآراءه الخاصة فيما يبحث .

فرنسا

جولة فى فيل ديف : تابطت كتبى وأسرعت والفرح والغبطة جناحى فى أخذ « المترو » الى فيل ديف حيث سأجد البشر ـ الالهة : اراغون وبيكاسو وسارتر وكلود وهنرى ليفيبر و .. و ..... الخ . وعندما وصلت وتركت المترو مع مئات الآخرين ، اضطررت على الانتظار مع المئات والمئات التى تنتظر معى أو بالاحرى أنتظر معها فتح الابواب . اضطررنا على الانتظار لان القاعة قد امتلأت بالناس . فى هذه

القاعة ، التى هى أكبر قاعات باريس ، جلس هؤلاء البشر ـ الآلهة بأجنحتهم الرفافة يهدون كتبهم الى الجمهور ويلاحظون بعيون نفاذة ما تختلج به النفوس وتعبر عنه الوجوه ليكون مادة لخلقهم يوما من الايام قريب · فتفتح الباب فجأة على مصراعيها ، فندخل اليها من غير نظام ، ونهجم عليها باضطراب وانشراح ، ندخل الى هذا العالم الصغير الغنى لنرى كيف هو ولنتمعن فيمن فيه · ومن يعرف فيل ديف يشعر جيدا بما أحسسته آنذاك وأنا أتخطى عتبات الباب بوجل واضطراب بما ينتظرنى هناك · فشددت على كتبى وتحسستها وأنا ألج هذا العالم الذى أعرفه ولا أعرفه · وبين القاعة والباب ممر وأبواب أخرى ودرج ينزل وآخر يصعد حتى وجدت نفسى فى ساحة عريضة طويلة مزدحمة باللحوم والانفاس البشرية ، أغرقتها الاضواء بأشعتها فأقف متمعنا فى لوحات فرناند ليجيه التى تتصدر البيع ، على بعد أكثر من مائة متر ، هذه اللوحات المستوحاة من قصيدة « الحرية » لبول ايلوار · فأدركت نفسى بدفعات الآخرين وسرت معهم محاولا الوصول قبل ذاك والتقدم عليه · واذا باراغون جالس فى « دكان » بيعه وخليط من البشر يفصل بينى وبينه ، هذا يشرأب بعنقه عاليا ليرى جبينه وآخر يقول لزميلته أراغون · فتسأله : أين ؟ ويشير الى الاكوام البشرية التى التفت حوله · فتحاول من بين أرجل وسيقان البشر أن تسلك لها سبيلا · فتقدمت قليلا قليلا ، وبعد ٢٠ دقيقة من دون مبالغة وقفت أتمعن فى شعره الابيض الناصع ، فى ملامح وجهه المبتهجة ، فى جبينه وقد لمعت عليه قطرات من العرق ، والابتسامة لا تغيب عن شفتيه العذبتين · كان يمد بيده ليأخذ كتابا سائلا اسم القارىء المشترى وان كان أجنبيا عن وطنيته · ولما طال بى التمعن نظر الى وفى نظراته سؤال : ماذا ؟ أى كتاب ؟ « عيون ايلسا » ؟ أم « ديان الفرنسية » ؟ أم ···· ؟ فبسطت اليه بكتاب « عيون ايلسا » و « حفيد دوفال » · فابتسم ناظرا الى · وقبل أن يفوه أو يكتب شيئا ما قلت : لم أنتظر هذه المناسبة لشراء كتب الحب والانسانية · فابتسم ثانية ورد على :

طبعا ! طبعا ! والا فانه سيكون متأخرا اذ قد نفذت أكثر كتبه وأرسل فى طلب نسخ منها أخرى · وسرت سريعا سريعا بعد أن كتب لى : « من اراغون الى خالد السلام ابن شعب متطلع الى فجره · » سرت سريعا متلصصا طريقى الا أن صفا طويلا عريضا صدم عينى : ما هذا ؟ من هنا ؟ فسمعت أحدهم يقول : بيكاسو ! ولم أنتظر لحظة وانما

كالنملة انتظمت مع الآخرين وسرت ببطء مزعج مضنى ، وطال بى الانتظار أكثر من نصف ساعة ان لم تكن ٤٠ دقيقة قبل أن أصل اليه وأتمعن فى صلعته وماذا تخفى تحتها من عبقرية وعوالم مجهولة تلعب بعواطف البشر مدى القرون · وجررت كتبى وكانت مجموعة من الشعر الفرنسى القديم لبول ايلوار · وصلت اليه وتمعنت فيه كان بسيط الملبس ، منكبا على عمله ، يلقى ببعض الملاحظات من حين لآخر الى فرناند ليجيه الذى يجيبه مبتسما · مددت اليه بالكتاب ، فنظر الى بعيون ثاقبة شعرت بها وكأنها قد غارت فى عظامى ، مبتسما كما ابتسم اراغون ثم رسم لى على الصفحة الاولى « حمامة السلام » ووقعها ورد الكتاب الى · وادع التعبير عن البهجة والسرور اللذين ملكانى لتصور القارىء · وظلت هذه الذكرى حية فى ، تحثنى ان تعبث وتدفعنى ان تأخرت فى السير فاذهب لرؤية ستيل Stil الذى كان أكثرهم حديثا مع الناس ، فانتقل منه الى سارتر وقد التفت حوله عشرات وعشرات يشترون كتابه « قضية هنرى مارتان » الذى كتبه مساهمة منه فى المعركة التى شنها الشعب الفرنسى مدافعا عن بطل جديد للحرية ، عن « كالاس » القرن العشرين ، وهو كتاب ضخم دقيق البحث قد أخرجته مطابع «كاليمار » من سلسلة N.R.F ومن سارتر ذهبت الى كلود روا وقد جلست شابة صينية فى لباسها الوطنى الى جنبه تهدى كتاب « مفاتيح الصين » باللغة الصينية · كان أشهبا نحيفا ازرق العينين متوسط القامة يتطلع الى القراء تطلع الشباب الملىء حيوية وانه يعد من أخصب الكتاب الفرنسيين الذين يرتفعون شيئا فشيئا الى الصنوف الاولى فى عالم الفن والادب وهكذا ظللت خلال ساعات أتنقل من كاتب الى آخر من ليفيبر الى كاركو ومن ساوول أحسن ناقد سينمائى وباحث فى تاريخ السينما الى جان كوكتو · كان هذا البيع يتميز أولا : بوسعه وانتشاره العظيم والذى يعد شكلا كبيرا لفكرة ايلسا تريوليه Elsa Triolet فى « معركة الكتاب » التى تهدف الى اقامة علاقة قوية بين الكتاب وجمهورهم الشعب · وثانيا : باختلاف وتنوع الافكار والمفاهيم ، الا أنها جميعا تدخل فى اطار الثقافة الانسانية التى رفضت وترفض دائما جميع الكتاب والفنانين الذين تعاونوا مع النازيين الالمان خلال الحرب العالمية الثانية · وقد دام هذا البيع من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الساعة الثامنة مساء ·

خالد السلام

أنباء المسرح : تعود فرقة « المسرح الوطنى الشعبى » الى المسرح

من جديد بعد ان قامت بدورة تمثيلية فى جنوب فرنسا • وقد دعى جان فيلار مدير هذه الفرقة الى احتفالات أوربية ثلاث كبيرة فى فنيسيا وبرلين وأونبورغ خلال الصيف الماضى • وبعد عودته الى باريس صرح بأن ما أدهشه هو الصلة الضيقة بين الفرق المسرحية فى أوربا عامة وفى فرنسا خاصة ، مقترحا اقامة مركز للتبادل الثقافى المسرحى بين الاقطار الاوربية • وقد عرض منهج هذه الفرقة للعام القادم فكان حافلا بالقطع الجديدة ، وقد تضمنت مسرحيات لشكسبير وموليير

وبحث فرقة جاك فابرى المسرحية الجائزة الاولى فى المسابقة المخصصة لفرق الشبيبة ، وكان ذلك بتمثيلها قطعة انجليزية كان قد كتبها جون فانبرج عام ١٨٦٥ ساخرا من تقاليد عصره ، وستعرض هذه المسرحية لمدة شهر فى أحد مسارح باريس الشهيرة •

ولاول مرة فى تاريخ فرنسا تعرض مسرحية شكسبير « ريتشارد الثانى » فى قصر شايو •

وصرح المخرج السينمائى المشهور رينيه كلير بأن هوليود تعانى الآن أزمة سينمائية عنيفة ، ولهذا السبب فانها يجب أن تصدر الى العالم (اختراعات جديدة) وآخر هذه الاختراعات رغم كونها سخيفة هى الافلام ذات الابعاد الثلاثة •

أنباء الرسم : لقد كان لمعرض فرناند ليجيه فى نيويورك صدى كبير فى الاوساط الفنية لهذه المدينة ، وقد عكست صداه الصحف الفنية الباريسية ناعتة هذا الفنان برسام الانسان الميكانيكى حسب رأى الناقد الامريكى هيلى جنوبر

وفتح « صالون الخريف » أبوابه من جديد للناس ، فتهافت عليه الباريسيون والاجانب • ولا شك أنه من أهم الاحداث الفنية لهذه السنة • والملاحظ فى هذا المعرض هو تعدد المدارس واختلاف الفنانين فيما بينهم • وقد خصص قسم كبير من المعرض للفنانين الذين ساهموا فى خلق ومحافظة استمرارية هذا المعرض كل سنة خلال نصف قرن• وقد عرضت صورا لكوكان مثل « النائمة قرب النهر » و «نار الغبطة»• ولسيزان وبونار وماركيه وبراك وشاكال وليجيه وبيتاسو وروو وأتربيو مؤخرا • وقد ولد هذا الرسام عام ١٨٧٥ وتوفى عام ١٩٤٧ ومما يميز صوره وآثاره هذا الطرب الذى توحيه لانظار المتطلعين اليها• وقد تمكن هذا الرسام الكبير بأقل ما يمكن من وسائل أن يوحى الينا بمناظر طبيعية جميلة حية • ورغم مواضيعه التى يستعمل فيها الرسام غالبا الديكور والارابسك فان صوره كانت بعيدة عن ذلك ، وانما صور جوهر المناظر الطبيعية ببساطة أخاذة •

اشتات

* جاء في تقرير عن سير المعارف لعام ٥١ ـ ٥٢ الذى أصدرته وزارة المعارف العراقية مؤخرا ان النسبة المئوية للملمين بالقراءة والكتابة من سكان العراق هو ١٤ ٠/٠ من الذكور و٣ ٠/٠ من الاناث٠

وان عدد المعلمين من الذكور ٥٠٥١ ومن الاناث ٢٢٣٧، وما يصيب المعلم الواحد من الانفس هو ٤٤٧ من الذكور و١١٤٤ من الاناث هذا مع العلم ان عدد نفوس العراق هو ٤٨١٦١٨٥ ٠

وان عدد المتخرجين من مختلف المراحل الدراسية هى كما يلى :ـ كلية الحقوق (٥٦٤) دار المعلمين العالية (١٦٧) كلية الملكة عالية (٧٧) كلية الهندسة (٤٢) كلية التجارة والاقتصاد (١٠٥) دور المعلمين الابتدائية والريفية والدورات التربوية (٦٥٣) دار المعلمات الابتدائية والاولية والدورات التربوية (٢٢٣) مدارس الصناعة (٥١) معهد التربية البدنية (ـ) الفنون البيتية (١٣) معهد الفنون الجميلة (٤) المدارس الاعدادية (١٦٠٦) المدارس المتوسطة (٣١٣٣) المدارس الابتدائية (١١٨٦٤) ٠

وان نسبة طلاب المدارس الى السكان فى جميع مراحل الدراسة هى كما يلى : الدراسة الابتدائية ٤٥ لكل ألف نسمة من السكان الدراسة المتوسطة ٥ر٥ لكل ألف نسمة من السكان والدراسة الاعدادية ٥ر١ لكل ألف نسمة من السكان ودور المعلمين والمعلمات والدورات التربوية ٣ر٠ لكل ألف نسمة من السكان الدراسة العالية ١ لكل ألف نسمة من السكان٠ والمجموع العام هو ٧ر٥٣ طالب لكل ألف نسمة من السكان ٠

* نشرت صحيفة (ليتر فرانسيز) قائمة بأسماء الكتاب والفنانين الذين تحرق كتبهم وآثارهم الفنية فى أميركا عملا بتوجيهات السناتور مكارثى وزملاؤه ، ومن الكتاب الواردة أسماؤهم فى تلك القائمة : جيمس آلان ، وهربرت أبتنكر ، وتوماس بيسون ، وألبرت أنشتاين ، وهوارد فاست ، وتوماس مان ، ومارك توين ، وجان بول سارتر ، ووليم فوستر ، ومكسيم غوركى ، وأرنست همنغواى ، وأميل زولا ، وجون شتاينبك وأيليا أهرنبرغ ، وروكويل كنت ٠

* بمناسبة مرور مائة وخمسين سنة على ولادة الملحن والقائد والناقد الموسيقي هيكتور برليوز (١٨٠٣ ـ ١٨٦٩) مؤسس المدرسة الحديثة فى التوزيع الاوركيسترالى والقيادة وأحد أقطاب الرومانتيكية فى الموسيقى وزعيمها فى فرنسا ، فقد أعد الاستاذ لويس زنبقة محاضرة عنه مشاركة فى هذه الذكرى ، وستلقى اما على مسرح قاعة معهد الفنون الجميلة أو قاعة الكلية الطبية .

* جاء فى تقرير مديرية الاحصاء العامة بوزارة الاقتصاد أن الرقم القياسى لتكاليف معيشة العمال غير الماهرين فى مدينة بغداد للاشهر مايس وحزيران وتموز لعام ١٩٥٣ هى كما يلى ، على اعتبار عام ١٩٣٩ يساوى ١٠٠ :

الشهر	المواد الغذائية	الملابس	الايجار	الوقود والضياء	المواد الاخرى
مايس	٥٧٢ر٤٦	٥٥٨ر٧٥	٣٠٠ر٠٠	٣٨٨ر٦٤	٣٣٨ر٥١
حزيران	٥٥٩ر٧٣	٥٨٠ر٢٠	٣٠٠ر٠٠	٣٨٨ر٦٤	٣٣٧ر٩٣
تموز	٥٢٧ر٤٨	٥٦٧ر١١	٣٠٠ر٠٠	٣٨٨ر٦٤	٣٣٧ر٩٣

* احتفلت بعض بلدان المغرب العربى بمرور الذكرى التاسعة عشرة لوفاة الشاعر التونسى الكبير أبو القاسم الشابى . فأصدرت مجلة « الندوة » التونسية عددا خاصا به . وخصصت له الاذاعة الليبية جزءا من برامج أحد أيامها . وجدير بهذا الشاعر المبدع أن يذكر أطيب الذكر لا فى بلدان المغرب فحسب ، بل فى جميع البلدان العربية ، فقد أنفق حياته القصيرة فى تمجيد الحرية ، وألف عشرات القصائد التى بلغت شأوا عظيما فى الجمال والابداع ، حتى لقد اتفق كثير من دارسى شعره انه يمكن أن يقرن بالشاعر الانجليزى المشهور كيتس ، ومن المؤسف أن يلاقى أدباؤنا هذا الانكار المحض فى حياتهم ومماتهم !

* أعلنت جمعية أهل القلم فى لبنان أنها خصصت خمس جوائز مالية كل جائزة قيمتها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية ، لاحسن كتاب مطبوع نشره مؤلف لبنانى فى عام ١٩٥٣ فى أى من الموضوعات التالية : ١ ـ أفضل سيرة شخصية لبنانية ٢ ـ أفضل رواية ٣ ـ أفضل ديوان شعر ٤ ـ أفضل دراسة تاريخية أو علمية أو فنية أو لغوية ٥ ـ أفضل مسرحية . وما أجدر المجمع العلمى العراقى بالاحتذاء بهذا الاسلوب فى المسابقات ، وتقسيم مسابقاته السنوية الى الابواب المذكورة أعلاه ، واختيار أحسن كتاب لكل من تلك الابواب ، لا اختيار أحسن كتاب يصدر فى العام !

* جاء فى تقرير مديرية الاحصاء العامة بوزارة الاقتصاد أن قيمة البضائع المستوردة الى العراق خلال شهرى مايس وتموز لعام ١٩٥٣ هى (٥٫٠٥١٫٣٣٣) دينارا ، وقيمة البضائع المصدرة هى (٧٩٧٫٠٤٢) دينارا وبذا يكون الفرق بين البضائع المستوردة والمصدرة هى (٤٫٢١٨٫٠٦٥) دينارا !

* سقط البيت الثالث من قصيدة « أطفالنا » للاستاذ بدر شاكر السياب المنشورة فى العدد السابق من « الثقافة الجديدة »وهو : (وأقدامها العارية) ويأتى بعده (محار يصلصل فى ساقية) ، كما حدث خطأ مطبعى فى البيت الاول من المقطع الثانى منها . والصواب فى هذا البيت هو : (كأنى أسمع خفق القلوع) وليس الضلوع ، ونحن نأسف لهذه الاخطاء ، وللاخطاء الاخرى فى المجلة ونرجو ألا تتكرر جهد استطاعتنا فى الاعداد المقبلة .

* شكلت فرقة المسرح الحديث هيئة ادارية من السادة : ابراهيم محمود جلال (رئيسا) وجاسم العبودى (مديرا فنيا) ويوسف العانى المحامى (سكرتيرا) وعبدالرحمن بهجت (محاسبا) وسامى عبدالحميد (عضوا) . وستقيم الفرقة فى أوائل الشهر القادم حفلة تمثيلية تقدم فيها مسرحية مقتبسة عن الكاتبة الاميركية بيرل باك ومسرحية شعبية بعنوان « تؤمر بيك » تأليف يوسف العانى .

* تستعد شركة النشر والطباعة المحدودة لاصدار كراس جديد للاستاذ ابراهيم كبة بعنوان (استثمار رؤوس الاموال الاميركية فى الخارج) وقد عربه عن المجلة الفرنسية الاقتصادية المعروفة Cahiers Internationaux

* اكتشف أخيرا فى العراق أول بقايا عظمية لانسان العصر الحجرى القديم . وهذه البقايا ، التى ربما عاد زمنها الى (٧٥٠٠) سنة قبل الميلاد ، هى لطفل صغير . وقد وجدت على عمق ٢٦ قدما فى منحجرات العصر الحجرى المتوسط فى حفريات شنيدر شمال العراق .

* يدرك المرء مدى ما تجره الحروب على العالم من دمار ، ومدى الفائدة التى تعود على العالم من توجيه الطاقات وانفاق الاموال للاغراض السلمية اذا علم ان تكاليف قاذفة قنابل ثقيلة تساوى انشاء مدرسة حديثة فى أكثر من ثلاثين مدينة ، وانشاء محطتين لتوليد الكهرباء تمد

كل منهما مدينة سكانها ٦٠ ألف نسمة بالتيار الكهربائى ، وبناء مستشفيين حديثين مجهزين بالمعدات الكاملة، وتعبيد طريق من الخرسانة المسلحة طولها خمسين ميلا ، وان تكاليف صنع طائرة مقاتلة واحدة كافية لشراء نصف مليون بوشل من القمح ، وتكاليف صنع مدمرة واحدة تكفى لبناء منازل جديدة تتسع لايواء أكثر من ثمانية آلاف شخص ٠

* ينتوى الاستاذ يوسف عزالدين أن يكتب رسالة للدكتوراه عن الشعر العراقى الحديث ، وهو يتوجه برجائه الى الشعراء العراقيين لتزويده بنماذج من شعرهم على اختلاف أغراضه مع ذكر تاريخ النتاج والعنوان الكامل وشىء مقتضب عن حياة الشاعر ، وأن توجه اليه الرسائل بعنوان :
يوسف عزالدين ـ بواسطة مكتبة الآثار ـ بغداد ٠

* توفى الكاتب الفرنسى المسرحى المعروف هنرى برتسن مؤلف روايات « شمشون » و « الهجوم » و « السارق » وغيرها صباح ٢٨ـ١١ـ١٩٥٣ ٠

* يحتفل هذه الايام بمرور سنة واحدة على وفاه الشاعر الفرنسى العظيم بول ألوار ٠

* توفى الكاتب النمساوى الكبير ايساك كراينير فى مدينة كانى بعد أن قضى أكثر من ثلاثين سنة فى فرنسا ٠

* منعت بعض الحفلات الموسيقية التى نظمت فى المانيا الغربية لذكرى الموسيقار الالمانى باخ ٠ وقد أثار هذا العمل احتجاج شخصيات فنية عالمية كثيرة وخاصة فى فرنسا ٠

* توفى الموسيقار كالمان مؤلف أوبريت « برنسس سارواس » يوم السبت ٣١ـ١٠ـ١٩٥٣ فى باريس عن عمر يناهز ٧١ عاما ٠

* يحتفل هذه الايام فى جميع أنحاء العالم بالذكرى الستينية لوفاة الموسيقار الروسى الشهير جايكوفسكى الذى توفى فى ٦ـ١١ـ١٨٩٣ ٠

* سيصدر قريبا كراس « المؤتمر النسائى العالمى المنعقد فى كوبنهاجن » فى وصف المؤتمر ، ويتضمن خطاب مندوبة العراق فى المؤتمر ، وملخص ما جاء فى تقارير خطب المندوبات فى مختلف البلدان٠

المحتويات

الصفحة

التفكير العلمي (المقال الافتتاحي) .. .. « لجنة التحرير » ١

الشعر الظرفي .. .. بول الوار ٣
تعريب ابراهيم اليتيم

بعض الاتجاهات الاجتماعية في حركة الزنج .. الدكتور فيصل السامر ١٥

الظروف الاجتماعية وعلاقتها بالطب النفسي . .. الدكتور فيكتور لافيت ٢٢
تعريب الدكتورة « هدى »

مصادر الشك في كتاب العين .. .. .. الشيخ محمد رضا الشبيبي ٢٦

مفاهيم في الفن القصصي .. .. نهاد التكرلي ٢٩

بابلو نيرودا (شخصية الشهر) .. .. عبدالوهاب البياتي ٣٨

البغايا في الشتاء (قصيدة) .. .. بدر شاكر الشياب ٤٣

الجدار الاصم (قصة عراقية) .. .. عبدالملك نوري ٤٤

الى حبي الاول (قصيدة من الادب البلغاري) .. .. كريستو بوتيف ٥٨

الحرب في اسبانيا (قصة من الادب الاميركي) .. .. وليم سارويان ٦١

حفلة زواج (مسرحية الشهر) .. .. انطون تشيخوف ٦٤
تعريب شاكر خصباك

أسبوع المرأة ومدى فائدته (آراء وتعليقات) .. الدكتور محمد مهدي البصير ٧٨

قيمة الوعي في الادب (آراء وتعليقات) .. .. .. غائب طعمة فرمان ٨١

التلفزيون (العلم يتقدم) .. .. حسين يوسف البكري ٨٥

فن وجمهور (الفنون الجميلة) .. .. محمود صبري ٩٠

واقع المسرح العراقي (السينما والمسرح) .. .. .. يوسف العاني ٩٦

الجامعة العراقية (التربية والتعليم) .. .. .. « الثقافة الجديدة » ١٠٠

منظمة اليونسكو بنظر أمريكي (التربية والتعليم) .. عن مجلة الاوبزرفاتور ١٠٢

تداعي النظام الكولونيالي (كتاب الشهر) .. .. ب . دوت ١٠٤
تلخيص ابراهيم كبة

دع القلق وابدأ بالحياة (مطالعات) .. .. .. جاسم محمد الرجب ١٣٦

ظهر حديثا : ١٢٢

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة للدكتور
صالح أحمد العلي .. .. الدكتور صلاح خالص

مقدمة في دراسة العراق المعاصر للدكتور زكي صالح .. .. « ا . ك »

أناهيد لعبدالله نيازي .. .. « شين »

في ربوع الفكر ١٣٩

أشتات ١٥٠

الوكلاء العامون فى العراق

شركة عبدالعزيز وعبدالكريم أولاد جعفر ابو التمن

المعرض باب الشرقى تلفون ٤٢٦٦

OLMA اولما

الوكيل العام

ناجي جواد

بغداد - تلفون: ٨٤٢٥١, ٦٣٠٣

La Culture Nouvelle

REVUE MENSUELLE DE CULTURE GÉNÉRALE

Adresse : KHAN KUBBA
RUE AR RASHID BAGHAD, IRAQ

متعهد التوزيع فى العراق
عواد الشيخ على
جديد حسن باشا ـ بغداد

مسجلة بدائرة البريد برقم (٤٤٤)

الثمن ١٠٠ فلسا

طبعت بمطبعة الرابطة ـ بغداد